وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة -
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

الهجاء السياسي والاجتماعي في الأندلس من القرن الثالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة - دراسة موضوعية فنية -

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في الآداب واللغة العربية
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
وفاء بوعيشة

إشراف الأستاذ الدكتور:
امحمد بن لخضر فورار

لجنة المناقشة

صالح مفقودة	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
امحمد بن لخضر فورار	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا و مقررا
حياة معاش	أستاذ	جامعة بسكرة	مناقشا
عبد الرزاق بن دحمان	أستاذ محاضر -أ-	جامعة بسكرة	مناقشا
مسعود وقاد	أستاذ	جامعة الوادي	مناقشا
علي كرباع	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الوادي	مناقشا

السنة الجامعية : 1440-1441هـ/ 2019/2020م

إهـــــــــداء

أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى والديّ الكريمين حفظهما الله ورعاهما

إلى زوجي الفاضل أقدم له كل الشكر والعرفان على دعمه لي فكان لي نعم السند حفظه الله

إلى أخواتي الغاليات وأبنائهم وإخوتي أنار الله دربهم

أهدي عملي إلى صديقتي الغالية رمز النقاء والصفاء جوهرتي فطيمة تغليسية وعائلتها الكريمة

إلى كل الذين دعموني وساندوني من قريب أو بعيد أخص بالذكر صهري الفاضل عمر كشاد وصهري خلاصي ياسين

إلى كل رفاق العلم والمعرفة

إلى كل من سقط اسمه سهوا أهديه التحية

وفاء بوعيشة

شكر و عرفان

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ النمل [19]

أشكر الله عز وجل الذي وفقني لإنجاز هذا العمل
كما أتوجه بعظيم الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي المشرف
أ.د / امحمد بن لخضر فورار

الذي كان عونا و سندا، و موجها و ناصحا و مرشدا طيلة فترة البحث
أسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء وأن يرفع درجاته في الدنيا والآخرة
وأتقدم بالشكر العرفان لكل من ساعدني و ساهم معنويا و معرفيا في إنجاز هذا البحث
كما لايفوتني أن أشكر كل أساتذة قسم الآداب و اللغة العربية
جامعة محمد خيضر - بسكرة - على ما قدموه لي من عون طيلة مسيرتي الدراسية

وفاء بوعيشة

مقدمة

الهجاء لون أدبي عريق عرفته الآداب العربية والأجنبية ، هو فن تمتد جذوره في أعماق الأدب العربي، حيث انبرى الشعراء من خلال شعر الهجاء، إلى الكشف عن مواطن السوء والخلل في جوانب شتى من المجتمع، فكان هجاؤهم عقابا لمن يجترئون على القيم الإنسانية الفاضلة، وعلى المجتمع ومقدساته وعوامل بقائه، وأشار النقاد إلى رسوخ هذا الفن، إذ يُعدّ من الأغراض الشعرية، التي احتلّت مكانة كبيرة في دواوين الشعر العربي فزخرت به وعرف تطورا على مرّ عصور الأدب العربي، وخضعت كميته للتفاوت من عصر لآخر نظرا لاختلاف أسبابه ودواعيه.

وحظي الهجاء بدراسات عديدة ومختلفة عبر عصور الأدب العربي، وأهم العصور التي سلط عليها الباحثون دراساتهم لفن الهجاء، العصر الجاهلي والعصر الأموي – العصر الذهبي لهذا اللون– والعصر العباسي، فتتبعوه وتناولوه بالدراسة والتحليل والتعليل، مسلطين الضوء على العوامل والأسباب الرئيسية،التي أدت إلى ظهوره بالإضافة إلى دراسة معمقة لبيئة الشاعر، وأثرها على شعر الهجاء، مع تحديد اتجاهاته المختلفة السياسية والإجتماعية منها، وعلى الرغم من كثرة دواوين الشعر العربي، التي احتفلت بهذا الفن، إلاّ أن فن الهجاء الأندلسي قد أُهدر حقه، لأن بعض العصبيّات الأدبية قامت تُلوّن الحقائق بغير ألوانها ، وتدعو بعض الأحيان إلى المبالغة ، وتحكم على أن الأندلسيين لم يعرفوا هذا الفن، وأنهم لم يبرعوا فيه، عكس شعراء المشرق، الذين اعتبروا رواداً لهذا الفن

لذلك لم يحظ الهجاء السياسي والاجتماعي في الأندلس بدراسة شاملة متخصصة تظهر اتجاهاته الموضوعية والفنية، وغاية ماكتب عنه، لا يتجاوز تلك الإشارات العابرة المتناثرة ، وهذا ما فتح لنا الآفاق لدراسة واستقصاء الموضوع من جوانبه كافة السياسية منها والاجتماعية، لننقله إلى أفق مكاني أرحب.

حدّدنا لهذه الدراسة إطارها المكاني "الأندلس" والزماني" من بداية القرن الثالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة ، حيث شهد "الفردوس المفقود" خلال هذه الفترة أوضاعا

سياسية واجتماعية، تتأرجح مابين القوة والضعف، وما بين التقلبات والعطاءات التي أثرت بطبيعتها على شعر الهجاء الذي تتبع الجوانب السلبية في الحياة السياسية و الاجتماعية لينشد مُثلا أفضل.

ومن خلال هذه الإحاطة المعرفية يحق لنا أن نطرح الإشكالات الآتية:

- ألم يعرف الشعر الأندلسي فن الهجاء، وأن شعراء الأندلس لم يبرعوا فيه، مثل شعراء المشرق العربي الذين طالما اعتبروا أربابا لهذا الفن ؟
- إن كان إغفال صاحب الذخيرة وأصحاب المصادر الأدبية الأخرى لهذا الفن ترفعا وأنفة بداعٍ أخلاقي أدّى إلى طمس معالم هذا الفن، فما سبب غياب الوازع الديني والأخلاقي في إحتفال كل مصادرهم بفن التغزل وعشق الغلمان واللهو والمجون ؟
- إن كانت الأحزاب السياسية هي المحرك الرئيسي والفعال لفن الهجاء ، فهل يعتبر زوالها في الأندلس، سببا رئيسا لكساد سوق الهجاء السياسي في الأندلس؟
- وإن كان الهجاء السياسي ينبع عن تعصب الشاعر للقبيلة أو للحزب، ألا يصدر الهجاء السياسي عن دافع وطني أصيل وهو حب الوطن والإخلاص له ؟
- ما هي أهم موضوعات الهجاء السياسي والإجتماعي، التي تطرق إليها شعراء الأندلس؟
- أين يكمن عنصر التجديد في شعر الهجاء الأندلسي، وما هي أبزر خصائص ومميزات الهجاء الأندلسي ؟

ولمسار هذا البحث سطرنا الخطة الآتية: مقدمة، مدخل وأربعة فصول وخاتمة:

- المدخل موسوم بـ: "الهجاء السياسي نشأته وتطوره عبر العصور، حيث تناولنا فيه تعريف الهجاء لغة واصطلاحا، ثم تتبعنا نشأة الهجاء السياسي والإجتماعي بداية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، والهجاء في الأدب الأندلسي.

- الفصل الأول: "الحياة السياسية والاجتماعية في الأندلس من بداية القرن 3 هـ إلى نهاية ق 5 هـ وأثرها على الهجاء، أما الحياة السياسية فتبدأ من: فترة تأسيس الإمارة وصراعها، ثم عصر الخلافة الأموية، فحكم الدولة العامرية، الذي يليه عهد الفتنة المبيرة الذي تمخض عنه "عصر الطوائف"، فعصر المرابطين، مع عرضنا لأهم الأحداث السياسية البارزة ، التي كانت سببا في قوة الأندلس أو ضعفها، أما الحياة الاجتماعية فخصّصناها لدراسة المجتمع الأندلسي، وتركيبته البشرية وأجناسه المختلفة ، مع تسليط الضوء على الطبقية الاجتماعية، وحقيقة الأجناس البشرية المتعددة الأصول والعقائد والدّور الذي لعبته في تطور المجتمع أو تدهوره.

- وفي الفصل الثاني: تطرقنا لدراسة موضوعية للهجاء السياسي، حيث انبرى الشعراء في هجاء أعيان الدولة –الحكام– ومستخدميها من وزراء وولاة وعمال وإبراز سياستهم الفاشلة وخللهم الإداري.

- أما الفصل الثالث: فتناول موضوعات الهجاء الاجتماعي، من ذمٍّ للبشرية عامة وخاصة، فهجاء الفقهاء ، ثم هجاء الشعراء والفلاسفة ، هجاء المغنيين وأرباب المِهن والحِرف، وهجاء المدن ومرافقها، وذمّ الزمان والمكان.

- الفصل الرابع: تطرقنا فيه إلى دراسة فنية للهجاء السياسي الاجتماعي، مركزين على الأسلوب والصورة الفنية، والموسيقى الشعرية بنوعيها الخارجية والداخلية .

- و أنهينا البحث بخاتمة أوردنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

أما عن المنهج المتبع فقد اقتضت الدراسة : المنهج التاريخي الذي يقوم بربط النص بظروفه التاريخية والاجتماعية ، وكان الإعتماد على التاريخ واضحا في أجزاء متعددة من البحث، لأن الدراسة تقتضي توضيح العلاقات بين الشعر ومجريات الحياة السياسية والاجتماعية ، لاستقراء رؤى الشعراء لأحداث كل عصر.

➢كما استعنا بالمنهج الوصفي، مستعينين بآلية التحليل للغوص في أعماق النص الشعري، وفتح حوار معه واستنطاقه ، كما استأنسنا بالمنهج الفني للكشف عن القيم الجمالية للخطاب الشعري.

ومن أجل إنجاز هذا البحث والإجابة على إشكالياته بطريقة ممنهجة، إعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع، أسهمت في إثراء البحث، ومن أبرز المصادر المعتمدة : " البيان المغرب" لابن عذارى المراكشي ،" نفح الطيب" للمقري ، " أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام" للسان الدين الخطيب، " المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد ، وكتابه "رايات المبرزين وغايات المميزين، " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام ، " المطرب من أشعار أهل المغرب" لابن دحية "زاد المسافر" للإدريسي، "الحلة السيراء" لابن الأبار،" المعجب في تلخيص أخبار المغرب" للمراكشي.

كما استعنا بدواوين بعض الشعراء الأندلسيين مثل :ديوان السميسر، ديوان أبو إسحاق الإلبيري، ديوان يحي بن الحكم الغزال ، ديوان ابن الزقاق الأندلسي، ديوان ابن هانئ الأندلسي، ديوان ابن زيدون، ديوان ابن دراج القسطلي، وعدة دواوين أخرى أندلسية ومشرقية.

ومن أبرز المراجع المعتمد عليها: "دولة الإسلام في الأندلس" بأجزائه المختلفة لمحمد عبد الله عنان،"في التاريخ العباسي والأندلسي" لأحمد مختار العبادي، "الهجاء والهجاؤون في الجاهلية " لمحمد محمد حسين، " الشعر الأندلسي ظل الدولة العامرية" لـ:امحمد بن لخضر فورار، "تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس" لخليل إبراهيم السامرائي وآخرون، حسين مؤنس وسلسلة من كتبه أهمها: "فجر الأندلس" "معالم تاريخ المغرب والأندلس"،"رحلة الأندلس"، "شيوخ الأندلس"، وغيرها من المراجع والمصادر التي ساهمت في إضاءة البحث وتنويره.

وكما لا يخلو أي بحث من بعض الصعوبات، فإن العقبات التي واجهتنا تتمثل في قلة الدواوين الأندلسية ، مما حملنا للرجوع إلى المصادر الأندلسية، ففوجئنا بضآلة ماحَوتهُ من معلومات حول فن الهجاء وإجحافها في حقه، فالنماذج لشعر الهجاء كانت قليلة.

وفي الأخير نأمل من الله عز وجل أن نوفّق في الوفاء بحق هذا البحث، وإننا لاندعي شمولية البحث، ولكننا اجتهدنا فيه، ماوسعنا الجهد لنخرجه في هذه الصورة وفق المخطط الذي وُضع له، فإن وفقنا في ذلك ، فمن الله صاحب الفضل والمنّة، وإن أخفقنا فمن أنفسنا وماجهدنا إلا جهد آدمي يقع تحت طائلة الخطأ والزلل.

وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم:« من لايشكر الناس لا يشكر الله » فإننا في هذا المقام نتوجه بالشكر الجزيل والعرفان بالفضل لأستاذنا الفاضل الدكتور "**امحمد بن لخضر فورار**" الذي أولانا من رعايته، وعلمه وخبرته ، وما أسداه لنا من نصائح وتوجيهات، نقدم له شكرنا وامتناننا وعرفاننا داعين الله عز وجل أن يَمُدَّ في عمره ، ويُسْبِلَ عليه ثوب الصحة والعافية ويجزيه عنا خير الجزاء.

كما نتوجه بعظيم الشكر والإمتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة ، الذين تفضلوا بقراءة البحث والحكم عليه ، هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

وفـــــاء بوعيشة

المدخل:

الهجاء السياسي والاجتماعي نشأته وتطوره عبر العصور

المبحث الأول: مفهوم الهجاء:

الهجاء فن أدبي عريق عند العرب ، ولقد عرف هذا اللون الشعري تطورا عبر عصور الأدب العربي، من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، كما أن مفاهيمه خضعت للتغيير نظرا لاختلاف أسبابه ودواعيه.

المطلب الأول: الهجاء لغة:

والهجاء بمعناه اللغوي متعدد المعاني، فهو عند ابن فارس بمعنى :« هَجَاهُ يهجُوهُ إذا وقع فيه بأشعاره، وذلك الشعر: الهجوُ والهجاء» [1] ووردت مادة "هجا" في معجم الوسيط بمعان عدّة منها :« الهِجَاءُ: السَبُّ وتعديدُ المعايب، ويكون بالشعر غالبا والرَجُلُ هجّى: اشتدّ جوعه» [2] والهجاءُ عند الزمخشري: من هجاء الحروف، وتَهَجِّيها ويُهجِّيهَا ويتهجّاها: بمعنى يُعدِّدُها، وقيل لرجل من قيس أتقرأ القرآن؟ فقال: والله ما أهجو منه حرفا والمرأة تهجُو زوجها هجاءً قبيحاً، إذا ذَمَّتْ صُحبتهُ، وعدّدت عُيُوبه. [3]

وأورد ابن منظور عدّة معانٍ لمادّة "هجو" ومنها الهجاء في اللغة معناه الشتم بالشعر وهو خلاف المدح قال الليث: وهو الوقيعة في الأشعار، وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال:« اللهم إنّ فلانا هجاني فاهجُهْ ، اللهم مَكَان هجاني» ، معنى قوله اهجه أي جازِه على هجائه إيَّاي جرّاء هجائه.

---

[1] ابن فارس أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي، مجمل اللغة، تح زهير عبد المحسن سلطان،ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2 ، 1986، ص 900.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون ، معجم الوسيط ، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، اسطنبول ، تركيا (د، ط)، (د، ت) ، ص 975.

[3] الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، ج2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1419، 1998، ص 365.

ومن المعاني الأخرى لمادة هَجوه : هَجْوَ يَوِمُنَا : اشْتد حَرُّهُ ، والهجاة : الضفدع والمعروف الهاجَهُ، وهَجَى البَيْتَ هجْيًا : انكشف. [1]

الواقع أن في المادة معاني أخرى ، هي أقربُ لِأَن تكون أصلاً للمعنى الأدبي فقد يكون الهجاءُ بمعناه الأدبي مأخوذ من الضفدع ، فهو قبيح الشكل بشع الصوت وقد يكون مأخوذاً من اشتداد الحرّ، والإنسان يتضايق من اشتداد الحرّ، ويتأذى من قسوته ويجوز أن يكون مأخوذا من قولهم هُجِي البيتُ هَجْيًا بمعنى إنكشف، فالهجاء يكشف عن سيئات المهجو، ويجرّدُه من الفضائل، ويجعله مسلوبا من المحاسن فتبدوا للناس عيوبه. [2]

ولعلّ الهجاء بمعنى تعديد حروف الكلمة، والمعروف أن الهجّاء، يقوم بتعداد عيوب المهجو، الذي يسعى ويحرص أشدّ الحرص عن ستر وكتمان مساوئه وعيوبه محاولاً إخفائها عن الناس حتى لا ينكشف ويفضح.

وعلى ضوء هذه المفاهيم اللغوية للهجاء ، يتضح جليا أن الهجّاء يقوم بتعداد عيوب المهجو، الذي يحرص دائما على إخفائها، لهذا فإن فن الهجاء يقوم على الكشف وتعداد العيوب.

---

[1] ينظر: ابن منظور جمال الدين مكرم ، لسان العرب ، مج 15، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط) ، (د، ت) مادة "هجو" ، ص 353.

[2] بتصرف، محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1970 ص 14.

المطلب الثاني: الهجاء اصطلاحا:

أما في معناه الأدبي فقد كثرت المعاني التي وضعت لمصطلح الهجاء قديما وحديثا وتعددت آراء القدماء والمحدثين فيه.

1-الهجاء عند القدامى:

عرّفه قدامة بن جعفر بقوله:« الهجاءُ ضدُّ المديح في الشعر، فكلّما كانت أضداد المديح في الشعر كانت أهجى له ، ثم تنزل الطبقات على قوله مقدار الأهاجي فيها وكثرتها».[1]

نستنتج من هذا التعريف ، أن إبداع الهجَّاء في هذا اللون من الشعر، يتوقف على مقدار إجادته للهجاء كمًّا وكيفا "نوعا".

أما ابن رشيق القيرواني، فقد عدّ الهجاء على أنه صنف من أصناف الشعر، لكنه شرٌّ كلُّه، لأنه يتعدّى على أعراض الناس، وهذا ما يوضّحه قوله:« الشعر أربعة أصناف فشعر هو خير كله، وذلك ما كان في الزهد والمواعظ الحسنة... وشعر طرف كله وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه... وشعرٌ شرٌّ كله، وذلك الهجاء وما تعرض به الشاعر إلى أعراض الناس».[2]

أما الإبهيشي فقد ركّز في تعريفه للهجاء على ما يحققه من فائدة ، و قيمة فنية والتي تتمثل في الصور الخيالية ، واللوحات الإبداعية التي يرسمها الشاعر، لكن بشرط أساسي، وهو أن لا يقول فيه هجاء زوراً وبهتانا، فمن العبث الهجاء بما في غير الخُلق وهذا لا يعتبر هجواً البتة ، وفي ذلك يقول الإبهيشي:« القصد من الهجاء الوقوف

---

[1] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،(د، ط)،1956 ص 113.

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد،ج1، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق، سوريا، ط 1، 1981، ص 48.

على ملحه، وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعانٍ بديعةٍ،لا التشفي بالأعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على إساءة المهجو، ولا صدق الشاعر فيما رماهُ به، فما كل مذموم بذميم، وقد يهجى الإنسان بهتانا وظلماً أو عبثا وإرهابا».[1]

2-الهجاء عند المحدثين:

إذا تناولنا مفهوم الهجاء لدى النقاد والباحثين المحدثين، نرى أن محمد حسين عرفه بأنه:« أدب غنائي يصوّر عاطفة الغصب أو الإحتقار، أو الاستهزاء ، وسواءً في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب» [2]

أما راجي الأسمر فقد عرفه بقوله: « هو فن من فنون الأدب الغنائي يقوم على إحتقار المهجو وازدرائه ... وذلك أن يجعله ضحكة للسامعين، وتفكهة للمتندرين وهو فن قديم عرفه الإنسان منذ أن عرف التعبير عن سخطه وكراهيته بطريقة فنية » [3]

نرى أن راجي الأسمر يتفق مع محمد حسين، في أن عاطفة السخط والإحتقار هي المحرك الرئيسي لفن الهجاء.

---

[1] الإبهيشي ، المستطرف في كل فن المستظرف، تح: إبراهيم صالح، ج 2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1999 ص 131.

[2] محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 12.

[3] راجي الأسمر، أروع ما قيل في الهجاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1413، 1992 ص 07.

أما المازني فقد عدّ الهجاء عقاب لمن يجترئون على القيم الإنسانية الفاضلة وعلى المجتمع ومقدساته وعوامل بقائه، لهذا وضع الهجاء مقاييس للذوق العام، وتأديبهم وإصلاحهم، حيث يكون إنحرافهم هذا داخلا تحت قانون من قوانين الرّدع والعقاب.[1]

وعلى ضوء جميع المفاهيم السابقة لفن الهجاء، سواء كانت للنقاد والباحثين القدامى أو المحدثين، فإن الهجاء في كل زمان ومكان سيظل يعكس مظاهر الحياة بجميع جوانبها الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، شرط أن يلتزم الشاعر بالصدق عند خوضه لغمار الهجاء ، وهذا ما يؤكده أحمد أمين في قوله:«والهجَّاءُ يجب أن يكون معبرا عن الصدق والحق ملتزما لهما».[2]

المطلب الثالث: أجود الهجاء:

إستحسن العرب في الهجاء ألّا يكون في الصفات، التي لا دخل للإنسان فيها واعتبر قدامة بن جعفر مخالفة ذلك عيبا في الهجاء فيقول:« وأجودُ ما في الهجاء أن يُسلب الإنسان الفضائل النفسية، وما تركّب من بعضها مع بعض، فأما ما كان في الخَليقَة الجسمية من المعايب، فالهجاء به دون ما تقدم وقدامة لا يراه هجواً البتّة».[3]

وقال خلف الأحمر: «أشّد الهجاء أعفه وأصدقه" وقال مرّة أخرى:« ما عفّ لفظه وصدق معناه" ، ومن كلام صاحب الوساطة: « فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه ، وسَهُلَ حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، أما القذف والإفحاش فسباب محض ، وليس الشعر

---

[1] ينظر: حامد عبده الهوال ، السرخية في أدب المازني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1982 ص 69

[2] أحمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، مصر، (د، ط)، 2012، ص 82.

[3] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 2، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، (د، ط) ، (د، ت) ، ص 174.

فيه إلاّ إقامة الوزن»[1] ويقول كذلك في جودة الهجاء:« وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود، وترك الفحش فيه أصوب».[2]

وجماع القول أن ما يستحسن في الهجاء،ألا يكون في الصفات الخلقية التي لادخل للإنسان فيها، كما فُضّل أن يكون الهجاء قصراً مع ترك المفحش والمقذع منه: «إن للخصال المحمودة حالات تؤكدها ، وتضاعف حسنها ، وتزيد في جلاله المتمسك بها كما أن لأضدادها أيضا حالات تزيد في الحطّ ممن وُسِم بشيء منها، واستعملت العرب هذه الخلال وأضدادها ووصفت بها في حالي المدح والهجاء».[3]

وفي ذلك يقول مصطفى صادق الرافعي:« كان التنافس بالأخلاق أغلب فيهم على جانب المنازعة بالأعمال، لهذا لم يكن الهجاء عند العرب في إعتبار السبّ والإفحاش، ولكنه سَلبُ الخلقِ، أو سَلب النفس، أو فصل المرءِ عن مجموع الخلق الحي الذي يؤلف قومية الجماعة، وتركه عُضْواً ميتا يتواصفون إزدراءه، يحركه جسم الأمة حركة جامدة كلما نهض أو تقدم».[4]

المطلب الرابع: نشأة الهجاء:

يرى محمد حسين صاحب كتاب الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، أن المنافرات هي أقدم ما نعرف من صور هذا الفن عند العرب[5] ، ونافر معناه حاكم في النّسب

---

[1] المصدر السابق، ص 171.

[2] المصدر نفسه، ص 171.

[3] ابن طباطبا، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الستّار، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1402 ، 1982، ص 18.

[4] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج3 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421 ، 1982 ص 18.

[5] محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 84.

وسمّيت منافرة لأنهم يقولون عند المنافرة "إنَّا أعزّ نفرا" [1]، ومن ذلك أن يتنافر خصمان إلى حكم ليقضي بينهما، فإذا حكم لأحدهما زاد العداء إشتعالا. [2]

اشتهرت عكاظ بمثل هذه المحافل، قال صاحب لسان العرب سُمّي عكاظ لأن العرب كانت تجتمع فيه، فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار، فالمنافرة هي الصورة البدائية الساذجة لفن الهجاء، والجانب الهجائي منها يعتمد على المثالب الشخصية، ويدور حول الفرد، ولكنه لا يرتفع إلى الحياة في أفقها الواسع ودائرتها الكبيرة، وقد اعتبرها صاحب كتاب الهجاء والهجاؤون صورة بدائية ، لأنها لا تسمو من ناحيتها الأدبية إلى الخلق والإبتكار، ولكنها تعتمد على تقرير الواقع وصياغتها في عبارة منمقة ، فهي هجاء شخصي في أحط صوره وأدنى درجاته. [3]

كان المتنافران يضربان للمنافرة موعداً، فإن كان يوم المنافرة، وافى كُلّ منهم في قومه، معهم شعراؤهم، وقد خرجوا في أحسن زي ، فبدوا في أفخر مظهر وأمثلة للعين مكاثرين بخيلهم وسلاحهم ، وربما استعان أحدهما أو كلاهما ببعض مشاهر الشعراء من غير قومه ، أما السيف الفاصل في هذه المنافرة بين الخصوم حكم من حكماء العرب، أو أشرافها المسنين المعروفين بالفصاحة والحكمة والعلم بأخبار العرب وأنسابهم، وتبدأ المنافرة ، فيبدأ أحد المتنافرين بتعديد مناقبه ومفاخر قومه ، ومهاجمة خصمه، مشهِّرا بعيوبه، معيّرا بمثالب قومه، فإذا انتهى وقف خصمه فردّ عليه، ونقض ما قيل ثم يتداول الشعراء الإنشاد متبادلين شاعر من هذا الطرف وشاعر من ذلك.[4]

---

[1] السيد محمود شكري الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تح: محمد بهجة الأثري، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 288.

[2] أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، ط2، 1352 1952ص 170.

[3] ينظر: محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 86.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 85.

ليقضي الحكم بينهما فإذا حكم لأحدهما، زاد العداء اشتعالا وإذا كان الحكم عدلا خبيرا بما يجره من حكمه من قصد تشتيت شمل المتنافرين.[1]

في حين يرى بعض الباحثين أن نشأة الهجاء كانت مصحوبة بالكهانة والسحر وهذا ما ورد في قول شوقي ضيف: « كانوا يزعمون أن الشياطين تنزّل على الشعراء كما تنزل على الكهان، وزعموا أن الأعشى[2] كان له شيطان ينفث في وعيه الشر يسمى مِسْحَلًا وإن شاعرا كان يهاجيه ، يسمى عمرو بن قطن ، كانت له تابعة من الجنّ اسمها جُهَنَّام" وفي أخبارهم أن الشاعر إذا أراد الهجاء ليس حُلة خاصة، ولعلها كحلل الكهان وحلق رأسه، وترك له ذؤابتين ودهن أحد شقي رأسه وانتعل نعلا واحدة ، ونحن نعرف أن حلق الرأس كان من سننهم في الحجّ، وكأن شاعر الهجاء كان يتخذ نفس الشعائر التي يصنعها في حجّه، وأثناء دعائه لربّه أو لأربابه، حتى تصيب لعنات هجائه خصومه بكل ما يمكن من ألوان الأذى وضروب النحس المستمر».[3]

كان الشعراء يقرنون هجائهم بسلاح خفي أشد تأثيرا في عامة العرب، هو قوة الشعر الشيطانية، وأثره السحري الرهيب[4] وفي ذلك يقول كارل بروكلمان:« كان في يد الشاعر سحرا يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري».[5]

---

[1] أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 114.

[2] **الأعشى:** (ت 7هـ/ 629 م) ميمون بن قيس بن جندل ، من بني قيس بن ثعلبة المعروف بأعشى قيس، وقيل له أعشى بكر بن وائل وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، واحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على ملوك العرب والفرس، غزير الشعر أدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره.(ينظر، كامل سلمان الجبوري معجم الشعراء ، ص 487.)

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط1، (د، ت)، ص 197.

[4] ينظر: شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 197.

[5] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي ،ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مصر 1993، ص 46.

وكان الأعشى إذا قابل خصومه، حرك عصاه السّحرية، فلبّاه شيطانه مسحل وقذف الرعب في قلوب الخصوم، وضرب بعضاه صدر الأعشى، فانفجر منه سيل يغرق بل كان يحرق ، فإذا غريمه "جهنام" مصعوق بسحره أو غريق في بحره.[1]

وقال الأعشى في ذلك:[2]

فلمّا رأيت النَّاس للشرِّ أقبلـــوا وثابوا إلينا من فصيح وأعجـــمِ
دعوتُ خليليّ مسْحلا ودعو له جُهنام جدعا للهجين المُذمّـــمِ
حباني أخي الجنِيُّ نفسي فِداؤه بأفيح جيّاش من الصّدر خضرم

وعلى ضوء ما قيل عن نشأة شعر الهجاء والطقوس التي كانت تحيط به، فإننا نعدُّ الهجاء غرض شعري وُجد منذ القديم، ووجوده أمر طبيعي، فمثلما وجد المدح وُجد القدح يقول محمد مصطفى هُدارة: « الهجاء من الفنون القديمة ، التي وُجدت في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، ووجوده أمر طبيعي مع وجود المديح فحينما وُجد أناس يستحقون المديح، وُجد آخرون يستحقون الهجاء، وقد تطور هذا الفن تطوراً كبيراً ، منذ الجاهلية لتغيّر الأسباب الدافعة إليه وتطور الذوق العام من عصر لعصر».[3]

ونجد مارون عبود، ينتهج نفس مذهب مصطفى هدارة ، في رؤيته لشعر الهجاء « والهجاء وليدُ المدح والفخر، فقد كان العرب في أوّل عهدهم يمدحون ويفخرون

---

[1] غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه ، أغراضه، أعلامه، فنونه ، دار الإرشاد، حمص، سوريا ط 1، 1412 ، 1992، ص 190.

[2] الأعشى، ديوان الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص 160.

[3] محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د، ط) 1963، ص 418.

ومن يمدح نفسه ويفخر بقومه، لابدَّ أن يتعرض لذمّ من يفتخر عليه، وهكذا انبثق هذا النوع من الشعر».[1]

المطلب الخامس: أنواع الهجاء:

لم تكن مضامين الهجاء عند الشعراء تدور في اتجاه واحد، بل تطورت عبر الزمان تزامنا مع تطور الحياة في جهاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، واتخذ أشكالا مختلفة ، فإذا درسنا مضامين الهجاء، نجد اتجاهات عديدة يصعب جمعها في إطار محدد يشملها كلها [2]، ولمصطفى هدارة نفس الرأي:«الشعر في كل أمة خاضع لتطور حياتها في النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية هي التي تحدد مجراه ومساره واتجاهاته ، وهي التي تفرض عليه ما شاءت من التغييرات من طور إلى طور، وتتبدل موضوعاته وصوره وألفاظه وأساليبه، وتستثار فيه معان جديدة وتغلب عليه صياغة لم تكن مألوفة» [3]

1-الهجاء الشخصي:

وهو التنديد بالمعايب الشخصية [4] وهو أقدم أنواع الشعر الهجائي ، يعتمد على مهاجمة الأفراد في خُلقهم ؛ وذلك بإبراز العاهات النفسية والعيوب المعنوية للسخرية من أصحابها، وحمل الناس على الإبتعاد عنها، وهذا النوع يعتبر دعوة

---

[1] مارون عبود ، أدب العرب ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر، (د، ط)، 2014، ص 75.

[2] ينظر:عبد الغني إيرواني زاده ، جمال طالبي ، دراسات في الهجاء السياسي عند شعراء الشيعة " دعبل الخزاعي السيد الحمري" ، ديك الجن ، مجمع ذخائر الإسلامي ، إيران ، 2015، ص 53.

[3] محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص 28.

[4] سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، مج 3، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د، ط)،(د، ت) ص08.

للإصلاح وحربا شعواء على الشّر والرذيلة ، لما فيه من نقمه صريحة، وظاهرة على المفاسد الأخلاقية. [1]

2-**الهجاء السياسي:** هو الهجاء الذي يرى في صاحبه بأنه مثله الأعلى في حزب من الأحزاب، أو طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب، فهو يهاجم كل ما يتعارض مع هذه المثل من نقائص ومعايب، تتمثل في أنصار حزب آخر. [2]

3-**الهجاء الديني:** يستهدف هذا النوع من الهجاء الأديان المختلفة، وعقائد الناس ويريد أن يسخر من شعائر الدين، ويستهزئ بالأحكام وينتقد الشرع ويعتبر محمد حسين أن الهجاء الديني قسم من أقسام الهجاء السياسي، لأنه صاحب الحركة الإصلاحية الخطيرة ،التي بدأت في الجزيرة العربية بظهور الدين ودعوته إلى دين جديد ، فقد كان للإسلام إلى جانب صفته الدينية ، صفة سياسية تهدف إلى توحيد الجزيرة وخلق دولة كبيرة ، تخضع لسلطة مركزية واحدة.[3]

4-**الهجاء الاجتماعي:** تدخل موضوعات متنوعة في إطار الهجاء الاجتماعي مثل أن يتناول الشاعر الحالة المعيشية والإقتصادية للشعب في المجتمع[4] فهو نقد للحياة الاجتماعية من جميع جوانبها ، مثل الفوارق الطبقية بين الناس وما يرافق ذلك من غنى فاحش وفقر مدقع، أو الإنحرافات الإجتماعية.[5]

---

[1] راجي الأسمر، أروع ما قيل في الهجاء، ص 08.

[2] محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص 163.

[4] عبد الغني إيرواني، جمال طالبي، دراسات في الهجاء السياسي عند شعراء الشيعة " دعبل الخزاعي السيد الحمري" ديك الجن، ص 55.

[5] راجي الأسمر، أروع ما قيل في الهجاء، ص 10.

ونستطيع أن ندرج في الهجاء الإجتماعي، الهجاء الأخلاقي، وهذا ما يؤكده قول محمد حسين:« الهجاء الأخلاقي موضوعه الجرائم الأخلاقية أو المفاسد الإجتماعية والعادات القبيحة والعيوب الإنسانية» [1] وربما كان الهجاء والتنديد بالرذائل فرعا من الهجاء الاجتماعي، لأن هذا الضرب من الهجاء يعتبر الأرقى ولأنه أقرب إلى النقد التربوي والتوجيه الخلقي. [2]

وعلى ضوء ما سبق، يتضح لنا جليا أن الهجاء غرض شعري، عرفه العرب منذ القديم فمثلما وجد المدح وجد القدح ، وإن كان هناك أناس يتوجب مدحهم ، فهناك آخرون ينبغي ذمهم ، خاصة إذا حادوا عن المنهج المستقيم ، وتجردوا من المعايير الإنسانية والأخلاقية الفاضلة ، ومضامين الهجاء لا تدور حول موضوع واحد، فللهجاء ضروب مختلفة تقتضيها تطورات الحياة السياسية أو الاجتماعية المحيطة به .

[1] محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 23.

[2] ينظر: غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص 196.

المبحث الثاني: الهجاء السياسي والاجتماعي وتطوره عبر العصور:

المطلب الأول: الهجاء السياسي والاجتماعي في العصر الجاهلي:

1. الهجاء السياسي في العصر الجاهلي:

اختلفت آراء النقاد والباحثين في وجود هذا النوع من الهجاء في الشعر الجاهلي ويعتبر الهجاء القبلي اللبنة الأولى للهجاء السياسي، لأن الوطن عند الجاهليين لا يصور حدوداً جغرافية معينة ، كما يتصورها اليوم من هذه الكلمة، لكن الوطن عندهم يصور جماعة من الناس تربطهم أواصر من النسب ، قد انبنت عليها حياتهم ، فعاشوا في حدود هذا التصور الصحيح أو المزعوم، وقد ارتبطت مصالحهم متضامنين في الخير والشر يدا واحدة على كل من يعاديهم.[1]

لقد كان الهجاء القبلي بمثابة تعبير عن روح جماعية من خلال رؤية الشاعر وهذا يقترب من الإعلام المعاصر، الذي يقوم في حالة الحرب ، حين توجه الدولة إعلامها للهجوم بالكلمة على الدولة المعادية وإظهار مثالبها وإقامة الحجة عليها[2] فالشعراء الهجاؤون أقطاب السياسية اللّسانية، ولم يبلغوا أن يكونوا كذلك حتى كانت فيهم السلطة والسلاطة معا.[3]

ولما صار للهجاء في القبائل هذا الشأن إعتقدوه سياسة، صار البيت الواحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعدد والفعال، فيدور بهم الناس دوران الرحى[4]« أما الهجاء القبلي، فهو في الواقع ليس شعرا سياسيا بالمعنى الدقيق لكنه يصور الشعر السياسي

---

[1] بتصرف: محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 114.

[2] حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة، مصر ط1، 1421، 2001 ، ص 102.

[3] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العربي، ج3، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان ، ط1، 1421،2000 ص 69.

[4] المرجع نفسه، ص 65.

في طوره البدائي عند العرب»[1] فاللسان كان ينكأ بهجائه في الأعداء، نكأ السيوف والرماح، ويخيل إلى الإنسان كأنما شعراء القبائل بجانب فرسانها وشجعانها في صفوف وقد أخذ كل منهم يريش سهام هجائه، ويرمي بها أعدائه من الأشراف والقبائل، وكان يحاول أن يكون سهمه أنفذ السّهام وأصّمها، حتى لا تقوم للشريف وقبيلته قائمة. [2]

كان الشعراء يهجون القبائل ذات الفضل والشرف الكثير، وقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بعض القبائل، التي أهلكها الهجاء ، وكان فيها فضل وشرف فقال:«وفي نمير شرف كبير، وهل أهلك عنزة وجرماً وعُكلا وسلول، وباهلة إلاّ الهجاء؟! ولهذه القبائل فضل كبير وبعض النقص، فمحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء» [3]

وكان لهذا الضرب من الهجاء وقع على نفوس أشراف القبائل وساداتها، فقد كان الخوف من الهجاء أظهر من إرتياحهم للمدح، وإنهم كانوا من ألسنة الشعر الحداد على حذر، فهم يعايشونهم ويحاذرونهم، كما يعايش سكان المناطق البركانية براكينهم المخوفة وكما يحذر أهل الغابات الكواسر والضواري. [4]

وقد دار هجاؤهم على كل ما يناقض مُثلهم ، التي كانت تجمعها كلمة المروءة فيقوم الشاعر بتجريد القبيلة وأشرافها من كل الفضائل، ولا يكتفي الشعراء الهجاؤون بذلك فقط بل يتعرضون لمخازي القبيلة في حروبها وأيامها، التي ولّت فيها منهزمة مُنكَّسةَ

---

[1] محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 23.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 200.

[3] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط 7، 1418 ، 1998، ص 36.

[4] ينظر: غازي طليمات، وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص 180.

الأعلام،[1] وكان الشعراء ألسنة قبائلهم، ونوابها في السياسة العامة، وكانت العصبية القبيلة هي المحرك الرئيسي لهذا الفن.[2]

وبعد أن عرضنا الهجاء القبلي، الذي إعتبرناه اللبنة الأساسية في الهجاء السياسي في العصر الجاهلي، ها نحن الآن إزاء تطور الهجاء، هجاء لا يوجهه الشاعر إلى قبيلة من القبائل التي إعتاد مهاجمتها، بل يوجه سهام هجائه إلى ملك وأمة غير الأمة العربية « هذا الهجاء الذي وجّهه أصحابه إلى الملوك الذين أقاموا إماراتهم على أطراف الجزيرة كالنعمان بن المنذر[3] و عمرو بن هند[4]، وهذا الهجاء يتجاوز مستوى الهجاء القبلي لمرتبة الهجاء القومي ».[5]

والشاعر ينجح واقعيا وفنيا، حين نراه يقدم نموذجا شعريا معبرا من خلاله عن رؤيته وموقفه من الأخطار التي تهدّد أمته،[6] هناك هجاء وجّهه أصحابه إلى الملوك الذين أقاموا إماراتهم على أطراف الجزيرة، كالنعمان بن منذر وعمرو بن هند، المتلمس[7] يهجو يهجو المتلمس عمرو بن هند قائلا: [8]

---

[1] ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي الجاهلي، 1: 201.

[2] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 3: 66.

[3] **النعمان بن المنذر:** (582م/ 609 م) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، الملقب بأبي قابوس كان مسيحيا ، تسلم مقاليد الحكم بعد أبيه، وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام. كان داهية مقداما وهو باني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى .(ينظر الزركلي ، الأعلام 43:8.)

[4] **عمرو بن هند:** عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان اللخمي المشهور بعمرو بن هند الملقب "المحرق الثاني 554 – 569 وأمه هي هند بنت آكل المرار الكندي(الزركلي، الأعلام ،8 : 108.)

[5] غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص 104.

[6] حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، ص 117.

[7] **المتلمس الضبعي:** (50 ق–هـ/ 569 م) جرير بن عبد العرب أو عبد المسيح، من بني ضبيعة من ربيعة شاعر جاهلي من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد، كان ينادم عمرو بن هند ملك العراق، ثم هجاه فأراد قتله ففر إلى الشام، ولحق بآل حفنة. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 2: 119).

[8] المتلمس الضبعي: الديوان المتلمس الضبعي، تح: حسن كامل الصيرفي، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة مصر، 1390 ،1970، ص 46.

أطردتني حذَرَ الهجـاءِ لا واللهِ والأنْصـــــابِ لا تئـــلِ
ورهنتني هنداً وعرضك في صُحفٌ تلوح كأنَّـــــــها خللِ
شرَّ الملوك وشرّها حسبـــاً في الناس من علمُوا ومن جهِلوا
الغَدر والآفاتُ شيمتـــــهُ فافْهـــمْ فعرقوبُ لـــــــه مثلُ

وقال يزيد بن الخداق الشني[1] يهجو النعمان بن المنذر: [2]

نعمانُ إنّك خائـــنٌ خدعٌ يُخفي ضميرك غير ما تُبدي
نعمانُ بدَا لَكَ نحتُ أثْلتناَ فعليكما إن كنت ذا حـــــردِ

و قدم الأعشى نموذجا من الهجاء السياسي قُبيل معركة "ذي قار" [3] وكان كسرى[4] كسرى[4] قد طلب من "بكر" أن يسلموا حلقة النعمان، ويقدموا مائة غلام يكونون رهنا لهم، وخيَّرهم
بين ذلك، وبين الجلاء عن أرضهم ، أو القتال فاختاروا القتال [5] ، وكان الأعشى شاعر هذه الحرب، حيث تصدّى للفُرس يهجوهم: [6]

---

[1] **يزيد بن حذاق الشني:** يزيد بن حذاق الشني العبدي من بني عبد القيس شاعر جاهلي ، كان معاصرا لعمرو بن هند (ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء، 6: 138-139.)

[2] الضبي، المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط6، (د، ت) ص 296.

[3] **يوم ذي قار** : هذا اليوم هزم فيه العرب ملك الفرس كسرى ،وراسلت قبيلة بكر بن وائل وقوم مهلك ، والتقى الزحفان وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اليوم أول يوم إنتصفت فيه العرب من الفرس وبي نصروا". (ينظر، ابن عبد ربه العقد الفريد 6: 111-112)

[4] **كسرى:** آخر الأكاسرة واسمه يزد جرد بن شهريار بن برويز المجوسي الفارسي، ثار عليه أمراء دولته وقتلوه. (ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 3: 102).

[5] حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا وفون ونصوص، ص 117.

[6] الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب، الجماميز، مصر، (د، ط) (د،ت)، ص 229-231.

منْ مُبلغً كسرى إذا ما جاءهُ عنّـي مالك مُخمشـات شُرَّدا
آليت لا نعطيهِ من أبنائنـَـا رهناً فيفسِدهم كمنْ قـد أفسـداً
حتّى يفيدك من بنيهِ رهينـةَ نعش ويرهنك السَّماك الفَرْقـدَا[1]
إلّا كخارجة المكلّف نفسـهُ وابني قبيصة أن أغيب ويشهدَا
أن يأْتياك بِرُهْنِهم فهمَـا إذن جُهدا وحُقَّ لخـائفٍ أن يَجهدا
كلاَّ يمين الله حتّى تَنزِلُـوا من رأسِ شاهقةٍ إلينـا الأَسْودَا
لنُقاتلنَّكُم علـى ما خـيلتْ ولـنجعلنَّ لمن بغىَ وتـمرَّدا
فاقعدْ عليك التَّاج متعصّبا بـه لا تطلبنَّ سوامـنا فتعبّـدا

وقال دريد بن الصمة[2] في الهجاء ملك الفرس كسرى ويسخر منه، ومن تتبعه من الذين لايحفظون العهد، ويعيرهم بالجبن والخوف من الموت، فشبههم بالبنات المتبخترات في الحرير قائلا:[3]

ويلٌ لكسرى إذا جالتْ فوارسُنـا في أرضهِ بالقَنـا الخطيّـة
أولادُ فارسَ ما للعهدِ عندهـمُ حفظٌ ولا فيهم فخـرٌ لمُفتـخرُ
يمشونَ في حللِ الديباج ناعمةٍ مشىَ البناتُ إذا ما قمْنَ في السّحر

إلى أن يقول:

الموتُ حُلو لَمَّا لاقَتْ شَمائِلُهم وعندَ غيرهم كالحنظل الكَـدرِ

---

[1] **بنات نعش:** سبعة كواكب أربعة منها على شكل مستطيل، وثلاث بنات كالذيل، السمّاك الفرقدا: كوكبان نيّران (ينظر الأعشى ، الديوان ص231.)

[2] **دريد بن صمة:** (ت 8 هـ/630 م): دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوزان شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، كان سيّد بني جشم وفارسهم وقائدهم عمّر طويلا، أدرك الإسلام ولم يسلم، قتل على دين الجاهلية يوم حنين.(ينظر: الزركلي، الأعلام، 2: 339.)

[3] دريد بن صمة، ديوان دريد بن الصمة، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت) ص 98-99.

والنَّاسُ صِنفان هذا قلْبهُ خرفٌ عند اللّقاء وهذا قدَّ من حَجــرِ

ومن خلال هذين النموذجين في الهجاء السياسي للأعشى ولدريد بن الصمة، يتضح لنا جليا أن الشاعرين في هجائهما لملك الفرس كسرى، كانا يهجوان بدافع من الوطنية وإنا نعدهما بطليين سياسيين وزعيمين وطنيين.

2. الهجاء الاجتماعي في الجاهلية :

نشأ العرب في الجاهلية على أخلاق اجتماعية، حافظوا عليها وتمسكوا بها، وكانت لهم مثل عليا، مدحوا من أخذ بها، وذمُّوا من حاد عنها، وقد عرفنا أن الشجاعة والكرم وحماية الجار والأخذ بالثأر والذود عن الحمى والحفاظ على العرض، كانت صفات متوارثة، [1] ولا شك أن الشاعر الجاهلي كان حريصا على إنتقاد بعض الناس ، وهجائهم إذا سلكوا سلوكا معيبا، أو غير ملتزم بالمجتمع و القيم، فهذا الحارث بن حلزة اليشكري[2] ينتقد عمرو بن فراشة، لسوء قيادته لقومه، بعدما كانوا على صلاح ، فيقول: [3]

أعمرو بن فراشةَ الأشيــــمُ صَرمْتَ الحِبال ولم تَصْدم

وأفْسدْتَ قومكَ بعد الصَّلاحِ بَني يَشكرَ الصَّيد بالمُلهـمِ

ويعتبر شعر التنديد بالرذائل من الهجاء، لأنه إلى النقد التربوي أقرب وبالتوجيه الخلقي أشبه، وفيه نصح وإرشاد وتقويم وإصلاح.[4]

---

[1] محمد سامي الدهان، الهجاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، 1957، ص 77.

[2] **الحارث بن حلزة البشكري:** (ت نحو 50 ق هـ/ نحو 570 م) الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوازلي شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات.(ينظر: الزركلي، الأعلام، 2: 154.)

[3] الحارث بن حلزة ، ديوان الحارث بن حلزة، تح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1 1411 1991، ص 57.

[4] غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص 190.

و هجا عروة بن الورد[1] أمير الصعاليك، الصعلوك الخامل الذي يأوي في الليل إلى بيوت الأغنياء ، ليصيب فتات الموائد، فطفق يسخر منه ضؤولته ، ورضاه باليسير من القوت ، وعيّره باللؤم والأثرة ، فقال:[2]

لَحَى الله صُعلوكا إذا جنَّ لَيْلُهُ مَضَى في المَشاشِ أَلَفَ كُلَّ مَجْزر[3]
يَنَام عِشَاءً ثم يُصبِحُ ناعســاً يحثُّ الحَصــى عن جنبه المتَعَفّــرِ
قليل التماس الزّاد إلّا لنفســه إذا هو أمْسَــى كالعريش المجــوّر[4]
يُعين نساءَ الحي لما يستعنَّهُ ويُمسي طليحاً[5] كالبعيرِ المُحسَّــرِ

ونَدَّد طرفة بن العبد[6] بالذليل البطيء للمكارم، السريع إلى الفواحش الذي يدفعه الناس عنهم إشمئزازا من دنائته، قال طرفة بن العبد: [7]

لا تجْعليني كامرئٍ ليس همُّــــه كَهمّي لا يُغني غنائي ومشْهدي

---

[1] **عروة بن الورد** (ت 30 ق.هـ/ نحو 594م):هو عروة بن الورد بن زيد العيسى من غطفان من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها، كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم قال عبد الملك بن مروان:"من قال أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد". (ينظر: كامل سليمان الجبوري، معجم الشعراء ،3: 380.)

[2] عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد، تح: أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1418 1998، ص 68.

[3] **المشاش:** كل عظم لامخ فيه، يمكنك تتبعه ومشه مشا: مصه ممضوغا، رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها. (ينظر لسان العرب مادة(مشش)،ج 6:37/ مجزر: بكسر الزاي ، موضع الجزر، المذبح (ينظر، لسان العرب مادة (جزر)، 4 :135.

[4] **العريش:** ما يستظل به من خشب أو جريد، ينظر لسان العرب مادة (عرش)، 6: 314/ المجور: الساقط تجور أي سقط وتجور على فراشه اضطجع. ، ينظر، نفس المصدر، (مادة جور)، 4: 155.

[5] **طليحا:** الطلح والطلاحة: الإعياء والسقوط ، وقيل رجل طليح أي فاسد لا خير فيه ، ويقال بعير طلح وطليح ينظر لسان العرب ، مادة (طلح) 530:2

[6] **طرفة بن العبد:**(نحو 86–60 ق.هـ/ نحو 538–564 م) : هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أصحاب المعلقات، إتصل بالملك عمرو بن هند بلغ الملك أن طرفة هجاه فقتله وهو ابن عشرين عاما ،وقيل ابن ست وعشرين.(ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء، 3: 12.)

[7] طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري ، تح: درية الخطيب و لطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط 2، 2000، ص 56–57.

بطيءٌ عن الجليّ سريع إلى الخنَى ذليلٌ بأجماع الرّجال ملهّـــــد

فلو كنت وغْلاً في الرجال لضرّنـــي عداوة ذي أصحاب المُوَحَّـــــدِ

إن هذا النوع من الهجاء، يكشف عن خطورة الشعر، في إبراز العيوب الاجتماعية والشخصية، ومن هنا يتضح أن للهجاء الجاهلي وجهان : وجه نافع حين يعكس موقفا للشاعر، يتجاوز به النزوات الشخصية كانت أم قبلية ، وآخر حين يوجه الشاعر للجماعة أو بعض أفرادها أو أعدائها نقدا موضوعيا يقوم على النفع العام. [1]

وعلى ضوء ما سبق نلحظ أن الشعراء في العصر الجاهلي، قد سلطوا الضوء على واقعهم السياسي والاجتماعي ، فانتقدوه من خلال غرض الهجاء.

المطلب الثاني: الهجاء السياسي والاجتماعي في صدر الإسلام:

تغيرت مع الإسلام كل القيم الجاهلية التي كانت سائدة بين العرب، وانهارت لتحلّ محلها القيم الإسلامية ، التي نشرها الرسول صلى الله عليه وسلم، وعزّزها الخلفاء الراشدون بعده ، واعتبر فن الهجاء إثما كبيراً ، لا يجوز أن يجري به لسان الشاعر روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من قال في الإسلام هجاءً مقذعاً فلسانه هدر»، إلاّ أن الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة لاقى كل أنواع المعارضة خاصة بسلاح شعر الهجاء ، وكان الشعراء الذين أسلموا ، يردُّون على القريشيين بالشعر، فيهجونهم ويذودون عن الإسلام بالشعر.[2]

---

[1] حسن عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص ، ص 113.

[2] سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، مج3، دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت) ص 21.

واشتدت الخصومة بين الرسول صلى الله عليه وسلم والكفار، فجرّدوا عليه الألسنة والأسنة، وبدأ هذه الحملة "عبد الله بن الزعبري[1] وعمرو بن العاص، وأبو سفيان، فآذوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه بقوارص الهجاء، فهاج ذلك من شاعرية المسلمين وودُّوا لو يأذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمساجلتهم. [2]

فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالرّد على المشركين، ونستشهد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت[3]:« شن الغطاريف[4] على بني مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام، وتحفظ بيتي منهم» فقال حسان:« والله لأسلنّك منهم سلّ الشعرة من العجين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أيّد الله حسانا في هجوه بروح القدس» [5]،وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر وأثاب عليه، وندب حسان بن ثابت، وقال "إنّ الله ليؤيدُه بروح القدس ما نافح عن نبيه».[6]

---

[1] **عبد الله بن الزعبري:** (ت نحو 15 هـ/ نحو 636 م) عبد بن الزعبري بن قيس السهمي القرشي شاعر قريش في الجاهلية كان شديدا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب وقال فيه حسان أبياتا بلغته فعاد إلى مكة، وأسلم واعتذر ومدح النبي (ص) فأمر له بحُلَّة. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 4: 87.)

[2] أحمد حسين الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت) ص 103.

[3] **حسان بن ثابت:** (ت 54 هـ/ 674 م): هو أبو عبد الرحمان أبو الوليد حسان ابن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي وأمّه وهو أحد المعمرين من المخضرمين عاش مائة وعشرين سنة. كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) في النبوة، وشاعر اليمن كلما في الإسلام. (ينظر: عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، ص 102.)

[4] الغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد الكريم. (ينظر: أحمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 6: 127)

[5] أحمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، ج6، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 1404 ، 1983، ص 127.

[6] إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: زكي مبارك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط4، (د، ت)، ص 42.

1-الهجاء السياسي في صدر الإسلام:

إعتبر محمد حسين صاحب كتاب الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، الهجاء الديني قسم من أقسام الهجاء السياسي، لأنه صاحب الحركة الإصلاحية الخطيرة، التي بدأت في الجزيرة ، بظهور النبي ودعوته إلى دين جديد ، فقد كان للإسلام إلى جانب صفته الدينية صفة سياسية، تهدف إلى توحيد الجزيرة ، وخلق دولة كبيرة تخضع لسلطة مركزية واحدة. [1]

لقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قيمة هذه الحرب الكلامية، وما تترك من أثر في نفوس الناس، فنظم الدعاية حول الدين، وعني بالرّد على شعراء قريش، نادبا لذلك بعض الشعراء من المسلمين فكان الهجاء والقتال متلازمين في نشر الدعوة.

يقول حسان بن ثابت: [2]

لنا في كل يوم من مَعــدٍ سِبابٌ أو قتالٌ أو هجـــــاءُ

فنُحكمُ بالقوافي مَنْ هَجانا ونضْربُ حين تَختلِط الدّماءُ

لِساني صارمٌ لا عيبَ فيه وبَحـــــري لا تكدُّره الدِّلاءُ

لقد حمل لواء شعر الهجاء للردّ على الكفار، ولنصرة الدين ونبيه الكريم ثلاثة من الشعراء صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك [3] يعارضهم بمثل

---

[1] ينظر: محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 163.

[2] حسان بن ثابت، الديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح: عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 1414 ، 1994، ص 20-21.

[3] **كعب بن مالك:** توفي سنة 50 هـ: هو ابن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، الخزرجي العقبي الأحدي. شاعر النبي محمد وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم.(ينظر عزيزة فوال البابتي، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، ص139.)

قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب ، وكان الشاعر عبد الله بن رواحة [1] يعيرهم بالكفر،[2] فيتوجه بالخطاب إلى أبي سفيان بأنه إذا لم يسلم، ويسجد لله مخلصا فإن الخزي سيصيبه في الدّارين معا، وأنه سيخلد في جهنم أبدا: [3]

فأبلغْ أبا سفيان إمّا لَقِيتـــــهُ لئن أنْتَ لم تخلص سجوداً وتُسلم

فأبشر بخزيٍ في الحياة مُعجَّلِ وسِربال قارٍ خالداً في جهنـــــمُ

ثم يتوجّه بالخطاب إلى قريش، ليخبرهم أن الأمور دول، وأن الحرب سجال ويذكرهم بما كان يوم بدر[4]،يوم صُرع فيه أكابر قريش ورؤساؤها: عتبة والوليد وشيبة ورأس الكفر أبو جهل:[5]

ألا منْ مبلغٌ عنّـي لؤيًـــا فبعد اليوم دائِـلـــةٌ تـــدولُ

وقبل اليوم ما عرفوا وذاقـوا وقائعنا منها يشفـــى الغليـــلُ

نسيتم ضربنا بقُليـبِ بـــدرٍ غَداةَ أتاكمْ المـــوت العجيـــلُ

غداةَ ثوى أبو جهل صريعا عليه الطير حائمـــةٌ تجـــولُ

وعُتبةَ وابْنهُ خرًّا جميعـــا وشيْبةَ عضَّهُ السّيـف الصقيـلُ

---

[1] **عبد الله بن رواحة:** (...-8هـ/... 629 م) صحابي بدري وشاعر وقائد عسكري، وأحد نقباء الأنصار الاثنا عشر شارك في غزوات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان أحد الشعراء، الذين يدافعون بشعرهم عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، استشهد في يوم مؤتة ، وهو قائد المسلمين أمام الروم وحلفائهم الغساسنة.(ينظر كامل سلمان الجبوري معجم الشعراء،3:246.)

[2] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ، تح: شوقي ضيف ، دار الهلال،(د، ط)، (د، ت)، ص 151.

[3] عبد الله بن رواحة ، ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، تح: وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1401، 1981، ص 90.

[4] **غزوة بدر الكبرى** : وقعت يوم 17 وقيل يوم 19 من شهر رمضان ، وكانت يوم الجمعة ،وفيها هزم الله المشركين وقُتل فيها أئمة الكفر ومنهم أمية بن خلف ، وعتبة وشيبة وأبو الحكم (ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ،2 : 14-23)

[5]عبد الله بن رواحة، ديوان عبد الله بن رواحة ، ص 113.

وتركنـا أُميَّةَ مجعلبـًـــــا وفي حيزومهِ[1] لدنٌ نبيـــــل

ألا يا هندُ فابكى لا تُمِلِّـي فأنت والله الـــعَبْرى الهبـــولُ[2]

ألا ياهند لا تُبْدي شماتـًا بحمزةَ إنّ عزّكـــــم ذليـــلُ

ومن الباحثين من يعتقد أن القرآن الكريم ، قد سبق هذه الحرب وهذا الوعيد، فكان المعلم العظيم في الهجاء الديني، تناول المشركين والكفار فأصلاهم نارا حامية، وصبَّ عليهم سوطا من عذاب، وهجا الشعراء المشركين فجعلهم في كل واد يهيمون. [3]

يرى الباحث سامي مكي العاني:« أن القرآن قد هجاهم بأسلوب جديد، يعتمد على تسفيه معتقداتهم، ومناقشة حججهم، ثم إبطالها وفضح ما يسرون، وماكانوا به يتآمرون» [4] ، يقول محمد حسين: « نحن لا نأتي بجديد ولا ندعي شيئا خطيرا، حين نقول أن في القرآن هجاء، فالعرب أنفسهم نظروا للآيات، التي تعرضت لهم ولآلهتهم بالتسفيه على أنها هجاء».[5]

وندعم هذه الآراء بما ورد في السيرة النبوية ، قال ابن إسحاق: « ذُكر لي أنّ أُمّ جميل –حمالة الحطب– حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فهر من حجارة، وقفت عليهما، أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إني لشاعرة» ثم قالت في هجائه:

---

(1) **مجعلبا:** جعلب هو الدنيء من الرجال ، وقيل :هو الضعيف الذي لا خير فيه. (ينظر، ابن منظور لسان العرب (مادة جعلب) ج1: 267./ **الحيزوم** : وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام (ينظر، ابن منظور، لسان العرب مادة(حزم) 12: 132 .)

(2) **الهبول** :الهبول من النساء الثكول. (ينظر ابن منظور لسان العرب ، مادة (هبل) ، 11: 686)

(3) محمد سامي الدهان، فنون الأدب العربي، الهجاء، ص 70.

(4) سامي محمد العاني، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، الكويت، (د، ط)، 1996، ص 116.

(5) محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص 178.

..... [1]عصينا وأمره أبينا

ودينه قلينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ فقال: « ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني». [2]

ولما تمَّ النصر للمسلمين في رحاب الإسلام وشريعته، منع الخلفاء الراشدون الهجاء وما يتصل به، [3] وكان موقفهم امتداد لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: « من قال في الإسلام هجاءً مقذعاً فلسانه هدر» [4] ، وفسر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإقذاع حين أطلق الحطيئة من سجنه، بسبب هجائه للزبرقان بن بدر تفسيراً أخلاقي بمعنى أنه يوقع العداوة والبغضاء . [5]

واتبع عثمان رضي الله عنه سنة عمر رضي الله في التشديد على من يسلقون المسلمين بألسنة حداد، وقصته مع ضابي بن حارث البرجمي [6] حين رمى امرأة من المسلمين ونعتها بالكلب، فقال:« ويلك ما سمعت أحداً ، رمى إمرأة من المسلمين

---

[1] أُسقطت اللفظة من شطر البيت الأول ، لأنها لا تناسب مقام رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، تح: عبد السلام تدمري، ج2 ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1410، 1990 ص 9-10.

[3] مصطفى الشكعة، رحلة الشعر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1418 ، 1997، ص 30.

[4]شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 7، (د، ت)، ص 45.

[5]محمد مصطفى هدارة، إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، مصر،(د، ط) 1963، ص 419.

[6] **ضابي بن حارث البرجمي** (...نحو 30 هـ/... نحو 650 م) : ضابئ بن الحارث بن أَرْطاة، من بني قيس بن حنظلة، شاعر خبيث اللسان كثير الشرعرف في الجاهلية ،أدرك الإسلام ،سجنه عثمان بن عفان رض الله عنه لأنه تعرض بالهجاء لقوم من بن ينهشل، لبث في السجن إلى أن مات (ينظر، الزركلي ، الأعلام ،212:3)

بكلب غيرك ، وإني لذلك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنزل الله فيك قرآنا، ولو كان أحد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء، لقطعت لسانك».[1]

وعلى ضوء ما سبق يتضح لنا أن الهجاء السياسي في عصر صدر الإسلام هجاء صادق لا تكلّف فيه ، لم يندفع الشعراء إليه حباً للتكسب، بل ذوداً عن دين الإسلام ورسوله الكريم وأملا بالثواب في الدنيا، فترى فيه إرتياحا إلى حسن المصير حمله إليهم الإسلام ، فأصبحوا وفي نفوسهم أمل كبير، يجاهدون في سبيل دينهم ونبيهم، لا بغية لهم غير الجنة التي وُعدوا بنعيمها[2] مصداقا لقوله تعالى« إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ».[3]

2- الهجاء الاجتماعي في صدر الإسلام:

سكت هذا الفن بسبب السياسة الرشيدة التي تشبث بها عمر بن الخطاب، لذلك لا نرى للهجاء نشاط ، فقد أنكر الخلفاء التهاجي الاجتماعي وعاقبوا شعراء الهجاء. [4]

المطلب الثالث: الهجاء السياسي والاجتماعي في العصر الأموي:

يختلف العصر الأموي عن عصر صدر الإسلام إختلافا كبيرا من أوجه كثيرة إذ يعد إنتقال الدولة الإسلامية إلى بني أمية، إنقلابا عظيما في تاريخ الإسلام،لأنها كانت في زمن الراشدين خلافة دينية فصارت في أيامهم ملكا عضوداً، قبضوا على أزمة الخلافة بيد من حديد وتعصبوا للعرب،[5] فانشقت عصا الطاعة وانصرف العرب

---

[1] محمد بن سلام الجمحي ، طبقات الشعراء، تح: طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط) 1420، 2001، ص 71.

[2] بتصرف: بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر، ط 1، 2014، ص 254.

[3] سورة الشعراء: الآية 227.

[4] محمد سامي العاني ، الإسلام والشعر، ص 178.

[5] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، تح: شوقي ضيف، (د، ط)، (د، ت)، ص 203.

من جهاد العدو إلى جهاد أنفسهم باللسان والسيف، وتفرقوا أحزابا وشيعا، بعضها للدين وبعضها للدنيا. [1]

1-الهجاء السياسي في العصر الأموي:

كان الهجاء السياسي من أظهر فنون الشعر في العصر الأموي ، لقد عرف الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ، وحلفاؤه ما للشعر من أثر في نفوس الناس، فحرصوا على أن يجمعوا حولهم أكبر قدر ممكن من الشعراء ، ولم يجدوا حرجا من أن يتألفوا قلوب أصحاب النفوذ والجاه والمال والعطاء، فلازم هذه الحركات العنيفة والحروب المضطربة شعر كثير مضطرب عنيف ، يؤيد الطامعين في الحكم والمحاربين في سبيله ويهاجم خصومهم وأعدائهم. [2]

لقد فشا شعر الهجاء السياسي فشوا شديدا ، حتى ليوشك أن لا يرى بين الشعراء إلا شرا مستطيرا ، وذلك أن عوامل الهجاء قد تعددت ، فالعصر عصر أحزاب ، وفتن وعصر تطاحن ديني وسياسي ، فاضطربت مذاهب الشعراء ، واختلفت طرائق القول في الدفاع عن النزاعات،[3] وتأججت نيران العصبيات القبلية في عهد بني أمية ، وتحول الهجاء في هذه الفترة ، من فن وقتي متقطع ، إلى فن دائم مستمر رغبة للتغلب عن الحكام والأحزاب واحترفه الشعراء احترافا ونظموه تنظيما،[4] وكانت أحزاب الشيعة[5]

---

[1] أحمد حسين الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت) ص 106

[2] محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، ص 17.

[3] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1986، ص 395.

[4] ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي القديم ، ص 396-397.

[5] **الشيعة:** كانوا يطالبون بالخلافة لعلي وآله ، إذ أن عليا من بني هاشم ، أولى الناس بالخلافة ، انتشر هذا الحزب في العراق إنتشارا شديدا، وتخطى الحدود إلى خراسان وغيرها، وقد وقف هذا الحزب في وجه بني أمية على أنهم مغتصبون ظالمون ، وكان رهيب الجانب فحذره الأمويون (ينظر حنا الفاخوري ،الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص317-318.)

والخوارج[1] والزبيريين [2] والأمويين [3] تصطرع و يجاهد بعضها بعضا، ووراء كل هذه الأحزاب،شعراء ينافحون عن سياسة أحزابهم ، ويظاهرونها على أعدائها، ويناضلون نضالا عنيفا،[4] وكان الكميت بن زيد الأسدي[5] عنيفا في هجائه للأمويين هجاء سياسيا ومذهبيا في آن واحد، يقول في هجائهم: [6]

ســاسةٌ لا كمن يُرى رُعبهُ النــا سُ سواء ورعيهُ الأنعـــامُ

لا كعبد الملكِ أو كولـــــــيد أو سليمانَ بعدُ أو كهشام

وقال أيضا في ملوك بني أمية: [7]

قل لبني أمية حيثُ حلُّـــوا وإن خفتَ المهنَّد والقطيعَـــــا

ألا أفٍّ لدهْر كُنت فيـــــه هدانا طائعـــــاً لكم مُطيعـا

أجــاعَ الله من أشبعتـــموهُ وأشبعَ من بُحوركــم أُجيعـــا

---

[1] **الخوارج:** حزب خلاصة آرائه أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حُرِ من المسلمين ،وخرج الخوارج عن بني أمية وناهضوهم، وكانوا فرعين ،فرع بالعراق اتخذ البطائح قرب البصرة مركزا له ، وفرع بجزيرة العرب استولى على اليمامة وحضر موت، واليمن والطائف. (ينظر المرجع السابق، حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص 318.)

[2] **الزبيريون** أتباع عبد الله بن الزبير ،كانوا يرون أن تعود الخلافة إلى الحجاز، وأن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأولين لايزيد بن معاوية ،استمر هذا الحزب نحو ثماني سنوات، وكان أضعف الأحزاب. (ينظر، المرجع السابق حنا الفاخوري الجامع في الأدب العربي القديم ، ص319.)

[3] **الأمويون** :هم أصحاب السلطة القائمة وإليهم ينتمي السواد الأعظم من الناس،وخلاصة آرائهم أن الخلافة حق مقدس ، وهي متواصلة لخلافة عثمان بن عفان الأموي ، الذي قتل ظلما ومن ثم فمعاوية وولاته وخلفاء الله في الأرض (ينظر المرجع نفسه، ص 316-317)

[4] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص 72.

[5] **الكميت بن الأزدي:** شرح هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي، التفسير: أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي تح: داوود سلوم، نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 2، 1406 ، 1986، ص 410

[6] الكميت بن زيد الأسدي، ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت ، لبنان، ط1 2000، ص 497.

[7] الكميت الأزدي ، شرح الهاشميات، ص 198.

2-الهجاء الاجتماعي في العصر الأموي:

إمتزج الهجاء السياسي بالهجاء الاجتماعي، وعدّ هذا المزج بين الهجاء السياسي والهجاء الاجتماعي من أمتع ألوان الشعر السياسي، وأكثرها دقة ووضوحا في الكشف عن معايب هذا المجتمع، الذي تعقدت فيه الحياة وتعارضت فيه الآراء والأهواء وهو لا يصور معارضة حزبية ، ولكن يصور سخطا على النظم الاجتماعية القائمة فقد تدفقت الأموال على الناس وبدأت الفوارق الاجتماعية.

المطلب الرابع: الهجاء السياسي والاجتماعي في العصر العباسي:

1-الهجاء السياسي في العصر العباسي:

كثر في هذا العصر الهجاء وتفنن فيه معظم الشعراء، لما كان بينهم من تنافس وتحاسد لكثرة الشيع والأحزاب[1]،وتميز كثير منه بالإقذاع والفحشاء ، وتجسيم العيوب والمثالب كما في تهاجي بشار بن برد[2] وحماد عجرد[3]،ولم يتورع الشعراء في هجاء الخلفاء والوزراء وغمزهم بأقبح النعوت،[4]وقد تخصص دعبل الخزاعي[5] في هجاء ملوك

---

[1] محمد عبد المنعم، محمد عبد الكريم العربي، العصر الذهبي للأدب العربي، دار الكتب، مصر، 1423، 2003 ص 60.

[2] **بشار بن برد:** هو بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي(96هـ 168 هـ) أبو معاذ، شاعر مطبوع. إمام الشعراء المولدين ومن المخضرمين، حيث عاصر نهاية الدولة الأموية، وبداية الدولة العباسية، ولد أعمى، كان هجاء مقذعا حتى خشيه الكثيرون، اتهم بالزندقة ضرب سبعين سوطا مات لها .(ينظر، عبد عون الروضان ، موسوعة شعراء العصر العباسي: 124:1)

[3] **حَمَّاد عَجْرَد:** (161هـ/777م) هو حماد بن عمر بن يونس المعروف بعجرد، يُعتبر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، عُرف بالهجاء ، وكان ماجناً متّهماً بالزندقة، كان من طبقة بشار بن برد وكان بينهما مهاجاة فاحشة مقذعة . (ينظر المرجع نفسه ص 125)

[4] ينظر: محمد عبد المنعم، محمد عبد الكريم العربي، العصر الذهبي للأدب العربي ، ص 60.

[5] **دعبل الخزاعي:** (148-246هـ/760-860م) دعبل بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل الخزاعي، نشأ بالكوفة ثم ارتحل الى بغداد، اتصل بالرشيد والمامون، كان شاعرا هجاء، لم يسلم من لسانه حتى الخلفاء، كان يميل إلى الشيعة في أفكاره. (ينظر عبد عون الروضان ، موسوعة شعراء العصر العباسي، ص 135-137/ كامل سلمان الجبوري معجم الشعراء ، 5: 156.)

ملوك بني العباس هجاء الرشيد والمأمون والمعتصم، كما هجا الواثق والمتوكل وهجا كبار رجال دولتهم. [1]

تدخل العنصر التركي في سياسة الدولة ، وسيطر على الخلافة ولما استكثر المعتصم من جنود الأتراك وغلبوا على الجيش وطغوا وآذوا الناس، عبر الشعراء عن سخطهم، تجسد ذلك في قول الشاعر دعبل الخزاعي يهجو المعتصم بالله ، ووزيره الفضل بن مروان، ويندد بالأتراك [2] قائلا: [3]

بكى لشتـاتِ الدّين مكتئب صبَّ وفاض بفرطِ الدّمع من عينـيه عزْبُ
وقـام إمام لم يكن ذا هدايـــــة فليس لـــــه ديـــنٌ وليس لــه لبٌّ
وما كانت الأنبـاءُ تأتي بمثـــلـــهِ يملك يوما، أو تَدين لـــــه العُـــربُ
ولكن كمَا قـــال الذين تتباعُـــــو من السَّلف الماضينَ إذا عظُم الخطْب
ملوكُ بني العبّاس في الكتب سبعةٌ كـرامٌ إذا عُدُّوا وثـــــامنُهم كلـــبُ
وإني لأُعْلـــي كَلبَهم عنك رِفْعـــة لأنك ذو ذنب وليس لـــــــه ذنـــبُ
كأنَّك إذا ملّكتـــنـا لشقائـــــــنَا عجوزٌ عليها التَّـــاج والعقد والإتـــبُ
لقد ضاعَ مُلك الناس إذ سَاسَ ملكهُم وصيفٌ وأشناسُ[4] وقد عظُـم الكربُ

وقال في هجاء المعتصم بعد موته وقيام الواثق: [5]

قد قُلْت إذ غيبوهُ وانصرفُـــوا في شرّ قبِر لشّر معفُون
إذهبْ إلى النار والعذابِ فما خِلتُك إلّا من الشياطيـــنِ

---

[1] ينظر: مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979 ص 327-328.

[2] محمد عبد المنعم، محمد عبد الكريم العربي، العصر الذهبي للأدب العربي، ص 51.

[3] دعبل الخزاعي، ديوان دعبل الخزاعي، شرحه: حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1414 1994 ، ص 30.

[4] وصيف وأشناس: غلامان تركيّان جلبهما المعتصم والواثق، (ينظر: ديوان دعبل الخزاعي، ص 30)

[5] دعبل الخزاعي، الديوان، ص 136.

مازلتَ حتّى عقدت بيعةٌ من أضرّ بالمسلمـــين والدّينِ

وقال بعد موت المعتصم وتولى الواثق: [1]

الحمدُ لله لا صبرٌ ولا جلـــدُ ولا عزاءٌ إذا أهلُ البلادِ رقدُوا

خليفةٌ ماتَ لم يحزنْ له أحدُ وآخرُ قام لمْ يفرحْ بـــه أحـــــدُ

فمَرَّ هذا ومَرَّ الشُّؤْم يتبعُـهُ وقامَ هذا فقام الويْـل النّكـــــدِ

2-الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي:

لقد نبهت ملكة النقد ، ففتحت بذلك باب الهجاء الاجتماعي ، الذي نضج في القرن الثاني للهجرة ، فبلغ ذروته [2] ونجد الهجاء الاجتماعي خلال بعض القصائد الطويلة وهو ثمرة نقمة الشاعر على المجتمع، وثمرة تشاؤمه الذي ينظر إلى الوجود من وراء ظلمة النفس، فلا يرى إلا شرا مستطيرا، ولا يرى إلا ظلما مستبدا، وإلا حظا يتمشى مع الخسة والإحتيال، ويناصر الجهل والرذيلة. [3]

لقد نشأت أخلاق إجتماعية أنكرها المحافظون والمتزمتون أول الأمر، وتبدلت الحياة الاجتماعية حتى لينكرها المؤرخ الدقيق أيّما إنكار، فقام صراع بين الموالي والعرب ونهضت الشعوبية، وظهر الرقيق، وفشا وجود الجواري والغلمان، و شاع الشراب، وولدت الزندقة، وتقلبت الأوضاع، فعاش العربي في جو تنكر له الشعراء المحافظون، ونادوا بخطره ونشأ الهجاء الجديد للحياة الاجتماعية الجديدة.[4]

---

[1] المصدر السابق، دعبل الخزاعي، الديوان ، ص 61.

[2] ينظر: محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، مكتبة الآداب الجماميز، القاهرة، مصر،(د، ط)،(د، ت) ص 40.

[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، ص 766-767.

[4] محمد سامي الدهان، الهجاء ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، (د، ت)، ص 78.

ونُسج الهجاء الاجتماعي في بعض القصائد الطويلة، وكان ثمرة نقمة الشاعر على المجتمع، وثمرة تشاؤمه، ونجد هذا النوع من القصيدة التي وجهها إبن الرومي[1] إلى ابن أبي سهل بن نوبخت ، الذي عامله بالتضايق وعامل غيره معاملة جود و كرم ويهاجم الشاعر الناس الذين خفَّت عقولهم ، فارتفعوا في تقدير الزمان ، فهم كالجيف المنتنة تطفوا على سطح الماء، فيما تنحدر العقول الكبيرة إلى أعماق اللجة، كما تنحدر اللآلئ والجواهر الثمينة،[2] يقول ابن الرومي: [3]

طارَ قومٌ بخفّة الوَزنِ حتـــى لحقوا رفعةً بقابَ العُقـــــابِ
ورسا الرَّاجحونَ في جِلَّة النا س رُسُوَّ الجبالِ ذاتِ الهضاب
ولما ذاك للّئـــام بفخْـــرٍ لا ولا ذاك للكـــرامِ بعـــابِ
هكذا الصَّخر راجحُ الوزن راسٍ وكذا الذرُّ شائلُ الوزن هـابِ
فليطـر معشـر ويعلوا فإنـي لا أراهم إلا بأسفـــل قـاب
لا أعـدُّ العلـوّ منهـم علوًّا بل طفوا يمينَ غيـر كـذابِ
جيفٌ أنْتنتْ فأضحَتْ على اللّ حْد والدُّرُّ تحتهَا في حجـابِ
ورجـالٌ تغلَّبـــوا بزمـــانٍ أنا فيـهِ وفيهـمْ ذو اغتـرابِ
غلبـوني بـه على كل حـظّ غير حظ يفوتُ كلَّ اغتصابِ

وانعكست النزاعات بين العرب والشعوبيين، وغيرهم من المذاهب المختلفة على اتجاه الهائجين من غير العرب، فاتجه الشعوبي في هجوه للعرب، في منحى ينطلق

---

[1] **ابن الرومي:** (221 هـ-835 م) هو علي بن العباس بن جريج أوجورجيوس الرومي ولد ببغداد ، من أب رومي وأم فارسية ، وكان أشعر أهل زمانه بعد البحتري، وأكثرهم شعرا وأبلغهم هجاء، وأدقهم وصفا حتى كأنه يرسم الصورة بالكلمات. (ينظر: عبد عون الروضان ، موسوعة شعرء العصر العباسي ، 211:1)

[2] حنا الفاخوري، الجامع في التاريخ العربي "الأدب القديم"، ص 766-767.

[3] ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3 ،1423 ،2002 ص 187.

من عقدة الكراهية،[1] كما عبر شعر الهجاء عن العصبيات، التي نشأت بسبب تعدد الفرق داخل المجتمع الإسلامي، كالمعتزلة وأهل السّنة والرّافضة والزّنادقة [2]

قال علي بن الجهم[3] يهجو أحمد بن أبي داؤد:[4]

يا أحمدَ بن أبـــي دعوةٍ بَعثتْ إليك جنادلاً وحـــديدَا
ما هذه البِدَعُ التِّي سمَّيتها بالجَهْل منك العدلُ والتوحـيدا

وقال أبو العلاء المعرّي[5] في هجاء المرائين، الذين يظهرون الورع رياءً لا حقيقة ويفعلون خلاف ما يوجه العقل: [6]

تسوَّفُوا للغِـــنى بربّهـــم وأظهرُوا خيفةً لـــه ودعوا
سَعَوا لدنياهـــم بآخـــرةٍ فبئسَ ما حالُوا غَداة سَعَوْا
وخلّفوا العقْل من ورائهـــمُ واستودعُوا كل سَوْءَةٍ فَرَعوا
ولم يَعوا ما يقولُ واعِظهُم لكن القوْلَ المخرّصِين وَعُوا

يتحدّث أبو العلاء المعري عن الإنكباب على اللهو والمجون من قبل المنحرفين:[7]

---

[1] ينظر: مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، 174.

[2] محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم العربي، العصر الذهبي للأدب العربي، ص 60.

[3] **علي بن الجهم:** (ت 249 هـ/863 م) هو علي بن الجهم بن بدر، كُنْيَتُهُ أبو الحسن، غالب أصله من أسرة عربية استوطنت مرو، شاعر مفلق مطبوع، يضع لسانه حيث يشاء، وكان هجّاء.(ينظر، كامل سلمان الجبوري معجم الشعراء 414:3.)

[4] علي بن الجهم ، ديوان علي بن الجهم، تح: السيد مصطفى عوض الكريم، مجلة الأديب، (د، ط)، 1953 ص 125.

[5] **أبو العلاء المعري:** (363-449 هـ/973-1057م): هو أحمد ابن عبد الله بن سليمان الشرخي المعري، حكيم المعرة المعروف، فقد بصره في الرابعة وسقط شاعر فيلسوف ولد وتوفي في معرة النعمان.(ينظر، عبد عون الروضان موسوعة شعراء العصر العباسي ، 20:1)

[6] أبو العلاء المعري، اللزوميات، لزوميات أبي العلاء المعري، شرح: أبو محمد عبد الله بن محمد السيد البطليوس تح: حامد عبد المجيد، ق 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991، ص 499.

[7] المصدر السابق، أبو العلاء المعري، اللزوميات، ص 369.

قدْ علمُوا أن سيخطف الشّبحُ فاغتبَقُوا بالمُدام واصْطَبحُوا
ماحافظُوا جارةً ولا فعلُـــــوا خيراً ولا في المكارمِ ربحُـوا
غالوا بأثوابهمُ فما حسنُـــــوا في ذهبِّي اللباسِ بل قُبِحـوا
دعوا إلى الله كي يُجيبهـــم سّيان هم والخواسئ النّبـــح
لا تغْبط القومَ في ظلالتهِـم وإن رُؤُوا في النَّعيم قدْ سجوا

يتحدث الشاعر عن عدم مطابقة المظهر للجوهر، فينتقد المُجّان الغارقين في الملذات، ولم يسلم من آذاهم أحد، يخفوون وراء حسن مظهرهم، زيفهم وبعدهم عن دينهم، فبعد إنغماسهم في اللهو والمجون، يتوجّهُون إلى الله بالدعاءِ، تضرّعا لعل الله يستجيب لهم، وهذا ما جعل الشاعر، يهزئ بهم ويصنفهم في فصيلة الكلاب المنبوذة.

ومن المعاني التي اتجه الهجاء الاجتماعي إليها أيضا، السخرية بالأدعياء الذين ينتسبون إلى أصل عربي وما هم بعرب[1] كما لا يجب أن نغفل اتجاها جديدا في الهجاء الاجتماعي وهو هجاء المدن والأقاليم.[2]

وعلى ضوء ما سبق ومن خلال تتبعنا لمسيرة الهجاء السياسي والاجتماعي، يتضح لنا جليا أن غرض الهجاء بنوعيه السياسي والاجتماعي، قد خضع لتطور في المفاهيم والأساليب من عصر لآخر، ويرجع ذلك لاختلاف أسبابه وظروفه ، التي تمليها الحياة السياسية والاجتماعية المتغيرة من عصر لآخر.

[1] محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي، ص 130.

[2] المرجع نفسه، ص 430.

المطلب الخامس: الهجاء في الأندلس:

تضاربت آراء النقاد والباحثين حول موضوع الهجاء في الشعر الأندلسي، بين مؤيّد لرواج هذا الفن وبين معارض ، ينفي تماما تمكن الأندلسيين من ناصية هذا اللون من الشعر، وفي ذلك يقول فوزي عيسى:« ظن كثير من الباحثين أن الهجاء لم تقم له سوق رائجة في الأندلس، بل يذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك ، فأنكر وجود الهجاء كغرض من أغراض الشعر الأندلسي، معللا رأيه بأنّ البيئة المتحضرة تعاف الهجاء وتمجّه».[1]

في حين يربط بعض الباحثين عدم رواج فن الهجاء في الأندلس، خاصة الهجاء السياسي بزوال الأحزاب السياسية في الأندلس وعدم نشاطها يقول بطرس البستاني « لم تقم في الغرب سوق رائجة للهجاء السياسي، يناضل بها الشعراء عن أحزابهم».[2]

ويذهب إحسان عباس إلى ضعف هذا الفن خاصة في عصر ملوك الطوائف « لم يكن النقد الموجه ضد الحكام قويا جهيراً في أيام ملوك الطوائف، لما يدلُّ على انسياق الأدب شعره ونثره في ركاب كل واحدٍ من أولئك الأمراء، ولذلك إنحصر الأدب في حيز إقليمي، قاصر على النظرة محدود الأفق ، فقد قوة الحدس التي تتسع لها النظرة الشاملة العميقة».[3]

---

[1] فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007 ص 5.

[2] بطرس البستاني، أدب العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، دار نظير عبود، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت) ص 58.

[3] ينظر إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن 1997، ص 117.

إلاّ أن شوقي ضيف يؤكد على ظهور الهجاء خاصة في عصر الطوائف قائلا: «ونمضي إلى عصر الطوائف، وفيه يشتدّ التنافس بين الشعراء، ويشتد معه الهجاء».[1]

ويؤكد عبد العزيز عتيق أن الأدب الأندلسي لم يخل من الهجاء، وأن الأندلسيين قد عرفوا هذا اللون من الشعر:« لم يخل الشعر الأندلسي من الهجاء، فقد اقتفى الأندلسيون أثر المشارقة في هذا الفن أيضا، مع اختلاف فيما بينهم من حيث طول الهجاء وقصره فالهجاء عند المشارقة تكثر فيه القصائد الطوال، وتقل فيه المقطعات، وهذا على عكس ما يلحظه الدارسون في هجاء الأندلسيين، حيث تكثر فيه المقطعات وتكاد تنعدم المطولات».[2]

وهذا ما سنكتشفه من خلال بحثنا، ولقد وقفنا أمام حقائق ومعلومات عديدة تؤكد على أن الأندلسيين عرفوا هذا اللون الشعري، وأنهم طاولوا فيه المشارقة، والدليل على ذلك تسمية المؤرخين لشعراء الأندلس الهجائين على أسماء فحول شعراء الهجاء في المشرق ، والسبب في إطلاق هذه التسمية يعود إلى تمكن الشعراء الأندلسيين من ناصية هذا الفن واحترافه ، فقد لقب الشاعر الأعمى المخزومي[3] ببشار الأندلس وفي ذلك يقول ابن سعيد: « بشار الأندلس إنطباعا ولسنا وأذاة، وهو الذي أحيا سنة الحطيئة بالأندلس فمُقت وكان لا يسلم من هجوه أحد ».[4]

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات ، الأندلس، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، (د، ط) (د، ت)، ص 222.

[2] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 245.

[3] **الأعمى المخزومي:** أبو بكر المخزومي كان أعمى شديد الشر معروف بالهجاء، مسلطا على الأعراض سريع الجواب، سابق في ميدان الهجاء، فإن مدح ضعف شعره. (ينظر: الإدريسي، زاد المسافر، ص 35).

[4] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2: 258.

ويذهب كذلك في جعل الشاعر اليكّي[1] في منزلة ابن الرومي والحطيئة يقول:«هذا الرّجل هو ابن رومي عصرنا، وحطيئة دهرنا لا تُجيد قريحته إلاّ الهجاء، ولا تنشط به في غير ذلك من الأنحاء».[2]

ويقول عن ابن حزمون[3]:« صاعقة من صواعق الهجاء» [4]،وقال عنه صاحب المعجب: "وله في الهجاء يدٌ لا تطاول، غير أنه يفحش في كثير منه[5] ويقول: «ولا علم في جميع بلاد المغرب بلداً، إلاّ وأهاجي هذا الرجل تحفظ وتدرس». [6]

إلا أن المصادر التاريخية والأدبية، قد أحجمت عن ذكر هذا الفن في طياتها فطوت عنه صفحاً، وعلى إثر ذلك طمست معالم هذا الفن ، الذي كان ضحية لتلك الآراء والمقاييس ، يقول ابن بسام وقد تحرّج عن ذكر الهجاء في ذخيرته لدوافع دينية وأخلاقية: «صُنتُ كتابي هذا عن شين الهجاء، وأكبرته أن يكون ميدانا للسفهاء» [7]

وسار عبد الواحد المراكشي على خطى ابن بسام، وقد صرح قائلا:« فلذلك لم أودعه في هذه الأوراق لأنّني لا أستجيز أن ينقل مثل هذا عني».[8]

---

[1] **اليكّي:** أبو بكر بن سهل اليكي من قرية يكة شمال مرسية عاش في زمن المرابطين ولحق دولة الموحدين توفي عام 560هـ. (ينظر، عيسى خليل محسن أمراء الشعر الأندلسي، ص 165)

[2] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، ج1، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط 4 ، (د، ت) ص 260.

[3] **ابن حزمون:** هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن حزمون من المرية (ينظر، عيسى خليل محسن أمراء الشعر الأندلسي، ص 166).

[4] ابن سعيد، المغرب في خلى المغرب، 2: 214.

[5] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان، ط1 2006، 1426، ص 210.

[6] المصدر نفسه ، ص 217.

[7] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق/ 1: 544.

[8] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 210.

إلاّ أنّنا نخلص أن الدافع لتجنب تأريخ الهجاء، لم يكن بدافع ديني ولا أخلاقي لأننا وقفنا على أشعار ماجنة مثل شعر التغزل بالغلمان ، وغيرها من أشعار الغزل الماجن، التي تدل على الإنحطاط الخلقي، وغياب الوازع الديني، فأين كان هذين الدافعين عند تدوين أولئك المؤرخين لمثل تلك الأشعار.

أما الرأي الوحيد الذي نوافق فيه إحسان عباس قوله:« حرص ابن بسّام على المواضعات والعلاقات الاجتماعية ، وهو يؤرخ للأحياء من معاصريه».[1]

وكان هذا هو السبب الوحيد لطمس معالم هذا الفن ، الذي بقي إلى الآن ضحية لتلك الآراء والمقاييس التي تواضعوا عليها.

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص 80.

الفصل الأول:

الحياة السياسية والاجتماعية

في الأندلس من بداية (ق 3 هـ إلى ق 5 هـ)

وأثرها على شعر الهجاء

المبحث الأول: الحياة السياسية:

المطلب الأول: الحياة السياسية في فترة الإمارة:

1-الإمارة في فترة القوة:

إستمرت هذه الفترة مائة عام كاملة (138-238هـ / 755-852 م) ، وتعتبر فترة القوة والمجد والحضارة ، وكانت الهيمنة للدولة الإسلامية ، وما حولها من مناطق.[1] تداول الحكم بعد عبد الرحمن الداخل [2] ستة من أبنائه وحفدته ، وكان نظام الحكم وراثيا يتم الإختيار له بعناية فائقة. [3]

---

[1] راغب السرجاني، قصة الأندلس، قصة الأندلس، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص 168.

[2] **عبد الرحمن الداخل:** (113-172 هـ/731-788 م): عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بصقر قريش ويعرف بالداخل الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وأحد عظماء العالم ملك الأندلس سنة 138، وأقام بها ملكا كبيرا له وعقبه. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 3: 338/ ابن الخطيب، أعمال الأعلام2: 12 الذهبي، سير الأعلام النبلاء،ج 8: 252-253/ الحميدي جذوة المقتبس، ص 8-9 / المراكشي، المعجب، ص 23 24/ ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، 2: 1203.)

[3] سالم عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، ج1، مكتبة الملك فهد الوطنية،المدينة المنورة،المملكة العربية السعودية ، ط1،1424 ،2003، ص143.

1-1-عهد الحكم بن هشام[1]:

وُلي الحَكَمُ الإمارة بعد موت أبيه هشام[2]، وقد كان أفحل بني أمية وأشدّهم إقداما وكان يُشبّه بأبي جعفر المنصور في شدة الملك ، وتوطيد الدولة وقمع الأعداء [3] أولى عناية فائقة بالجيش والاهتمام به ، نظرا للثورات الداخلية ، والحرب الخارجية التي كانت تحيط بالدولة[4]، وفي ذلك يقول ابن الأثير:« وهو أوّل من جنّد بالأندلس الأجناد، وجمع الأسلحة والعدد، واتخذ من المماليك... فبلغت عُدّتهم خمسة آلاف مملوك وكانوا يومياً على باب قصره، وكان يطالع الأمور بنفسه، ما قَرُب منها وما بعد»[5] قام باتخاذ إجراءات سياسية ، من أهمها عزل الفقهاء من التدخّل في شؤون دولته وكانت هذه السياسة ترمي إلى إبعادهم من التدخّل في مصالح الدولة، وقصر نفوذهم على إقامة

---

[1] **الحكم بن هشام:** هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية، كنيته أبو العاصي، كان ملكا كبيرا شديد الحزم ماضي العزيمة، عظيم الصولة، ويلقب بالمرتضى ويعرف بالربضي، أطفأ نيران الفتن بالأندلس، وكسر فرق النفاق وأذل أهل الكفر(ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 15/ الذهبي، سير أعلام النبلاء،8: 253-260/ ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس، 1: 34،35/ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص 113-121/الزركلي الأعلام،2:268.)

[2] **هشام بن عبد الرحمن:**(139هـ- 180م) هو الإمام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ثاني الأمراء الأمويين في الأندلس كان ماضي العزيمة محمود السيرة ، تشبه بورعه وهيبته وزهده بعمر بن عبد العزيز، كان منقادا للخير عارفا بأقدار الناس، اتصلت ولايته سبعة أعوام.(ينظر: مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تح لويس مولينا ص119، 120 المراكشي، المعجب، ص 24 / الحميدي، جذوة المقتبس، ص 10.)

[3] ينظر: المقري (أحمد بن محمد المقري التلمساني)، نفح الطيب، تح إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 34.

[4] محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس،دار الكتب،الإسكندرية، مصر (د، ط)، 1411 ،1990، ص 287.

[5] ابن الأثير، (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)، الكامل في التاريخ ، تح يوسف الدقاق، ج 5 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 1407،1987، ص 466.

العدل وشعائره، وكانوا بالعكس يرمون إلى إنتزاع السلطة السياسية [1] ، ليحكموا الأمة من وراء العرش بواسطة جمهورية دينية[2] فعملوا على إشعال نار الفتنة بينه وبين الرعية التي ترتّب عنها نتائج سياسية واجتماعية خطيرة ، تمثلت في ثورتين خطيرتين: وقعة هيج الربض الأولى[3] ووقعة هيج الربض الثانية،[4] إلا أن الحكم لم تأخذه في إخماد تلك الثورات لا رأفة ولا هوادة ، لأنه كان شديد الإستئثار بسلطانه ، حريصا على حمايته من كل تدخل، وكان مثل جده عبد الرحمن الداخل ، يلتمس الغاية بأي الوسائل ويذهب في صرامته إلى حدّ القسوة والقمع الذريع.[5]

---

[1] ينظر: محمد عبد الله عنان: تاريخ العرب في إسبانيا "تاريخ الأندلس"، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1942 ص 82.

[2] عبد المجيد النعنعي ، تاريخ الدولة الأموية ، تاريخ الدولة الأموية السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان (د ، ط)، (د، ت)، ص191.

[3] **هيجة الربض الأولى:** أعدم فيها الحكم بن هشام 72 رجلا من أشراف أهل قرطبة وعلمائها وقضاتها، وصلبهم لأنهم أرادوا الخلاف عليه والإستبدال به. (ينظر: مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا،ج1، مدريد 1983، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية المعهد ميغل آسين، ص 131.

[4] **هيجة الربض الثانية:** حدثت سنة (202هـ-808 م) في ربض شقندا (seconda) قضى الحكم عليها بقسوة وتعسف وطرد قسما ممن قام بها إلى الإسكندرية، والجنوب وجزيرة كريت وأسسوا دويلة سنة "212 هـ-827 م".(ينظر عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص242.)

[5] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ص 425.

1-2-عهد عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم: [1]

خلف عبد الرحمن الثاني إبان الحكم ، في ظل أجواء هادئة، وعُرف بالأوسط لأنه توسط ثلاثة سُموا بهذا الاسم[2]، حفل عهده بالمفاخر الحضارية كما كان حافلا بالصّراع والثورات، ومن مفاخره الحضارية، أنّه أوّل من أسّس قواعد البلاط الأموي، ورتّب تقاليد مهمة للوزارة.[3]

لقد رتّب إختلاف الوزراء إلى القصر، حيث كان له وزراء، لم يكن للخلفاء قبله ولا بعده مثلهم [4] ونظام الوزارة هذا كان من المبتكرات الكبرى من التنظيم السياسي الأندلسي [5]،كما أولى عبد الرحمن الأوسط اهتماما كبيرا بالأسطول، والتحصينات البحرية، فابتنى حول إشبيليا سوراّ ضخما، وأنشأ بها دارًا عظيمة للصناعة،واهتم بصنع السفن الحربية الكبيرة، وحشد لها المقاتلة من شواطئ الأندلس فكانت نواة الأسطول الأندلسي[6]، وكانت هذه السياسة البحرية نتيجة لهجوم قبائل همجية، تدعى النورمان

---

[1] **عبد الرحمن بن الحكم بن هشام:**(167-238هـ) وكنيته أبو المطرف، كان ملكا كبيرا، بُويع بعد والده سنة 206 للهجرة وفي أيامه اختلفت دولة بني أمية بالأندلس، وعظمت الألقاب وشيدت القصور وهو أوّل من فخّم الملك بالأندلس ونوّه بالألقاب، واستكثر الوزراء سميت فترة حكمه "بأيام العروس". ينظر: (ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 19-22 الذهبي، سير أعلام النبلاء، 8: 260/ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1: 35.)

[2] محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط5،(د،ت) ص228-229.

[3] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج 4، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، ط 10،1995 ، ص87.

[4] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1410 1989 ، ص 79.

[5] حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار المستقبل للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، (د، ط) ،1980 ص 327.

[6] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط4، 1417،1997 ، ص 264.

أو الفايكنغ، وقد سماهم العرب بالمجوس[1] وكانوا يغيرون على سواحل الأندلس الغربية (229 هـ-841 م).[2]

أما الثورات الداخلية فقد كانت ضعيفة أصلا في منطلقاتها، تفتقر لأسباب النجاح الكامنة[3] لم يوقفها إلاّ حزم الحاكم، وهي ثورات عديدة نشير إليها سريعا فيما يلي: [4]

- ثورة عبد الله البلنسي أحد أبناء عبد الرحمن الداخل الذي طالما ما أزعج الدولة بمطامعه وتمرده على الحكم. [5]
- الفتنة بين المضرية واليمنية ، دامت سبع سنوات، إلاّ أنّهُ أَخْمَدَهَا سنة (212 هـ-828 م).[6]
- ثورة ماردة بقيادة عبد الجبار البربري وسليمان بن مَرْتين. [7]

---

[1] **المجوس:** أو الأردمانيون (Normandie) كانوا يغيرون على الأندلس من المنافذ البحرية، وقد عاثوا فيها فسادا إلا أن القوات البحرية هزمتهم وأرغمتهم على التراجع ، سمّاهم العرب المجوس،لأنهم كانوا يشعلون النار كثيرا، فظن العرب أنهم يعبدونها .(ينظر: المقري، نفح الطيب ،1: 345).

[2] ينظر: عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ، بيروت، لبنان ، ط2 1402 ،1981، ص 227.

[3] عبد المجيد النعنعي، تاريخ الدولة الأموية،تاريخ الدولة الأموية السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان (د،ط)،(د، ت)، ص 205.

[4] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي،4: 91.

[5] ينظر: محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط5 ،(د، ت) ص 28.

[6] ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح بشار عواد، ومحمود بشار عواد دار المغرب الإسلامي، مج2، تونس، ط1، 1434، 2013، ص 95.

[7] حمدي عبد المنعم حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية مصر، (د، ط) ، 1993، ص 41.

- ثورة طليطلة:(214هـ) المدينة التي كانت تجنح للثورة والعصيان دائما بقيادة هشام الضّراب.[1]

1-3-حركات الاستشهاد[2]:

قادها متعصبون من مسيحي الإسبان[3] ومارس بعضهم شتم الإسلام والتطاول على مقام النبوة بالسب والشتم علنا ، وعمدا عند أبواب المساجد أوقات الصلاة[4] واشتدت الفتنة واستنكرها المسلمون في الأندلس، فرأى عبد الرحمن الأوسط أن يعقد مجمعا دينيا في قرطبة يضم جميع أساقفة الأندلس بقيادة مطران إشبيليا، ريكا فريدو **R**ecafredo سنة(237هـ-852م)، ومنها طالب الأساقفة باستنكارهم لهذه الحركة والعمل على محاربتها ونقي زعيمها. [5]

أما فيما يخص علاقته بالشمال المسيحي، فاستطاع أن يستأنف الجهاد في كل عام وكثيرا ما كانت جيوشه تغزو المسيحيين، وأحيانا نفذ الحملات بنفسه[6]،خاض العديد من الحروب ضد النصارى، وأوقع بهم خسائر كبيرة ، من جهة أخرى تمكن من إقامة علاقات دبلوماسية محكمة مع الإمبراطورية البيزنطية، فطبقت شهرته الآفاق، وأصبح

---

(1) ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، 2: 95.

(2) حركة الاستشهاد: بزعامة راهب إسمه "إيلوخيو Eliogio" تحول فريقه وحزبه من مهاجمة الثقافة الإسلامية إلى مهاجمة الإسلام نفسه، فأخذوا يقولون على الإسلام وعلى الرسول(ص). (ينظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي ص 355).

(3) أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د، ط) ، 1985 ص 166.

(4) عبد الرحمن علي الحجي، في التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار العلم، بيروت، لبنان، ط2 1402 ،1981. ص 77.

(5) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د، ط) 1971، ص 375.

(6) ينظر: شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس ، ص28.

فيمن تحسب الدولة العباسية حسابهم، فانتزع اعترافها، واعتراف الدول الأخرى بوجود دولة إسلامية قوية ثابتة الأركان في الأندلس.[1]

توفي عبد الرحمن الأوسط بعد حكم دام إحدى وثلاثين سنة، تعتبر من أزهى فترات التاريخ الأندلسي بسبب ما ساد قرطبة وكبار المدن ومراكز العمران من هدوء واستقرار لأن عبد الرحمن ورجاله كانوا أذكياء فقد كانوا يؤمنون بأن الرعية أساس الثبات الحكم واستقرار أسس العدالة والنظام.[2]

2- الإمارة في فترة الضعف:

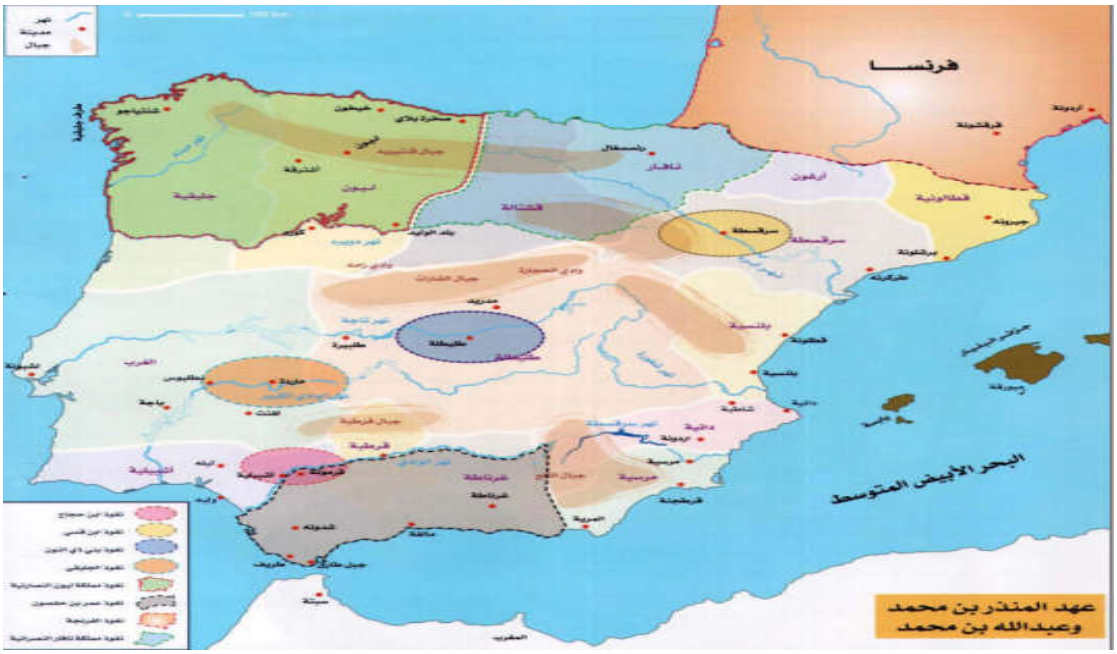

الشكل رقم (1): المناطق المنفصلة عن حكومة قرطبة

[1] محمد عبده حتامنة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، (د، ط) ، 2000 1421 ، ص 326.

[2] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 326.

شهد هذا العصر إختلال السيادة العربية، وانتكاستها لأوّل مرّة منذ ارتباط الأندلس بالأسرة الأموية، فقد تراجع نفوذ قرطبة تدريجيا، وفقدت مركزها السياسي[1] هي فترة مضطربة تقدر باثنين وستين سنة، حكم خلالها ثلاثة من الأمراء الأمويين وهم محمد بن عبد الرحمن الأوسط [2] وابناه المنذر[3] وعبد الله[4]، ويمكن الحديث عن هؤلاء الحكام تحت عنوان واحد ، وذلك لتشابه أحداث هذه الفترة، فقد بلغت الاضطرابات ذروتها[5] فشى أمر الثوار حتى صار في كل جهة متغلب، ولم تزل كذلك طول ولايتهم، فقد شق الثوار عصا الطاعة، واستقلوا بحكم المناطق التي ثاروا فيها، وأمسى النفوذ الأموي

---

[1] إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط 3، 1406، 1986، ص 274.

[2] **محمد بن عبد الرحمن الأوسط:** (207هـ-273هـ): يكنى أبا عبد الله بويع عند موت والده سنة 238هـ، كان محبا للعلوم مؤثرا لأهل الحديث، عارف بمصطلح دنياه وأخراه حسن السيرة. (ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص11، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار،1: 422/ الذهبي، سير أعلام النبلاء،8: 263/ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح لويس مولينا، ص 146).

[3] **المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط:** 229-275: كنيته أبو الحكم، في أيامه ضاقت عليه الحضرة واشتد عليه كلب الثوار خاصة ابن حفصون تضاربت الآراء في وفاته: قيل أنه فصم الدم عليه فمات وقيل أن ابن منصور الطبيب سم له المبزغ فمات، وكتم موته وقيل توفي فجأة في محلة ببشتر يوم السبت 275 هـ، وهو يحاصر ابن حفصون سنتين وستة أشهر. (ينظر: محمد مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1: 422/ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح لويس مولين، ص 151/ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1: 36/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 8: 263-264).

[4] **عبد الله بن الحكم بن عبد الرحمن:** (228-300هـ): كنيته أبو محمد، تملك الأندلس بعد أخيه المنذر، كان من أفاضل أمراء بني أمية، قتل ولديه معا بالسيف واحد بعد واحد، طبقت الفتنة في أيامه جميع الآفاق فقام عليه في كل قطر من الأندلس متغلب، وتناقض أمر المروانية في دولته، فاستضعفت دولته وصارت الأندلس شعلة تضطرم. (ينظر: ابن الخطيب أعمال الأعلام، 2: 27/ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح لويس مولينا، 1: 154-155 الذهبي سير أعلام النبلاء، 8: 264-265).

[5] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 94.

لا يتعدّى قرطبة وضواحيها[1] وطالب حكام الأقاليم ومقاطعات الثغور من استقلال عسكري ومالي ونفوذ سياسي يمارسونه على حساب سلطان حكومة قرطبة،[2] ويسترجع ابن حيان سبب كثرة الثوار بالأندلس في هذه الفترة إلى ثلاثة وجوه: [3]

الأول: منعة البلاد وحصانة المعاقل وبأس أهلها بمقاربتهم عدو الدين، فهم شوكة وحد بخلاف سواهم.

الثاني: علو الهمم وشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة، إذ كان من يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشراف يأنف بعضهم الانقياد إلى لبعض.

الثالث: الإستناد عند الضّيعة والاضطراب إلى الجبل الأشم والمعقل الأعظم من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض.

كما زاد من هذه الحالة أيضا وقواها، العلاقة العدائية، التي كانت بين الإمارة والإمارات النصرانية الإسبانية في الشمال، التي كانت تساعد في إذكاء روح التنافر والخلاف، وتحض على شق عصا الطاعة خدمة لمصالحها التوسعية في الأندلس[4]

---

[1] ينظر: سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم ، مصر، ط1، 2000، ص 14.

[2] عبد المجيد النعنعي، تاريخ الدولة الأموية، تاريخ الدولة الأموية السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان (د، ط) ، (د، ت)، ص 254.

[3] لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تح سيد كسروي حسن، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (د، ط) (د، ت)، ص 37.

[4] خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الكتاب الجديدة المتحدة، ، بنغازي، ليبيا ط1 (د، ت) ص 126.

وقد بلغ الصراع ذروته بين السلطة المركزية، وبين الخارجين عليها، فتفاقمت الثورات في كل ناحية من نواحي الأندلس[1]« كانت الفتنة ظاهرة والنفاق باديا لافتراق العرب والموالي على البلدان».[2]

المطلب الثاني: الحياة السياسية عهد الخلافة:

يبدأ عصر عبد الرحمن الثالث[3] من(300-350هـ/912-961م)،حكم البلاد خمسين عاما ، وُفّق إلى إنقاذ الحضارة الأندلسية، مما كان يتهدّدها من الأخطار الخارجية والخلافات الداخلية ، فقد كان ذو سياسة حازمة[4] قاتل كل المخالفين حتى أذعنوا واستنزل الثوار ومحا أثر أكبر المخالفين والثوار في نيّف عشرين سنة من أيامه[5] تمكن من بسط نفوذه، واستطاع أن يعيد كل الأقاليم المنفصلة إلى ذلك الحكم المركزي وانتهت بذلك أهم الحركات الإنفصالية ، التي شهدها عصر الإمارة في فترة الضعف والتي شهدها عصره،[6] كما عمل على إصلاح الإدارة، بما يتوازى ومتطلبات المرحلة والإهتمام بالقوات

---

[1] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي القاهرة ، مصر، ط4 ، 1997، ص 12.

[2] مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميغل، مدريد، 1983 ص 150.

[3] **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر**: (277- ت 350هـ): هو أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، كنيته أبو المطرف، بايعه أهل قرطبة بعد وفاة جده عبد الله دام ملكه خمسين سنة (300-350هـ/ 912-961 م) بنى لدولته عزا منيعا وسلطان قاهرا وافتتح البلدان شرقا وغربا. (ينظر: مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، تح إبراهيم الأبياري، ص 144، مؤلف مجهول ذكر بلاد الأندلس، تح لويس مولينا، 1: 159-168/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 8: 265./ ينظر: أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص07.)

[5] ينظر: ابن خلدون،(أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي القاهري المالكي)، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح أبو صهيب الكرمي بيت الأفكار الدولية عمان ، الأردن، (د، ط) ، (د، ت) ، ص 987.

[6] ينظر: إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ص 284.

بالقوات العسكرية بما يحقق لها تفوق على أعدائه[1] أما موقفه من نصارى الشمال ، فقد كان يتلخص بالتدمير المستمر لهذه الدول دونما هوادة ، وعدم إعطائها الفرصة للقيام بالهجوم، مع تركيز الجهد على تمزيق كل تحالف ضده وإحباطه في مهده.[2]

لقد أنقذ الأندلس من براثن النصرانية، ورفعها إلى مرتبة الدول العظمى وحقق لها السلام والإزدهار والرفاهية في الداخل والإنتصار والإحترام في الخارج [3] وبعد إقراره للأوضاع، وظهور السلطان بمظهر القوة[4] حوّل الإمارة إلى خلافة:« تسمّى الناصر عبد الرحمن بن محمد بأمير المؤمنين بعد سنين من خلافته، لما ضعف سلطان الدولة العباسية بالمشرق، وادعت الشيعة ما شاءت بأفريقيا»[5] وأصبح عبد الرحمن الثالث منذ الثاني عشر من ذي الحجة (316 هـ- 929 م) أوّل خليفة أموي في الأندلس.[6]

لم يغفل عبد الرحمن وهو يوطّد دعائم دولته الأموية في الداخل من خطر الفاطميين الذين بسطوا سلطانهم على المغرب[7] فمدّ سلطانه إلى الشمال الإفريقي بالإستيلاء على معبري الأندلس سبتة وطنجة وميلية[8]، وهي خطوة إستراتيجية قام بها ليؤمّن الجبهة

---

[1] خليل إبراهيم السامرائي وآخرون تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص 155.

[2] بسام العسلي، مشاهير قادة المسلمين، عبد الرحمن الناصر،دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1400 ، 1980 ص 21.

[3] رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلسي الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية، دار الكتاب المصري، القاهرة ، مصر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، (د، ط)، (د، ت) ، ص 163.

[4] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د، ط) ، 1971، ص 300.

[5] ابن الأبّار، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس ج 1، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، ط1،1963 ، ص 198.

[6] إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح لسقوط الخلافة ، ص 284.

[7] بسام العسلي، مشاهير قادة المسلمين، عبد الرحمن الناصر ص 20.

[8] السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، مؤسسة شباب الجامعة بيروت ، لبنان (د، ط)، 1961، ص 287.

الجبهة الغربية من بلاده من الخطر الفاطمي، ولهذه الخطوة دلالة واضحة، وهو محاربة الناصر للمذهب الشيعي في المغرب وعدم وصوله و انتشاره في الأندلس. [1]

تميز عصره بالإستقرار الداخلي، وشهدت الأندلس نهضة عمرانية ، واقتصادية أثارت إعجاب شعوب أوربا في العصور الوسطى، وازدهرت الحياة الاقتصادية في عهده فامتلأت خزائن الدولة بالأموال بنى مدينة الزاهرة، لإقامة مدينة مَلكيّة خاصة أو دارا للخلافة السنية الجديدة، التي أقامها في الأندلس. [2]

ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الرحمن الناصر يهتم اهتماما جديًّا بالأساطيل البحرية فعمل على إنشاء أسطول قوي، يدفع به عن الأندلس الأخطار الخارجية[3]:« لقد كانت قوة عبد الرحمن مكينة، فمكنته عمارته البحرية الفخمة من منافسة الفاطميين في سيادة البحر الأبيض المتوسط» [4]،وقد وصلت الدولة العربية في الأندلس في عهده إلى مكانة سامية فأصبحت مركزاً للنشاط الديبلوماسي، وجاءت السفارات[5]النائية على قرطبة حاضرة حاضرة الأندلس، وبلغت العلاقات السياسية أوج عطائها.[6]

---

[1] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ص 426.

[2] ينظر: محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص 244.

[3] السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، (د، ط)، 1969، ص 174.

[4] ريهنت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د، ط)،1995 ص 94.

[5] **السفارات:** سفارة إمبراطور القسطنطينية "قسطنطين السابع سنة 336 هـ، سفارة ملك الصقالبة" بطرس، وكان ملكا لبلغاريا كانت تعرف بمملكة الصقالبة، سفارة ملك فرنسا، "لويس الرابع" كان هدفها طلب الصداقة وعدم الاعتداء، سفارة إمبراطور ألمانيا، "أوتو" زعيم النصرانية، سفارة مملكة نافار سنة 347 هـ، حضرت ملكة نافار "طوطة" بنفسها على رأس سفارة من مملكتها فاستقبلها الناصر، سفارة البابا يوحنا الثاني عشر، في 347هـ، (ينظر: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 105- 107).

[6] إبراهيم العدوي، السفارات الإسلامية في أوربا في العصور الوسطى، دار المعارف، مصر، 1957، ص 100.

هكذا وبعد جهد عنيف أصبح عبد الرحمن الناصر سيّد الأندلس كلها، فالأمراء يدينون له بالطاعة التامة، والممالك المسيحية خرّت أمامه مهزومة، وباتت تنظر له نظرتها إلى السيد الأعلى[1].

هكذا كان عزّ الإسلام ومجده متمثلا في عهد عبد الرحمن الناصر حتى أصبح بلا منازع أعظم ملوك أوروبا في القرون الوسطى، وهذا ما جعل إسبانيا سنة (1963م) وهي على نصرانيتها تحتفل بمرور ألف سنة ميلادية على وفاته، لأنه كان أعظم ملوك إسبانيا على مرّ العصور، [2] لما توفي عبد الرحمن الناصر سنة(350هـ) وُلِّي الأمر بعده لولده الحكم[3] الملقب "بالمستنصر بالله" [4] ، وسار على نفس سياسة أبيه وقد بقيت السلطة المركزية التي أنشأها عبد الرحمن الناصر، وبقيت أوضاع الأندلس الخارجية والداخلية كما كانت عليه في عهد الناصر، [5] الوحيد الذي فاستقرت الخلافة به حتى لم يعدم من الناصر إلا شخصه.[6]

---

[1] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 107.

[2] راغب السرجاني، قصة الأندلس، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص 244.

[3] **الحكم المستنصر**: الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد(302هـ-366هـ):أمير المؤمنين بالأندلس كان حسن السيرة جامع للعلم بلغ من تناهي الجلالة وحسن السيرة وبراعة العلم وتخليد المآثر مالم يبلغه أحد ، في أيامه سكنت الفتنة لتوطيد أبيه الدولة ، توفي بالفالج .(ينظر، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،8 :269)

[4]محمد مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار،تح علي الزواري، محمد محفوظ، مج1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط 1، 1988، ص 432.

[5] ينظر: منتغمري وات، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، دار المطبوعات للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط 2، 1998، ص 59.

[6] ينظر: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، ج 2، بيت المغرب، مصر، (د، ت)، (د، ط)، ص 286.

وكانت خلافة الحكم المستنصر نهاية عهد القوة في دولة الأمويين، لأنه ترك العرش لهشام المؤيد[1] الذي لم يتجاوز الحادية عشر سنة،لأنه كان حدثا لما ولي الأمر بعد أبيه، فاستبد بشؤون الدولة وزيره محمد بن أبي عامر[2] ، وعضّدته صُبح أم الخليفة هشام المؤيد، فمحا رسم الخلافة[3] ولم يبق من سلطة هشام المؤيد أو الخلافة الأموية سوى الإسم فقط.[4]

المطلب الثالث: الحياة السياسية في عهد الدولة العامرية.

إستبدّ بأمر المسلمين محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور، واستمرّ على حجب هشام المؤيد والحجر عليه ، قضى على كل خصومه ومنافسيه في قسوة وعنف، وتتبع بالأذى كلّ من توسّم فيه النجابة من بني أمية[5] وأضحى سيد الميدان بعد أن وضع يده على الجيش، وصار صاحب السلطة العليا دون منازع ولا مدافع، واستطاع أن يجعل

---

[1] **هشام المؤيد:** 354–ت 403 هـ: هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمؤيد بالله، بويع وله اثنتا عشر عاما، وكان العاشر من ملوك بني أمية بالأندلس، كان ضعيف الرأي أخرق محجورا عليه لما استبد المنصور بن أبي عامر بالأمور ولم يولد له قط، قتل وكان في طول مدته متغلبا عليه. (أمه تسمى صبحا وكانت حظية عند الحكم). (ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 44–45/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 8: 270–271/ الحميدي جذوة المقتبس، ص 17/ المراكشي، المعجب، ص 30).

[2] **أبو عامر محمد بن عبد الله:** بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر العافري القحطاني، قام بتدبير الخلافة، واستبد بالأمور، فساس المملكة وحجب على هشام المؤيد، إستمال الأمراء والجيش بالأموال وتلقب بالمنصور، كان له نكاية عظمية في الفرنج، إفتتح عدة أماكن وملأ الأندلس سبيا وغنائم ، توفي سنة (392هـ 1002م).(ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2: 44–45/ الحميدي، جذوة المقتبس، 1: 124).

[3] بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، دار نظير عبود، بيروت ، لبنان، (د، ط)، (د، ت) ص 20.

[4] محمد عبد الله عنان، تاريخ العرب في إسبانيا تاريخ الأندلس، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1924، ص 260.

[5] ينظر: حسين مؤنس، رحلة الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع للنشر والتوزيع، جدة المملكة العربية السعودية ط1، 1405، 1985، ص101.

من نفسه الحاكم الفعلي للأندلس، وتلقب بالمنصور [1] ، أقام لنفسه داخل الدولة الأموية دولة تسمى الدولة العامرية [2]،أظهر من الشجاعة والدراية بأمور الدولة والحرب ما بقي أثره خالدا على مرّ العصور، وتابع الفتوحات في أراضي الإمارات الإسبانية حتى بلغ أقصى الشمال[3] وقد خالف ابن أبي عامر في غزواته وأسلافه من الأمراء والقادة فقد كان هؤلاء يحاربون في معظم الأحيان للدفاع ، ورد غارات النصارى، لكن ابن أبي عامر هو البادئ بالحرب دائما، ولم يقبل من أعدائه قط صلحا أو مهادنه، ولم يقنع إلا بالنصر الكامل [4] ،سار على نهج عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر، التي تقوم على ضرورة الاحتفاظ بالعدوة المغربية تحت السيطرة الأندلسية ، لتكون خط دفاعها الأمامي ضد الخطر الشيعي، [5] أما سياسة المنصور العسكرية وغزواته المتوالية والمظفرة كانت تنطوي على غاية عسكرية وسياسية بعيدة المدى هي سحق إسبانيا النصرانية. [6]

حالف النصر ابن عامر المنصور في كل غزواته، التي تعد بأكثر من خمسين غزوة وقد خرج من كل غزواته منتصرا رافعا راية الإسلام، أما عن غزواته المكلّلة بالنصر وإعلاء راية الإسلام في الأندلس فتعد بأكثر من خمسين غزوة ، يقول ابن خلدون: « غزا إثنين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه، لم يذكر له فيها راية، ولا فلّ له جيش ولا أصيب له بعث، ولا هلكت له سرية».[7]

---

[1] ينظر: محمد عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ط 4، 1417 ، 1997 ، ص 335.

[2] حسين مؤنس، رحلة الأندلس،ص101.

[3] أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس،المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1988 ص 81.

[4] محمد عبد الله عنان، دول الإسلام في الأندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر، ص 54.

[5] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 444.

[6] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر، ص 572.

[7] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص 994.

ويقف المؤرخون العرب والمستشرقون أمام المنصور الأندلسي وقفة إكبار وإعجاب على الرّغم من ملاحظاتهم وانتقاداتهم لأساليبه، وبعض وسائله في الإستبداد بالسلطة ومن آراء العلامة دوزي في المنصور قوله: « وقصارى القول أنه كان من الأساليب التي اصطنعها المنصور للإستيلاء على السلطة قد تجرّمه وتُدينه ، إلاّ أنه يجب الإعتراف بشرف سيرته ونبل خطته حينما استتبّ له الأمر، ولو كان القدر أتاح له أن يُولد من مهاب الملوكية ، لما أُسرف في لومه إلى هذا الحد على ما اقترفه من الأعمال ولربّما عَدُّوهُ إذ ذاك أحد الأمراء العظام، الذين يبجّلهم التاريخ ويحفظ ذكراهم».[1]

توفي المنصور بن أبي عامر بعد أن دام حكمه سبعة وعشرين عاما، قضاها في توطيد دعائم الدولة العامرية وبسط نفوذه على الأندلس، وخلفه في منصبه ، ابنه عبد الملك المظفر[2]، الذي اتبع خطوات أبيه في تشديد قبضته على المنافسين والأعداء، شنَّ الحرب المستمرة على النصارى في الشمال، ولم يترك لأحد من هؤلاء فرصة للكيد له ولا للدولة [3]، ولما هلك المظفّر سنة (398هـ)، قام بالأمر من بعده عبد الرحمن[4]وتلقب بالناصر لدين الله ، وجرى على سنن أبيه وأخيه في حجر الخليفة هشام المؤيد والاستبداد

---

[1] ريهنت دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا،3: 154.

[2] **المظفّر عبد الملك (ت 399 هـ):** عبد الملك بن المنصور بن محمد بن أبي عامر، صار له الملك بعد وفاة أبيه وتلقب بالمظفّر، استوثق له الأمر ، اقتفى سيرة أبيه في الجهاد والفتوحات العظيمة ، توفي منصرفا من غزوة لشانجة بن غارسية ملك جليقية في صفر 399هـ. (ينظر: أعمال الأعلام،2: 80-84/ محمد مقديش نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأبصار،1: 423/ جمس كولان، الأندلس: ص 125/ الذهبي، سير أعلام النبلاء 17: 124).

[3] أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ص 88.

[4] **عبد الرحمن بن أبي عامر:** لما توفي المظفر ابن أبي عامر قام منصبه أخوه عبد الرحمن بن أبي عامر وكان حلوله مكان شقيقه، إيذانا بوقوع إضطرابات في الخلافة الأندلسية مما عجّل بسقوطها، أشعل فتيل الثورة في أن يعهد إليه بالخلافة بعد هشام الثاني في (339هـ-1008 م) وقوبل هذا العهد، باستياء شديد في قرطبة وثقة أنصار محمد بن هشام الجبار، بعرش بني مروان، حكم الإعدام في الحاجب العامري ، يوم 3رجب 399هـ، إثر مؤامرة دُبّرت له. (ينظر: جمس كولان، الأندلس، ص 125-126).

عليه ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من الخليفة الأموي هشام المؤيد أن يوليه عهده ، فأجابه سنة (393هـ).[1]

ولما حصل عبد الرحمن على ولاية العهد، نقم عليه الأمويون، وأجمعوا أمرهم في غلبة عبد الرحمن الناصر ببلاد الجلالقة وخلعوا هشاما المؤيد، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، ولقبوه بالمهدي[2]، وحاكوا مؤامرة للقضاء على الأسرة العامرية معتمدين على بعض فئات الجيش، وقد ترأسهم محمد بن هشام، فاستغلوا ، خروج عبد الرحمن المنصور للجهاد وانتفضوا على حكمه ، ولما حاول عبد الرحمن إنقاذ حكمه قبض عليه، وقتل في رجب (399 هـ-1009م) وبموته زالت نهائيا دولة العامريين.[3]

المطلب الرابع: الحياة السياسية في عهد الفتنة:

في أواخر القرن الرابع الهجري هبّت على الأندلس رياح فتنة شديدة، على إثر انتهاء الدولة العامرية، وتبدأ هذه الفتنة المبيرة من عام (399-442هـ/1009-1031م) إنتُهِكت حرمة الخلافة خمسة عشر مرة[4]، وأصبحت الخلافة مسرحا للتنازع والإقتتال بين أبناء الأسرة الأموية، وأسرة تعرف ببني حمود وهم فروع من الأدارسة.[5]

---

[1] ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص 994.

[2] **محمد الثاني بن هشام بن عبد الجبار** :هو المهدي بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله قام على هشام المؤيد ، وتسمى بالمهدي هو رأس الفتنة ، كان خفيفا شديد البطش ، وسبب النفاق لوثوبه على ملك هشام المؤيد ،كانت مدة ولايته أقل من ستة عشر شهرا (399-400هـ/ 1009-1010م).(ينظر الزركلي،الأعلام6: 424.)

[3] ينظر، محمد سهيل قطوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص 251.

[4] عبد الحميد شيخة، الوطن في الشعر الأندلسي، مكتبة الآداب، القاهرة ، مصر، ط1، 1418 ،1997 ، ص 88.

[5] أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ص 82.

توّج محمد بن هشام الملقب بالمهدي نفسه خليفة، بعد أن أطاح بسلفه هشام المؤيد لكنه سرعان ما تلاحقت الأحداث بعد ذلك سريعة، ومرت دولة الأندلس بأجواء عاصفة مشحونة بالصراعات الدموية بين أبناء الأسرة الحاكمة ، حيث اعتلى منصب الخلافة عدد من الخلفاء الذين لم يكن مهم واحد على مستوى الأحداث.[1]

إذ تولى الخلافة خلالها محمد بن هشام المهدي ، فسليمان المستعين[2] فهشام المؤيد فسليمان المستعين للمرة الثانية، حتى استطاع بنو حمود[3] أن ينتزعوا الخلافة وأن يتزعموا قرطبة لفترة قصيرة، ثم تطورت الأحداث بسرعة، وعاد بنو أمية فاستردوا الخلافة، وحكموا قرطبة عدة أعوام وتولى الخلافة منهم المرتضى، فالمستظهر فالمستكفي بالله، فهشام المعتد بالله، وهو آخرهم،[4] واستعان هؤلاء الحكام المتناحرون على السلطة بالنصارى الذين طلبوا مقابل العون التنازل لهم عن عدد كبير من القلاع والحصون والمدن[5]ويبدو أن النتائج السيئة التي خلفتها الفتنة، كانت تنحصر في مشاهد الفتك الذريع والإقتتال المرير بين أهل قرطبة ،أو في التخريب المروع لمركز الخلافة ومصدر الإشعاع الحضاري،[6] أدت الحرب الأهلية إلى محو معالم الأندلس، وقتل الجند وقطع الأقوات

---

[1] محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص 251.

[2] **سليمان المستعين:** سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله أبو أيوب، لقبه المستعين تلقب بالظافر بحول الله، قام على المهدي سنة 399هـ، ثم دخل قرطبة سنة 400هـ، حكم مرتين (400-403هـ/1013 1016م) كان المستعين سبب خراب الأندلس، وبموته إنفطرت الدولة الأموية بالأندلس. (ينظر: المعجب المراكشي ص 40/ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس لويس مولينا، 1: 202-204/ جمس كولان، الأندلس، 128).

[3] **بنو حمود:** جاء علب بنو حمود وأخوه القاسم، وهم من الأدارسة ملوك المغرب في عساكر من البربر فملكوا قرطبة سنة 407هـ، وقتلوا المستعين ،وأزالوا ملك بني أمية من الأندلس، واتصل ذلك في خلفهم سبع سنين. (ينظر: القلقشندي صبح الأعشى، 5: 246).

[4] ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي، ص 13.

[5] أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ص 90.

[6] عبد الحميد شيخة، الوطن في الشعر الأندلسي، ص 88.

وكانت الأمور قد ساءت إلى درجة كبيرة فاشتدت الأزمة، فقد أعمل المتخالفون السيف في الرقاب ونشروا الخراب والدمار. [1]

وكان أهل قرطبة قد سئموا هذه الفوضى، فاجتمع رُؤساؤها وقرّروا إلغاء الخلافة الأموية في سنة (422هـ-1031م) [2] ، وتم عزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتمد بالله وإجلاء ما تبقى من المروانية عن قرطبة، ثم أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور [3] إنهاء رسم الخلافة جملة لعدم وجود من يستحقها، وصيرورة الأمر شورى بين أيدي الوزراء وصفوة الزعماء أو ما سمّاه بالجماعة [4] وخسفت بذلك شمس بني أمية، وتختم الدولة الأموية رياستها في الأندلس بصورة نهائية، بعد أن دامت منذ قيامها على يد عبد الرحمن الداخل في سنة (138هـ-756م إلى 422 هـ-1031م) مائتين وأربعة وثمانين عاما [5]

شكل رقم (2) دول الطوائف مرقمة حسب تاريخ انفصاله

---

[1] ينظر،السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة مؤسسة شباب الجامعة بيروت ، لبنان (د، ط) ، 1961، ص 335.

[2] حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص 34.

[3] جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن أبي الغمر بن يحي بن عبد الغافر بن أبي عبدة أبو الحزم الوزير هو الذي صار إليه تدبير أمر قرطبة بعد خلع هشام المعتد بالله، كان موصوفا بالفضل متقدما في الدهاء والعقل (الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، 188)

[4] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 464.

[5] محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص 13.

المطلب الخامس: عصر ملوك الطوائف:

يعد عصر الطوائف من بين عصور التاريخ الأندلسي الأكثر تشعبا وأوفرها تباينا واضطرابا، شغل تاريخ إسبانيا المسلمة زهاء ثمانين عاما[1] فبعد اضمحلال الخلافة الأموية، انقسمت الأندلس إلى مجموعة من الإمارات الصغيرة، والتي سمّيت بمماليك الطوائف [2] استقل كل أمير بناحيته وأعلن نفسه ملكا عليها[3]« كانت دويلاتهم أشبه بجمهوريات إيطاليا في ثياب شرقية» [4]، واقتسموا ألقاب الخلافة وتوزّعُوها لقوة استبدادهم عليها، بما كانوا من قبيلتها وعصبتها، فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد وأمثالها[5] وصار ملكها في طوائف من الموالي والوزراء وكبار العرب والبربر.[6]

لقد كان ملوك الطوائف في ذلك الوقت أسوأ قدوة ، كانوا ملوكا ضعافا في وطنيتهم ضعافا في دينهم ، غلبت عليهم الأهواء الشخصية إلى أبعد الحدود ، ونسوا في غمارها وطنهم ودينهم ، بل نسوا اعتبارات الكرامة الشخصية[7]«اهتزت السلطة ، وتهاوت الخلافة

---

[1] محمد عبد الله عنان، تاريخ الأندلس، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص 30.

[2] **الطوائف:** لما تبدّد شمل الجماعة من بني أمية جاءت دول الطوائف، فقام بكل خطة من بلاد الأندلس ملك ضبط قرطبة بعد خلع المعتمد أبو الحزم بن جهور، وقام في إشبيليا بنو عباد من محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد، وقام بنو حمود بسرقسطة بقيادة منذر بن يحي التجيبي، وتولى من بعده ابنه يحي وتلقب بالمظفر، وقام ببطليوس الحاجب المنصور أبو بكر محمد بن عبد الله المدعو بابن الأفطس، وقام بغرناطة حبوس بن بلكين بن زيري وقام بطليطلة بنو النون وقام بالمرية معن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح التجيبي.(ينظر: محمود مقديش، نزهة الأنظار 1: 426-428/ ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 167-184)

[3] ينظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 465.

[4] آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، مصر، 1995 ص 77.

[5] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص 999.

[6] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: أحمد الزعبي، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(د، ط) (د، ت)، ص 261.

[7] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، ص 449.

الخلافة وسطا على أمجادها مجموعة من السفهاء، وقام على أنقاضها قرابة ثلاثين أميرا يتقاتلون طمعا، ويتدافعون حول أشبار، ويعلنون الحرب من أجل أمتار»[1] فدبّ بينهم الشقاق والفوضى، وحالفهم التخاذل[2]، ودارت بينهم حروب وصراعات ومؤامرات استمرت قرابة نصف قرن[3]، ودخلت جميع هذه الدويلات بشكل أو بالآخر في سياسة التحالفات مع ملوك النصارى في الشمال[4]، واستساغوا لأنفسهم أن يتراموا على أعتاب الملوك النصارى[5] والخضوع لهم ولأوامرهم، وأكرهوا على دفع الجزية لملك الإسبان[6] الذي أخذ يثل عروشهم واحدا تلو الآخر. [7]

وتغيرت موازين القوى في الجزيرة ، فقد أخذت القوى الإسلامية تفقد قوتها، وتتراجع حدودها، في حين أخذت القوى النصرانية تنمو وتقوى ، وكانت نتيجة ذلك أن سقطت بعض المدن والقواعد الأندلسية بيد دول إسبانيا النصرانية، ومن هذه المدن قُلمرية وببشتر.[8]

---

[1] الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط3، 1407 1987، ص 51.

[2] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الإستقامة، بغداد، (د، ط)، 1335 ،1945 ، ص20

[3] أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ص 98.

[4] ينظر: خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص 249.

[5] محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، ص 449.

[6] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 20.

[7] علي الجارم بك، قصة العرب في إسبانيا، مطبعة المعارف، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص 159

[8] **ببشتر:** حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا، كان قاعدة العجم كثير الديارات والكنائس، وله قرى كثيرة وحصون خطيرة وهو كثير المياه والأشجار والثمار. (ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 37).

التي سقطت سنة(456هـ)[1] ثم توّج ألفونسو السادس[2] مجده الحربي باحتلال طليطلة قاعدة الثغر الأعلى للمسلمين سنة (478هـ-1085م) وطليطلة قلب الأندلس كان معناه شطر بلاد المسلمين إلى شطرين، وتمزيق شملهم[3]، ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الأندلس يشمل إلاّ ثلث شبه الجزيرة فقط ، [4]ولما أدرك الأندلسيون الخطر استنجدوا بأمير بأمير دولة المرابطين، وسرعان ما أقبل يوسف بن تاشفين[5]مؤسس مدينة مراكش النجدة ملوك الطوائف في الأندلس، فهزم ألفونسو السادس في معركة الزلاقة.[6]

أنقذ يوسف بن تاشفين الأندلس من الضياع، ثم أزال دول الطوائف ووحدّ بقية الأندلس تحت رايته، [7] ولمس الأمير المرابطي مظاهر الشقاق والخلاف، الذي كان بين

---

[1] ينظر: فايز عبد النبي فلاح القيسي، دار أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1409،1989 ، ص18.

[2] ألفونسو السادس:أذفونش بن فرذنلند بن غرسية بن شانجه ، ملك ليون وقشتالة ،أقوى ملك نصراني ، لم ينس يوما عداء آبائه وأجداده للمسلمين في الأندلس، إستأنف حرب الإسترداد الصليبية في إسبانيا الإسلامية ، وكان ذلك بتأييد الكنيسة .(ينظر ابن عذارى،البيان المغرب،2: 72/ ينظر راغب السرجاني قصة الأندلس ص441.)

[3] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 471.

[4] عبد الحكيم ذنون، آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، دار المعرفة للنشر والتوزيع دمشق، سوريا، ط1، 1408،1988، ص 28.

[5] **يوسف بن تاشفين:** (410-504هـ/1019-1106م): يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب ملك الملثمين، سلطان الغرب الأقصى، كان بربريا قحاً، عبر الأندلس ينجد الإسلام فطحن العدو كان حازما ضابطا لمصالح مملكته، كان عادلا يميل إلى أهل العلم والدين. (ينظر: الزركلي، الأعلام 8: 222/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 19: 152-154/ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 99:9.)

[6] **الزلاقة:** معركة وقعت يوم الجمعة (12رجب479 هـ- 23 أكتوبر1086) تعتبر أول معركة كبيرة شهدتها الأندلس وإحدى أبرز المعارك الكبرى في التاريخ الإسلامي استطاع فيها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائد المرابطين يسانده جيش أندلسي بقيادة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية إلحاق هزيمة كبيرة بجيش قشتالي مسيحي بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون، وقعت المعركة بعد تردي أحوال الأندلس، وخضوع ملوك الطوائف لسلطة ألفونسو السادس ودفعهم الجزية له. (ينظر: إسماعيل بن إبراهيم ابن أمير المؤمنين، تاريخ الأندلس، ص 61.)

[7] حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص 34-35.

ملوك الطوائف، وتأكد من تنابذهم ودسائسهم وأطماعهم ، فعاد أدراجه إلى المغرب لكنه أخذ يعد العدة للعودة للأندلس لينقذ أهلها، لا من عبث المسيحيين[1] ، ففي عام (438هـ) تحرك لخلع ملوك الطوائف وثل عروشهم،[2] بعدما ثبت له تخاذلهم، وتواطؤ بعضهم مع العدو، ولم تأتِ سنة(495هـ-1101م)، حتى تمّت للمرابطين السيطرة على الأندلس فضموها لدولتهم[3] واستولى عليها وغلب الإسبانيين على أمرهم وألزمهم جانب الدفاع.[4]

الشكل رقم (3): توحيد الأندلس بعد ملوك الطوائف

[1] أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، 1983، ص 133.

[2] عبد الله بن بلقين، مذكرات الأمير عبد الله، تح ليفي بروفنسال، دارالمعارف، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص 209.

[3] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 99.

[4] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 20.

المطلب السادس: الحياة السياسية في عهد المرابطين:

يعتبر عهد المرابطين عهدا جديد من عهود الأندلس، ودورة أخرى من دورات التاريخ وكان يوسف ابن تاشفين زعيم هذه الدولة العظيمة ، الذي دخل الأندلس صديقا منجدا ثم انقلب إلى فاتح، حيث استولت جيوشه تباعا على دول الطوائف، في فترة لا تتجاوز عشرين عاما، وأصبحت الأندلس منذ ذلك الحين ولاية مغربية ، خاضعة لحكومة مراكش تحكمها قبائل بربرية مغربية، حيث بسط المرابطون سلطانهم كاملا على الأندلس واستأثروا فيها بالحكم والسيادة [1] وموقف المرابطين من سقوط سرقسطة، وهو السقطة العسكرية المرابطية البارزة خلال هذا الكفاح.[2]

لقد كان لهذا التحول صدى كبير في الأندلس، حيث أثر في نفوس الأمة الأندلسية بالإضافة إلى أن أساليب الحكّام والقادة المرابطين في حكم هذا القطر الجديد، لم تكن رفيقة رغم ما كان من نصائح وتوجيهات، من جانب أمير المسلمين لعمّاله وقادته، باتباع العدل والرفق بالرعية.[3]

لم تستمر فترة الزهو طويلا بالنسبة للمرابطين، فبعد موت يوسف بن تاشفين، تولى الحكم ابنه علي[4]، وكان حاكما وَرعا قليل الخبرة بالسياسة وشؤون الحكم، ومن ثم بدأ الإضطراب يتسلل إلى الدولة، ووقعت حوادث شديدة الخطر، لم ينتبه إلى نتائجها

---

[1] ينظر: محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2 مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر، 1990، ص 25.

[2] محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص 27.

[3] المرجع السابق، ص 29.

[4] **علي بن يوسف بن تاشفين:** (477-537 هـ/1084-1143 م)علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين بمراكش وثاني ملوك دولة الملثمين المرابطين ولد بسبتة، وبويع بعد وفاة أبيه سنة 500هـ، كان حليما وقورا صالحا عادلا. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 5: 33).

فمن ذلك دعوة بن تومرت وكثرة أشياعه، الذي سكت عنه علي بن يوسف طويلا ولم يحرك ساكنا إلاّ بعد فوات الأوان[1]،ولما توفي علي بن يوسف بن تاشفين تولى ابنه تاشفين حكم الدولة المرابطية ، الذي أولى يحي بن غانية قرطبة وما إليها ، وذهب كثير من جهود المرابطين في المغرب في مقاومة الموحدين، وبعد وفاة الأمير المرابطي تاشفين [2] تولى الحكم ابنه أبو إسحاق إبراهيم [3] من بعده ، والذي ثم اغتياله وعليه تمَّ إسقاط المرابطين وقيام دولة الموحدين في المغرب والأندلس سواء. [4]

وهكذا إنطوت صفحة دولة المرابطين، التي شاخت وهرمت قبل فوات الأوان بعد إحرازها إنتصارات باهرة ، نجحت في إلحاق الهزيمة بألفونسو السادس ، واستطاعت استرداد بلنسية من يدي السيد القمبيطور رودريغو دياز، لقد أضاعتها أيادي الإهمال وسوء التدبير،[5] ولم يشعر الناس معها بالإطمئنان، خاصة بعد هيمنة الطابع الديني على كل شؤون الدولة ، سواء كانت السياسية أم الاجتماعية أم الفكرية ، مما جعل الأندلسيين يشعرون بعدم الحرية ، فكان مردودهم أن انقلبوا على هذا الحكم الذي يخالف طبيعتهم في الحياة وسلوكهم التوّاق إلى البساطة والحرية.[6]

---

[1] ينظر: محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د، ط) ، 1999 ، ص 22.

[2] **تاشفين بن علي بن يوسف:** (ت 539 هـ- 1145 م): تاشفين بن علي بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني من ملوك دولة الملثمين كان شجاعا بطلا تولّى في أيام أبيه غزو الفرنجة بالأندلس سنة 520 هـ، بويع له بعهد من أبيه كانت أيامه كلها حروبا، إنتهت بمقتله في وهران وقد باغته الموحدون، إنقلب به جواده فسقط قتيلا. (ينظر: الزركلي، الأعلام 2: 82-83).

[3] **إبراهيم بن تاشفين:** (541 هـ-1148 م): إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني الحميري آخر ملوك دولة المرابطين كان مع أبيه في قتال الموحدين.(ينظر: الزركلي، الأعلام، 1: 34).

[4] عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 441، 442.

[5] المرجع نفسه، ص 23.

[6] ينظر: سلسبيل محمد محمود نوفل، شعر الأطباء في الأندلس في القرن السادس الهجري، إشراف الدكتور وائل أبو صالح، مذكرة لنيل درجة ماجستير في تخصص اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2009، ص 6.

وعلى نحو مامر بنا من إستقراء للحياة السياسية في الأندلس، من بداية القرن الثالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة ، يتضح لنا جليا أن الحياة السياسية قد تأرجحت مابين سنين من التقلبات والعطاءات، أما سنين العطاءات فقد كانت نتيجة حتمية لحكام أقوياء عظماء أرسوا مبادئ العدل للنهوض بالأندلس ، وتقدمها وجعلها في مصاف الدول القوية في الغرب، ومن أمثال أولئك الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وابنه الحكم المستنصر، والحاجب المنصور ابن أبي عامر، وابنه المظفر، ومنقذ الأندلس يوسف بن تاشفين ، أما فترة التقلبات والإنتكاسات السياسية ، فقد تسبب فيها حكام آثروا الخضوع والخنوع للنصارى ومصالحهم الشخصية على حساب وطنهم الأندلس، فتردّى بذلك الوضع السياسي من القوة والهيمنة إلى الضعف والتقهقر ، ومن أولائك الحكام ، حكام عهد الفتنة المبيرة وملوك الطوائف.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في الأندلس:

المطلب الأول: عناصر المجتمع:

تكون المجتمع الأندلسي من عناصر شتَّى، تنوّعت أصولها البشرية وعقائدها وثقافاتها، فقد كان فيه أهل البلاد الأصليون وفيه الوافدون من عرب وبربر، وفيه الموالي المنسوبون إلى أقطار شرقية مختلفة، وفيه المماليك المجلوبون من بلدان عديدة. [1]

1-العرب: دخل العرب الأندلس على موجات متتابعة أو طوالع [2] بالإضافة إلى من هاجر من الشام [3]، وأقل هذه الطوالع، طالعة موسى بن نصير [4] سنة (94هـ-714م)،وكانت تضم حوالي اثني عشر ألف من العرب معظمهم من القيسية واليمنية، وموالي بني أمية وأطلق على هذه الطالعة اسم "البلديين" [5]

وتلتها طالعة الحر بن عبد الرحمن الثقفي[6] سنة (97هـ-715م) ،حيث اصطحب معه أربعمائة من وجوه أهل إفريقيا، ويبدوا أنهم كانوا نخبة عربية ممتازة.[7]

---

[1] حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسن الإسلامية، مصر، ط1، 1414 1994 ، ص8.

[2] **طوالع:** جمع طالعة وهي الجماعة من العرب أو البربر أو الموالي الذين دخلوا الأندلس. (ينظر: حسين مؤنس فجر الأندلس، ص 400.

[3] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 122.

[4] **موسى بن نصير:** قائد وفاتح أصله من وادي القرى بالحجاز(19هـ-97هـ) وُليّ إفريقيا من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، سنة 89هـ. (ينظر المراكشي، المعجب، تح صلاح الدين هواري، ص 16/ أمين الريحاني، نور الأندلس مؤسسة هنداوي، ص 53.)

[5] ينظر: حسين مؤنس، فجر الأندلس، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1432، 2002 ص400.

[6] الحر بن عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي، من أهل دمشق ولاه سليمان بن عبد الملك الإمارة على الأندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير (ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص 302.)

[7] حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص 400.

أما طالعة بلج بن بشر القيسي[1] فتضم عشرة آلاف، منهم ألفا مولى، وثمانية آلاف عربي[2] ويعرف العرب الذين دخلوا معه بالشاميين تمييزا لهم عن البلديين. [3]

2-البربر: لعب البربر دوراً هاما في فتح الأندلس، فقد كان الجيش الذي قاده طارق بن زياد[4] كان دخوله في رمضان سنة (92هـ)[5]«وقد اجتمع لطارق اثنا عشر ألفا ألفا من البربر» [6] و كان بربر المغرب هم الذين تولوا عملية الفتح أوّلا .[7]

كانت أعدادهم تزيد على أعداد العرب أضعافا، إذ أن تيار الهجرة البربرية اتصل واستمر عقبه الفتح مباشرة وكان للبربر أثر عظيم جدا في انتشار الإسلام في الأندلس ثم إنهم لم يعرفوا عصبية الجنس، التي أفادت على العرب الكثير من أمورهم وكانوا شديدي الحماس للإسلام، فقد كان الإسلام بالنسبة لهم رمزا للسيادة، فأظهروا العصبية له واجتهدوا في نشره ، وأعانهم في ذلك أنهم بطبعهم

---

[1] **بلج بن بشر** بن عياض القشيري، قائد دمشقي، حازم شجاع، استبد بالأندلس بعد مقتل أميرها (المراكشي، المعجب ص 18).

[2] ينظر، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري ،ج 2، دار الكتب، بيروت، لبنان،(د،ط) 1410،1989، ص 40.

[3] ينظر: محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط 1، (د، ت)، ص 21.

[4] **طارق بن زياد:** (نحو 50-102هـ/ 670-720م) أصله من البربر ، فاتح الأندلس، أسلم على يد موسى بن نصير، كان من أشد رجاله، ولي طنجة سنة 86هـ، جهز نحو 12000 جندي لفتح الأندلس معظمهم من البربر ولي قيادتهم، فنزل بهم البحر واستولى على جبل طارق ، وفتح حصن قرطاجنة،وتغلغل في أرض الأندلس بعد أن أحرق السفن. (ينظر: الزركلي، الأعلام ، 217:3./ إسماعيل بن إبراهيم ابن أمير المؤمنين، تاريخ الأندلس ص 18.)

[5] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 2: 33.

[6] ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب،2 :39.

[7] ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3 1414 1994، ص 17.

جنس متدين شديد التعلق بعقيدته[1]، ولم يحل نسبُ البربر دون وصولهم لأسمى وظائف الدولة وتصدرهم السُّلَّم الاجتماعي، فكان فيهم، أمراء، وقادة، وعلماء وقضاة وكتَّاب وصالحون وأولياء، بل أصبحوا زعماء الكيانات المستقلة في الثغور[2] وأهمّ بيوتاتهم بالأندلس، مكناسة وزناتة ومصمودة وصنهاجة.[3]

3-الموالي: دخل عدد كبير من موالي بني أمية الأندلس، وأصبحوا يؤلفون حزبا هاماً، وأغلب هؤلاء من أهل المغرب الذين دخلوا في ولاء بنية أمية[4]ونجد قبيلتين قبيلتين بربريتين كاملتين هما: بنو الخليع وبنو وانسون، بالإضافة إلى موالي أمية من أهل الشام والعراق وفارس [5]واعتبر الموالي أنفسهم تابعين للبيت الأموي، أو لمن عهد إليه الأمويون بالولاية ، وقد دخل الكثير من أهل الأندلس في ولاء بني أمية بعد الفتح، وهم من أصول إسبانية، أما بيوتهم "بنو بارون- بنو غومس، بنو غرسية بنو قارله، بنو مرتين وغيرهم، وظلّ بعضهم محتفظا بهذا الولاء، واندرج بعضهم الآخر في عداد المولدين[6]

وكان للموالي دور هام في تاريخ الأندلس، حيث اعتمد عليهم بنو أمية كثيراً وقلّدوهم أهمّ المناصب في دولتهم، لتفانيهم في الإخلاص لها، فكان منهم الوزراء والكتاب والقواد والقضاة.[7]

---

[1] ينظر، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص429،430.

[2]إبراهيم القادري بوتشيش، في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف ق3 حتى ظهور الخلافة، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1992، ص 136.

[3] مريم قاسم الطويل، مملكة المرية في عهد المعتصم صمادح ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1414 1994 ، ص 67.

[4]السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 126.

[5] ينظر، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص 436-437.

[6] ينظر، المرجع نفسه، ص438 ،441، 442.

[7] ينظر ، حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 33.

4-الصقالبة:

الصقالبة[1] هم الأرقاء الذين ينتسبون إلى جنسيات أوروبية مختلفة، وكان تجار الرقيق يحملونهم من شمالي أوروبا ويبيعونهم إلى عرب الأندلس، وأصلهم من الشعوب السلافية، وقد عرّب عربُ الأندلس اسم السلاف إلى صقلب، ومنها صقالبة وتوسعوا في هذا الاسم، وأطلقوه على كل عبد جُلب من أَيَّةِ أمّة مسيحية، وأصبح هذا الاسم يستعمل للرقيق الأبيض، وكانوا يسمونهم الخرس لعجمتهم ألسنتهم، ومعظم الصقالبة يجلبون أطفالا إلى الأندلس، ونشأوا على اعتناق الدين الإسلامي، وتعلموا اللغة العربية[2] وكانوا يجلبون من عدة بقاع أوروبية خاصة المناطق السلافية، وكان تجار الرقيق من الجرمان وأشباههم، يسلبون هؤلاء صغارا ثم يبيعونهم[3]، وقد بدأ الصقالبة يظهرون في المجتمع الأندلسي كعنصر منذ أيام عبد الرحمن الداخل[4]

وأول من إستكثر منهم حفيده الحكم بن هشام، [5] واعتبر الصقالبة أنفسهم عنصراً متميّزا ، لأنهم لم يختلطوا كثيرا بالعناصر الأخرى ،وحاولوا المحافظة على كيانهم الخاص مما بعث فيهم النزعة العنصرية أكثر من غيرهم، ولذلك فإنهم كانوا أساس الحركة الشعبوية في الأندلس ، ثلث الحركة التي انبعثت من الأسر الصقلبية في عصر الملوك الطوائف، حيث استطاعوا أن يستأثروا بنصيب من تركة الخلافة الأموية بعد سقوطها

---

(1) **الصقالبة:** من ولد مار (من ولد بار بن يافث) بن نوح عليه السلام، وإليه يرجع سائر أجناس الصقالبة (ينظر المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 1: 32.)

(2) مريم الطويل، مملكة المرية في عهد المعتصم صمادح، ص 68.

(3) أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص 30.

(4) المرجع نفسه، ص 32.

(5) مريم قاسم الطويل، مملكة المريد في عهد المعتصم صمادح، ص 68.

فكوّنوا لهم عدة ممالك في شرق الأندلس وخاصة بلنسية وطرطوشة ودانية والمرية ومرسية. [1]

5-**المسالمة (الأسالمة):** هم الإسبان الذين دخلوا الإسلام، ويسميهم مؤرخو العرب المسالمة[2] اعتنقوا الدين الإسلامي بدافع تحسين وضعهم المزري وحب الخلاص من البؤس في أواخر الحكم القوطي، أو بدافع الاقتناع بأن الإسلام هو الدين الحق، أو بدافع التخلص من الجزية[3]، وفي ذلك يقول العلامة ريهنت دوزي « فالعلج إذا أسلم قد يكون لحظة يأس أو ضعف أو إنهيار عزيمة، أو في لحظة ضنك لا يجد فيها المال لدفع الجزية أو إذا خاف أن يحكم عليه، على أنّهم كانوا أقلية ضئيلة العدد، أما معظمهم فكانوا صادقي التعلق بالإسلام».[4]

6-**المولدون:** أطلق اسم المولدين losmuladies على أبناء الأسالمة، ولقد اختلطوا بالعرب والبربر عن طريق التزاوج، واتخذ بعضهم الأنساب العربية، ومنهم من ظلّ على نسبه القديم، مثل: بني مرتين martin، وبني بشكوال pascual، أو بني غرسيه Garcia وبني غومس Gomez، ومنهم من أضاف إلى اسمه العربي المقطع الإسباني "أون" "on"، فأصبح حزم-حزمون، وزيد- زيدون ، وحفص حفصون.[5]

---

[1] حسين يوسف الدويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 87.

[2] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص 128.

[3] مريم قاسم الطويل، مملكة المريّة في عهد المعتصم بن صمادح، ص 69.

[4] ريهنت دوزي، المسلمون في الأندلس، 1: 52.

[5] مريم قاسم الطويل، مملكة المريّة في عهد المعتصم بن صمادح، ص 70.

تعصّب المولدون لأصلهم الإسباني، مع كونهم مسلمين وتحالفوا مع النصارى في الأندلس، واستغلوا فرصة ضعف الدولة بني أمية في فترة الضعف، وثاروا في نواحي مختلفة من الأندلس ضد الحكومة المركزية[1]، بحجة أن وضعهم الاجتماعي كان مزريا وأن العرب منعوهم من الوظائف والرواتب الكبيرة في جميع دواوين الحكومة، ولأنهم كانوا يمارسون فلاحة الأراضي،[2] كان المولدون يمثلون في المجتمع الأندلسي الجديد مثولا قويا، لقد نموا بمضي الزمن حتى غدوا عنصراً مهما في الأمة الأندلسية، [3] ولقد تألف من المولدين جماعات كثيرة في مدن إسبانيا الهامة مثل طليطلة، التي كانت مركز العصبية للمولدين، وقد ظهر ذلك في حركاتهم الثورية المتعددة، وميولهم الإنفصالية عن سلطان قرطبة.[4]

7-**المعاهدون:** إحتفظ المسيحيون بديانتهم، بعد أن تعهد العرب لهم باحترامها واحترام آدائهم لشعائرها، وكان المعاهدون يلقون من الأهالي كذلك تسامحاً، بكل رعاية ومودة [5]، وكان النصارى يقلون في الجنوب ، ويكثرون في الشمال، وأكثرهم الكاثوليك [6] يعيشون في ظل الحكم الإسلامي وكانت تتجمع في القواعد الأندلسية الأندلسية في أقليات كبيرة، وكانت تحتل العاصمة وبعض المدن الأخرى، مكانة

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص 130.

[2] ينظر: ريهنت دوزي، المسلمون في الأندلس، 1: 57.

[3] ينظر: محمد عبد الله عنان، تاريخ العرب في إسبانيا (تاريخ الأندلس)، ص 123.

[4] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص 129.

[5] أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، 1983، ص 244.

[6] محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي، منشورات دار أسامة، ط1، 1984،1404، ص 16.

خاصة ويستقل كثير من أفرادها مراكزها في الحكومة والجيش[1]، وكان المسلمون يطلقون عليهم اسم العجم (أو عجم الأندلس)، ولما تمكن لسلطان المسلمين أصبحوا يسمونهم "عجم الذمة" أو أهل الذمة، أما اليهود فكانوا يسمون اليهود أو الذميّين [2] وترك المسلمون لهؤلاء حريتهم في البقاء على دينهم، وفي مزاولة شعائرهم فتجاوزت المساجد والكنائس في سماحة، واختلطت النداءات نداءات المآذن بدقات الأجراس، وتعايش المسلمون والمسيحيون في الأندلس. [3]

8-**المستعربون Losmozarakes**: يطلق لفظ المستعربين على نصارى الإسبان الذين تعايشوا مع العرب، وتعرّبوا وأقاموا في ديار الإسلام، وقد كفلت لهم الدولة الإسلامية حرية العقيدة، فأبقت على كنائسهم وأديرتهم ، والإستعراب يمثل تأثير الثقافة العربية في غير المسلمين من الإسبان [4] وكانت طوائف المستعربين في المدن الكبيرة على الأقل تخضع لنظام السلطة الإسلامية المركزية وتحت إشرافها وكان لها زعيم مسؤول أمام تلك السلطة هو القومس [5] وكان يطلق عليه اسم المدافع أو المحامي[6] ولقد سموا مستعربين لأنهم إستعربوا لغة وزيًّا.[7]

---

[1] ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط4، 1419-1997، ص 515.

[2] حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص460.

[3] ينظر،أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، ص96

[4] محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1،1421 ،2000 ، ص 22.

[5] **القومس: comes**: كلمة لاتينية، وهي في الأصل تعني مرافق الملك أو نديمه ثم أصبحت تطلق في إسبانيا زمن القوط على ولاة الكور، وفيها اشتق اللفظ الإسباني Garde والفرنسي lonte وتذكرها بعض المصادر العربية (قمط) بدلا من غومس (ينظر: حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ، ص31).

[6] جمس كولان، الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة ط 1، 1980، ص 95.

[7] مريم قاسم الطويل، مملكة المريّة في عهد المعتصم بن صمادح، ص 70.

9-اليهود: وكانوا يسمون أهل الذمة، وكان عددهم قليل في قرطبة، وكانت شهرتهم في تجارة "الفراء والرقيق" ونفائس السلب.[1]، وتمتع اليهود بتسامح كبير من جانب العرب، وقد لعبوا دورا هاما في العلوم بالأندلس، فترجموا الكتب العربية إلى العبرية واللاتينية، ونبغ كثير منهم في الطب والفلسفة والكيمياء،أمثال: حماد بن شفروط وسوس بن ميمون الفيلسوف، وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي الشاعر.[2]

ولما استقر الأمر للمسلمين في الأندلس، تخلص اليهود من ظلم واضطهاد الحكام الذين سبقوهم، فقد منحهم المسلمون حريات لم يحلموا بها، منها حرية العمل والتنقل والتملك بالإضافة إلى الحرية الدينية، وكان لذلك أثره في هجرة الكثير من يهود أوروبا إلى الأندلس بعد فتح المسلمين لها، وكانوا يجتمعون في عدة مدن أندلسية ، وعلى رأسها غرناطة التي كانت تزخر بأكبر جالية يهودية ، لذلك سميت غرناطة اليهود.[3]

بعد الوقوف على العناصر المكوّنة للمجتمع الأندلسي، والتي كانت مختلفة عرقا ودينا ولغة، يجدر بالباحث الوقوف على نتائج إنصهار هذه الأجناس من عدمه فإذا انصهرت هذه الأجناس المختلفة ، شكّلت لنا فسيفساء جميلة تخطف برونقها وروعتها أنظار المجتمعات الأخرى، نظرا لانصهار الثقافات المختلفة ، وأثرها الإيجابي من الناحية الاجتماعية والثقافية وغيرها، لكن هذا لم يحدث إلاّ بشرط واحد ووحيد، وهو كفاءة الحاكم وقد مرّ بنّا في الحياة السياسية نماذج لحكام عظماء، أمثال عبد الرحمن الأوسط ، وعبد الرحمن الناصر لدين الله وابنه المستنصر والحاجب المنصور ويوسف بن تاشفين.

---

[1] أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص 236.

[2] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص 143.

[3] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص 48.

ويعترف ليفي بروفنسال بحكمة وقوة عبد الرحمن الثالث قائلا:« لا مناص من الإعتراف بأن منتصف القرن العاشر للميلاد، قد شهد في ظل إنتشار الإسلام السياسي على يد عبد الرحمن الثالث، انصهار جميع عناصر الشعب المسلم الوافدة وغير الوافدة ، نجم عنه توازن اجتماعي غير مصطلح، وكان مؤهلا للاستمرار ردحا من الزمن، لو لم تنبثق على غير المتوقع بعد عدة عقود معاول هدم عجلت بقطيعة لا رجعة فيها».[1]

أما معاول الهدم، فتتمثل في تفكك العناصر المختلفة للمجتمع ومطالبتها بالإنفصال عن الحكومة المركزية، فتنحدر بذلك البلاد إلى معترك لا مثيل له من الاضطرابات والفتن ، وفي ذلك يقول أحمد أمين:« فما يلبث الحاكم كفاية للضغط على هذه العناصر أخرجت هذه الشعوب كل أنيابها للفتنة والاضطراب، ولهذا كان تاريخ الأندلس حوادث متعاقبة، تختلف في النظام والفوضى، تستقر عند وجود الحاكم الحازم، وتضطرب عند عدمه».[2]

ولقد ظهرت هذه القطيعة فعلا، بعد إندثار الخلافة الأموية في الأندلس، فتقاسمت هذه العناصر البشرية الأندلس إلى دويلات صغيرة متناحرة.

---

[1] ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون مراجعة صلاح فضل، مج 2/ج1،المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 175.

[2] أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1388، 1969 ص 17.

المطلب الثاني: البناء الطبقي في المجتمع الأندلسي:

إنقسم سكان الأندلس الذين كانوا يتألفون من عناصر متعددة الأصول، وإن كانوا قد أصبحوا بالتدريج متجانسين نسبيا إلى عدد معين من الطبقات الاجتماعية: الطبقة الخاصة ، والطبقة الوسطى، وطبقة العامة. [1]

1-طبقة الخاصة "الأرستقراطية":

في قمة الهرم الاجتماعي، وجدت الطبقة الأرستقراطية بشرائحها المختلفة وتدخل شريحة الحكام والأمراء وأقربائهم المروانيين، ضمنها ، لقد نعموا بمكانة اجتماعية، وصار جو البذخ والإسراف، هو المخيم في بلاطاتهم وأصبحت ظاهرة الجواري والغلمان والموسيقى والخمور مسألة مألوفة في حياتهم اليومية [2]

أما الشريحة الثانية التي كانت تدور في فلك الأمراء "فتتكون من الوزراء والقضاة والقادة، والفقهاء[3]، ونشير إلى أن هذه الفئة قد استمدت مكانتها من حاجة الدولة لها في تسيير شؤونها، فحازت هذه الفئة على الاقتطاعات، وأصبحت من أغنى الفئات الإجتماعية على الإطلاق[4]،لقد كان الوزراء والفقهاء والقضاة يتفيأون تحت ظلال قصور الحاكمين وينالون رفدهم وعطائهم ، ومنهم نشأت كبرى البيوت في قرطبة ومنها أسرة بني عبده، وبني حضير، وبني شهيد، وبني فطيسي، وبني جهور، وبني الطبني. [5]

---

[1] جمس كولان، الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان ، ط1، 1980، ص 93.

[2] ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث حتى ظهور الخلافة، مطبعة منشورات عكاظ، الرباط ، المغرب، 1992، ص 136-138.

[3] ينظر: عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي، في القرن الخامس الهجري، دار غيداء للنشرو التوزيع، عمان الأردن، ط 1، 1432، 2011، ص 95.

[4] ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث حتى ظهور الخلافة ص 139.

[5] أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي ، ص 149.

وجدير بالذكر أن الفقهاء ورجال الدين والقضاة ، قد تمتعوا بمركز مرموق، كان له أثر في إزدياد ثرائهم، لذلك إحتكروا معظم المناصب العليا علاوة على الممتلكات من العقارات والأراضي والضياع ،[1] لكن مكانتهم في سلم الطبقات الاجتماعية كانت تتأرجح بين الثبات والتقهقر، على حسب تغير حكام الأندلس، فقد سما نجمهم في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل، ثم أفل في عهد الحكم بن هشام عندما أقصاهم وأبعدهم من التدخل في شؤون الدولة ، وفي عهد عبد الرحمن الناصر كذلك، ثم عاد للظهور وبقوة في عصر عبد الرحمن الأوسط وعصر الطوائف ولكن بصفة خاصة في ظل دولة المرابطين وهذا ما أثار حفيظة الأندلسيين خاصة الشعراء.

غير أن المركز الاجتماعي الكبير،الذي احتله العرب أو الصقالبة أو البربر قد اتسم بعدم الثبات نظرا لتغير الحكام[2]، ويكاد ينحصر بالعنصر العربي وحده في عصر الإمارة لكن الخليفة عبد الرحمن الناصر، قد عمل على تحطيم الأرستقراطية العربية، فاضمحلت وغاض نفوذها ، واختفت كقوة سياسية واجتماعية، إلاّ أنه قد حلّت محلها أرستقراطية من نوع جديد ، قوامها القادة والرؤساء العسكريون من الموالي والصقالبة وبلغ الفتيان الصقالبة أيام ابنه الحكم ذروة القوة والحكم والنفوذ والثراء، وبعد تسلط المنصور بن أبي عامر على نفوذهم، قضى على السلطتين معا ليعود النفوذ والسلطة إلى البربر.[3]

---

[1] ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية مصر، (د، ط)، 1997، ص 9-12.

[2] بتصرف: إبراهيم القادري بوتشيش، في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث حتى ظهور الخلافة ص 145.

[3] ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية ، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 4، 1417 ، 1997، ص 514.

الطبقة الوسطى:

كانت طبقة متنوعة التركيب، اختلفت عناصرها ونسبة توزيعها عبر مختلف أنحاء الأندلس[1]، وكان لهؤلاء من قوة السطوة ووفرة العدد[2]، وتضم هذه الطبقة التجار الكبار والمتوسّطين، وأصحاب الأعمال والمشاريع الصناعية، وموظفي الدولة والملاكين الصغار بمن فيهم، المزارعين الكبار والمتوسطين، وقد سُمُّوا بالتابعين بالأرستقراطية الحاكمة لارتباطهم الوثيق بها، لأن ولائهم متجّه إلى الهدوء والمسالمة [3] وكان للطبقة الوسطى في الأندلس نشاط ودور هام في المجتمع ، حيث قامت بدور المحافظة على التوازن خاصة بين الطبقة الخاصة والطبقة العامة، إذ ساهمت في تقليص التناقضات بين الفئتين الاجتماعيتين.[4]

طبقة العامة: وتنقسم بدورها إلى مستويين الأول هو عامة سكان الأندلس، وكانت تشمل معظم أهل المدينة، وهي الفئة التي كان يسميها الرواة "الغوغاء" وينضوي تحتها: العامل والحرفي والتاجر الصغير، والأجير والمزارع الصغير، وحتى العاطل عن العمل. [5]

لقد عانت هذه الطبقة من الضرائب اللاشرعية الثقيلة، خاصة في عصر الطوائف فأدى ذلك إلى سخطها[6]، ولهذا كانت هذه الطبقة أكثر تهيؤا للثورة وأكثرها تأثرا بالأزمات والحروب والقحط والجفاف.[7]

---

[1] أمحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان المغرب، 1408، 1987، ص 37.

[2] محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب العربي الأندلسي، منشورات دار أسامة، ط1، 1984، 1404 ، ص 20.

[3] ينظر: مريم قاسم الطويل، مملكة المريّة في عهد المعتصم بن صمادح، ص 83-84.

[4] أمحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، ص 33.

[5] ينظر: مريم قاسم الطويل، مملكة المريّة في عهد المعتصم بن صمادح، ص 84.

[6] المرجع السابق، ص 28.

[7] ريهنت دوزي، المسلمون في الأندلس، 1: 27.

أما الفئة الثانية هي طبقة العبيد وتأتي في أدنى درجات السلم الاجتماعي، كوّن العبيد طبقة مهمة في المجتمع الأندلسي، وكان لها دور كبير في تدعيم سلطة الأرستقراطية وتمكين نفوذها الاجتماعي، فكانوا أدوات بيد المالكين للأرض، وكان معظمهم من إفريقيا أو من أواسط أوروبا وهم الصقالبة، وهم بحكم القانون ملك لأسيادهم يفعلون بهم ما يشاؤون.[1]

وكان نظام العبيد موجوداً منذ أيام القوط، ولكن طبق أيام المسلمين بصورة أفضل مما كانت عليه، حين رفعت عن العبد كثير من صور العبودية القديمة، التي كانت تعطي للسيد عليها حق الحياة أو الموت، والبيع والشراء. [2]

واستخدم العبيد في الأعمال اليدوية من صناعة وزراعة، كما قاموا بالخدمة في القصور، بينما استخدمت النساء والغلمان في العمل في المنازل، أما الجواري والإماء فينقسمن عموما إلى نوعين جواري الخدمة وهن اللواتي يستخدمن في القصور لقضاء الحاجات المنزلية وما شابهها من تدبير لأمور المنزل، والنوع الثاني من الجواري فيشمل ما كانت وظيفتهن تسلية سيادتهن وجلب المتعة إلى نفوسهم فيتعلمن الشعر والموسيقى والغناء والرقص، وكان هذا القسم يحتل منزلة كبيرة في القصور. [3]

وعلى العموم فإن حالهن كان أحسن من العبيد الذين استغلوا في خدمة الأرض وحراسة القصور وخدمة الدور« يبدو أن العبيد السود المجلوبين من إفريقيا، استخدموا

---

[1] ينظر: عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1408، 1988، ص 285-286.

[2] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية، ص 515.

[3] ينظر: عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين، ص 287.

غالبا في زراعة الأرض وكانوا أكثر اضطهادا من البيض ذوي الأصل الفرنجي كما زاد بؤس طبقة العوام والعبيد بسبب المجاعات والأوبئة الفتن».[1]

المطلب الثالث: الفتن والحروب الأهلية وأثرها على المجتمع الأندلسي:

وبعد أن عرضنا الحالة الاجتماعية للشعب الأندلسي في حالة السلم والأمن، نعرج الآن إلى ذكر أثر الفتن والحروب على المجتمع الأندلسي والتي تمثلت في الجلاء والضرائب.

1-الجلاء:

عانى الأندلسيون من الإغتراب والترحيل قسرا عن الأوطان، ولقد نهج بعض الحكام سياسة البطش والقوة مع رعاياهم فكثر النفي والطّرد والجلاء والتشرد، [2] ولقد عدّ إحسان عباس ظاهرة الجلاء أخطر المظاهر الاجتماعية قائلا:« لقد أصيب المجتمع الأندلسي بتموجات متحركة، كانت أحيانا تخّل من توازنه، وتترك فيه نفسية عميقة، وقد بدأ هذا الجلاء يضرب على المستقرين بيد الشّتات في حادثة الفتنة البربرية أوّلا، ثم تزايدت حركة الجلاء ، إثر سقوط ملوك الطوائف».[3]

إلاّ أننا وقفنا من خلال بحثنا في التاريخ السياسي الأندلسي، أن الجلاء لم يظهر في عهد الفتنة وعصر ملوك الطوائف ، بل إن جذوره ممتدة في التاريخ الأندلسي وخاصة في عهد الأمير الحكم بن هشام، الذي أجلى عن الأندلس قسرا وقهرا من الأندلسيين الذين

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث حتى ظهور الخلافة ، ص154 .155

[2] بتصرف: فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط 1، 1409، 1989، ص 19.

[3] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان،الأردن، (د، ط)، 1997 ص 27.

شاركوا في الثورة الشعبية التي قاموا بها عام (202 هـ-817 م)، إلاّ أنه قمعها بقسوة وعنف ويقدر عددهم بخمسة عشر ألفا دون النساء والأطفال. [1]

في حين يذهب المقري إلى أن الحكم قد أجلى أكثر من ذلك العدد:« أجلى من بقي حوالي ستين ألفا[2]، هاجروا إلى المغرب وجزيرة كريد» .[3]

الشكل رقم: 04 الترحيل القصري لثوار الربض

[1] ينظر: أحمد توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (د، ط)، 1984، ص 12- 13.

[2] جزيرة كريد، حامية بيزنطية في بحر ايجة، كان العرب يطلقون عليها اسم " اقريطش"، أسسوا الدولة الربضية المسلمة، واستمرت هذه الدولة مائة عام إلى أن استردها البيزنطيون منهم (ينظر: طارق السويدان، تاريخ الأندلس المصور، ص 131.)

[3] المقري، نفح الطيب، 5: 16.

2-الضرائب:

أثقل بعض الحكام، خاصة حكام ملوك الطوائف كاهل الشعب الأندلسي بالضرائب « لم يكن ملوك الطوائف في سياستهم الداخلية، وإزّاء شعوبهم أفضل موقفا، ولا أكرم تصرف، فقد كانوا طغاة قساة على رعيتهم يسومونهم الخسف، ويثقلون كواهلهم بالفروض والمغارم، لملأ خزائنهم وتحقيق ترفهم وبذخهم».[1]

وعند سقوط دول الطوائف، إستطاع المرابطون أن يوحدوا البلاد، فنشروا الأمن في كل الأقطار وأبعدوا العدوان، الذي أذلّ الأندلسيين أيام ملوك الطوائف، وحكم المرابطون بالشرع الإسلامي، فألغوا الضرائب الكثيرة والجائرة، إلا ما أوجبه القرآن الكريم أو جاء به حكم الحديث أو السنة. [2]

المطلب الرابع: الحياة الاجتماعية في الأندلس:

الشعب الأندلسي كسائر الشعوب له صفاته الخاصة التي تميّزه وتكشف عن طباعه وأخلاقه، ومألوف عاداته، وفيما يلي عرض لأنهم صفات أهل الأندلس لقد تراوحت بين الصفات الإيجابية والصفات السلبية:

1-الصفات الإيجابية:

1-1-حب النظافة:

إتصف الأندلسيون بكلفهم الشديد بالنظافة ويحدثنا المقري:« وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بالنظافة، ما يلبسون أو ما يفترشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلاّ قوت يومه فيطويه صائما، ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه. [3]

---

[1] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر ملوك الطوائف وبداية المرابطين، ص 449.

[2] ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ج4، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان، ط 1، 1982، ص 35.

[3] المقري، نفح الطيب، 1: 223.

1-2-زيّهم:

ومن حيث الزيّ، فالغالب على أهل الأندلس ترك العمائم، ولاسيما في شرق الأندلس، أما أهل غربها، فلا تكاد ترى فيهم فقيها ولا قاضيا مشارا إليه إلاّ وهو بعمامة وكثيراً ما يتزيآ سلاطينهم وجنودهم بزي النصارى المجاورين لهم ، ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامِّهم من يمشي دون طَيلسان، إلاّ أنه لا يضعه على رأسه منهم غير عظماء الشيوخ، وكثيرا ما يلبسون غفائر الصوف حمراء وخضراء، والصفر خاصة باليهود.

1-3-شعار الحداد:

جرت العادة في معظم المجتمعات ارتداء الملابس السوداء عند الحزن على فقيد أو في التعبير على مناسبة حزينة أو مأساوية، في حين أن أهل الأندلس كانوا يرتدون الملابس البيضاء في هذه المناسبات. [1]

وأحدث وصول زرياب[2] إلى قرطبة انعطافا كبيرا في حياة الأندلس الاجتماعية والثقافية والفنية، وترك بصماته بوضوح على كل نواحي الحياة. [3] لقد افتتح زرياب ما يمكن أن نسميه معهد التجميل في قرطبة، وكان يعلم أصول الملابس ومناسبة الأزياء للفصول، ومما أدخله كذلك، في تقاليد المجتمع الأندلسي نظام الطعام وطريقة استعمال التوابل وترتيب الموائد، وتصفيف للشعر، ويمكن أن نقول بحق ودقة، أن زرياب كان

---

[1] المصدر السابق ،1: 222-223.

[2] **زرياب:** (ت نحو:230هـ-845 م): علي بن نافع أبو الحسن الملقب بزرياب، مولى المهدي العباسي، نابغة الموسيقى في زمانه كان شاعرا مطبوعا أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي. كان له دور خاص في تعريف الارستقراطية القرطبية. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 5: 28/ ليفي بروفنسال، أدب الأندلس وتاريخها، ص 07).

[3] محمد حسن قجة، دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ط 1، 1405 ، 1985، ص 48.

المثل الأعلى للسلوك الاجتماعي في قرطبة، فمال أهل الأندلس إلى الزينة ووضع العطور والاهتمام بالمظهر الخارجي. [1]

1-4-كراهية أهل الأندلس للتسول:

عادة التسول مستقبحة عندهم إلى النهاية، فإذا رأوا شخصا صحيحا قادراً على العمل يستجدي الناس في الطرقات أهانوه، [2] لذلك كانوا يحتاطون في تدبير أمور معاشهم بعناية فائقة: وفي ذلك يقول المقري:« وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذلّ السؤال».[3]

1-5-الاحتفال بالأعياد والمناسبات:

في كل عام كان الشاغل الأكبر لكل الأسر الإحتفال في سرور تام وبالطريقة اللائقة بالعيدين الدينيين، عيد الفطر وعيد الأضحى[4]، بالإضافة إلى أعياد ومناسبات أخرى، كعاشوراء ونصف شعبان والإحتفال بالمولد النبوي والسابع والعشرين من رمضان وأعياد "ينّاير"[5] وكانت هذه الأعياد مناسبات للزيارات وتبادل التحيات واجتماع الأهل والأصحاب ومن مظاهر حب الأندلسيين للطبيعة هو ميلهم للتهادي بالورود وغيرها في المناسبات، وكانوا يبعثون بها إلى أصدقائهم للدلالة على المودة والإحترام. [6]

---

[1] ينظر: محمد حسين قجة، دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، ص 85.

[2] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت) ، ص 141.

[3] المقري، نفح الطيب:1:223

[4] ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة، ترجمة عبد الرؤوف البمبي وآخرون تح: صلاح فضل، مج 2، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2002، ص 371.

[5] عيد يناير: أشبه بعيد النيروز، وكانوا يحتفلون به احتفالا كبيراً في المنازل والشوارع، حيث تقام النصبات في الحارات وهي عبارة عن دوائر كبيرة، يضع عليها الباعة أصناف الحلوى والفواكه. (ينظر: عصمت عبد اللطيف دندش الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين، ص 326.

[6] ينظر: عمر عبد الله توفيق، صورة الأندلس في القرن الخامس للهجري، ص 156.

2- مظاهر الأزمة الأخلاقية في المجتمع:

2-1-شرب الخمر واللهو والمجون:

مال الأندلسيون إلى ألوان من المتعة وصنوف من اللهو كالشراب والغناء والرقص والموسيقى وما شابه ذلك مما يكلف به الأندلسيون[1] ولأهل الأندلس ولع شديد بالشراب الذي كان شائعا بين الخاصة والعامة[2]، وتفشت هذه الظاهرة في عصر ملوك الطوائف «كانت القصور مثوى لفنون الغناء والرقص والموسيقى، وما يدخل بابهما من صور الترف... وكان هؤلاء الملوك من المعتكفين على الموسيقى والفتيات الحسان».[3]

ونفقت سوق الفن الموسيقى في الأندلس، وذاع أمره بين الناس ذيوعا واسعا في قصور الخلفاء في عهد بني أمية، وفي حكم المنصور وعصر الطوائف وعصر المرابطين [4] ولقد انتشرت الإباحية، وشرب الخمر بين أفراد المجتمع فعقدوا لها المجالس في البيوت والمنتزهات في الحرائق وفي الحانات وحتى على ضفاف الأنهار.[5]

إستنهض هذا الوباء الاجتماعي حفيظة بعض الحكام، كالحكم المستنصر:« كان قد رام قطع الخمر عن الأندلس وتشدّد في استئصال كروم العنب من سائر البلاد، فقيل له

---

[1] أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص 50.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 333.

[3] عبد الحليم عويس، التكاثر المادي، وأثره في سقوط الأندلس، دار الصحوة للنشرو التوزيع، القاهرة ، مصر، ط1 1414 ، 1994، ص19.

[4] آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد ، مصر، (د، ط) (د، ت)، ص 55.

[5] سامية جباري، الأدب والأخلاق في الأندلس، في عصر الطوائف والمرابطين، دار قرطبة للنشر والتوزيع المحمدية الجزائر، ط 1، 1429. 2009، ص 291.

إنهم يصنعونها من التين وغيره، فتوقف عن ذلك، إلاّ أنه أمر بإراقتها من سائر البلاد»[1] كما اقتفى الحكام المرابطون أثره في منعها:« اشتد المرابطون في متابعة المحلات التي تبيع الخمر أو من يشتريها، وأمروا بمعاقبة شاربي الخمر، واشتدوا في تنفيذ العقوبة واشتهر القاضي أبو بكر بن العربي في عقاب شاربي الخمر وأرباب اللهو وكانت له فيهم عقوبات قاسية».[2]

2-2-التغزل بالغلمان:

رافقت ظاهرة شرب الخمر واللهو والمجون، ظاهرة أخطر منها وأشدُّ فتكا بالمجتمع وهي آفة تمثلت في عشق الغلمان بهم، ولقد وصل بهم الأمر إلى بناء دور خاصة لهم ومنهم من ألف فيهم كتابا كاملا مثل كتاب "ترك الإعذار في وصف الأعذار للنواجي".[3] وفي ذلك تقول سامية الجباري:« وأضحت ظاهرة عشق الغلمان منبئة عن حالة نفسية تساوي فيها الحاكم والمحكوم».[4]

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في الهجاء الأندلسي:

نحو ما مر بنا من دراسة للأوضاع السياسية والاجتماعية في الأندلس،ظهر الهجاء في الشعر الأندلسي، ولقد رشحت لوجوده عوامل شتّى تمثلت فيما يلي:

المطلب الأول: العوامل السياسية:

إن المتتبع للأحداث التاريخية في الأندلس ، يشعر أن الأندلسيين لم يقدر لهم الاستمتاع بحياة سياسية مستقرة، فقد أخذت عوامل الضعف والانقسام تدب في كيان

---

[1] أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواوري، كنز الدرر وجامع الغرر، الدولة السمّية في أخبار الدولة الأموية، تح: جون هيلوجراف-اريكا جلاسن ،ج 4،المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415، 1994، ص 479.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 333.

[3] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي، ص 148.

[4] سامية الجباري، الأدب والأخلاق في الأندلس، ص 298.

المجتمع الأندلسي، ففي أواخر حكم الأمويين، ابتليت الأندلس بحكام ضعفاء وسرعان ما أضحت البلاد نهبا لفتنة عاتية قضت على الخلافة الأموية، ومزّقت وحدة الأندلس فانقسمت إلى دويلات، يستأثر بكل واحدة منها حاكم أو أمير، ودارت رحى الحرب فيما بينهم، فاستعانوا بالرّوم في حلّ خلافاتهم، بل إنّ بعضهم تحالف مع الرّوم ضد جيرانه من المسلمين. [1]

وأول ما يلفت نظرنا في عصر ملوك الطوائف إضطراب الحياة السياسية بالفتن الداخلية والمنازعات، وبالإقتتال بين ملوك الطوائف ، والحرب بين المسلمين والنصارى [2] فتفرّقت الكلمة بعد ذلك في الأندلس وأصبح لكل مدينة، أو إقليم حاكمه المستبد بالأمر وبعد أن زالت دولة الطوائف، خضعت الأندلس لحكم الأفارقة وأصبحت تابعة لا متبوعة أخذت المدن الأندلسية تتهاوى في يد الإسبان مدينة إثر أخرى ولم يبق سوى غرناطة وبعض الحصون التي ظلّت تقاوم ردحا من الزمن إلى أن سقطت في آخر الأمر مؤذنة بأفول شمس الإسلام عن الأندلس، ولم يقف شعراء الأندلس موقفا سلبيا إزاء هذه الأحداث، وإنما ارتفعت أصواتهم تندّد بسياسة حكام الأندلس، وتنتقد تصرفاتهم وتصفهم بالخزي والمهانة [3]

المطلب الثاني: العوامل الاجتماعية:

إتصف الأندلسيون بالحدّة والتطرف في نظرتهم ، فقد وجدت بينات الفقهاء والزهاد الذين كانوا يأخذون بالأمثل في كل حكم من الأحكام المتصلة بأمور الدين، كما وجدت

---

[1] فوزي عيسى سعد ، الهجاء في الأدب الأندلسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، مصر، ط1 2007 ص 16.

[2] ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف لأواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ج4، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ط2 ، 1984 ص391.

[3] ينظر: فوزي عيسى سعد، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 16.

بينات أخرى مالت إلى التساهل والتحرّر فصار فيها المحظور مباحا وأصبح غير المألوف مألوفا، وأسرف كثير من الناس في سلوكهم الاجتماعي، وعاش بعضهم حياة لاهية صاخبة، وانساق كثير من الحكام وراء هذا التيار العابث ، فوصف أحدهم أنه كان ينغمس في ملذاته ولا يعنيه شيء من أمور مملكته وظهرت مناكر كثيرة في المجتمع الأندلسي.

وقد أفاض الشعراء في وصف ما كان يدور في مجالس الخمر من تهتك وعبث وانتشار تيار المجون، وكثرت عصب المجان من الشعراء الذين كانوا يتحللون في حياتهم من كل قيد فيرتكبون المآثم[1] ويدعون إلى اللذة والمجون وينادون بالزندقة، وكان من الطبيعي أن يظهر الهجاء ويزدهر في هذا المناخ الاجتماعي فكثر سباب وملاحاة وانتقاد بعض المظاهر الاجتماعية الفاسدة.[2]

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 18.

[2] المرجع نفسه ، ص 19.

الفصل الثاني:

موضوعات الهجاء السياسي

الهجاء السياسي:

هو ذلك النوع من الهجاء الذي يذم وينتقد النظام السياسي السائد وبطبيعة الحال يتعرض للخلفاء والأمراء والولاة والقادة ، وغيرهم مما ينتمون إلى السلطة الحاكمة؛ وبعبارة أخرى، إن الهجاء السياسي إنتقاد صريح للواقع ورفض للقيم، التي تعيق سعادة الإنسان فالشعراء يستخدمونه للإعراب عن مخالفاتهم سياسة الحكام، وبيان مواقفهم حيال ما يجري في المجتمع[1] وفيه يصدر الشاعر عن عصبية للوطن أو الإقليم أو القبيلة أو الحزب. [2] وقلّما خلا عصر من عصور الأدب العربي من شعر الهجاء، وكل ما هنالك أن دواعيه قد تفتر في عصر، وتكثر في عصر آخر، فيقلّ الهجاء ويكثر تبعا لذلك، وهذا ما سنلاحظه لشعر الهجاء السياسي في الأندلس. [3]

المبحث الأول : هجاء الملوك:

لقد راج هذا اللون من الهجاء في الأندلس، ولاسيما في القرنين الرابع والخامس للهجرة ، وذلك لأسباب كثيرة من أهمها تقلب الأحداث السياسية واضطرابها، واستبداد بعض الحكام بالسلطة وإهمالهم شؤون الرعية وتقاعسهم عن الجهاد، الأمر الذي أدَّى إلى تحريك مشاعر الشعراء، وتصوير مدى عاطفة الغضب نحوهم، ورغم تشدّد الحكام اتّجاه شعراء الهجاء، إلا أنّه « لم يؤدّ إلى تكميم أفواههم أو إسكات ألسنتهم، عن المجاهرة بمساوئهم ومثالبهم، فعبروا عن ضيقهم لهم، وكشفوا عن أوجه الفساد في سياستهم وتشبثهم لكرسي الحكم على مصالح الرعية»[4].

---

[1] ينظر: عبد الغني إيرواني زاده، جمال طالباني، دراسات في الهجاء عند الشعراء الشيعة "دعبل الخزاعي السيد الحميري"، ديك الجن، مجمع ذخائر إسلامي إيران، (د، ط)،(د، ت) ص 60.

[2] امحمد بن لخضر فورار، الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب العربي القديم إشراف الربعين بن سلامة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2004،2005، ص 118.

[3] ينظر: عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 244.

[4] امحمد بن لخضر فورار، الشعر الأندلسي ظل الدولة العامرية، دراسة موضوعية فنية دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009 م، ص 93.

المطلب الأول:هجاء أمراء بني أمية.

برزت المعارضة للحكم الأموي في الأندلس، ففي فترة الإمارة إبّان الضعف، والتمزّق السياسي الذي دهى الأندلس، حين قسمت على أيدي الثوار والمعارضين من كل أصناف التركيبة السكانية لها أيام الصراع على السلطة ، خاطب الشاعر سعيد بن سليمان بن جودي[1] الأمير عبد الله وطالبه بالتخّلي عن حكم الأندلس، فقال(الرمل): [2]

قُلْ لعبد الله يشْددْ في الهربْ نجمُ الثّائرِ من وادِ القصــبْ

يا بني أميّةَ خلُّــوا مُلكـــنا إنّما المُلكُ لأبناء الـــــعربْ

وكان سلطان الأمويين أيّام عبد الله، قد تقلّص فهناك ابن حفصون كبير الثوار بالأندلس، وابن حجاج الذي استقل بإشبيليا، وسعيد بن جودي بغرناطة، وغيرهم كثيرون فكل واحدٍ يتصرّف في شؤون منطقة وكل شيء يذكر بانتكاس.[3]

وفي هذه الغمرة نسمع القلفاط[4] يهجو الأمير عبد الله بقوله(مجزوء الكامل): [5]

ما يَرتَجِي العاقلُ في مُدَّةٍ الرِّجْلُ فيها مَوْضِع الرّأسِ

ولما ننتقل إلى عصر الخلافة، العصر الذهبي للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، في ظل حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، نلاحظ أنه لم يكن للهجاء السياسي دوافع سياسية محضة، بل يصدر عن دوافع ذاتية، تدفع الشاعر إما للتكسب

---

[1] **سعيد سليمان بن جودي:** من أسباط بن إدريس السعدي، وهو من هوزان ، كان شاعرا وفارسا جواداً، كان أمير إلبيرة في عهد عبد الله بن محمد، له خصال تفرد بها كالجود والشجاعة والفروسية، والشعر والخطابة، وزعموا أن من أقوى الأسباب في قتله أبيات من الشعر قالها في هجاء بني مروان (ينظر، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 284 ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، 1: 157).

[2] ابن سعيد المغرب2: 105-106./ إبن الخطيب ، أعمال الأعلام 2: 284./إبن الأبّار،الحلة السيراء 1: 156.

[3] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2: 105-106/ ابن الأبار،الحلة السيراء، 1:156/ ابن الخطيب،أعمال الأعلام 2 : 176.

[4] القلفاط: كان الشاعر محمد بن يحي بن زكريا المتوفى عام 302هـ قرطبيا، وكنيته أبو عبد الله ولقبه القلفاط كان شاعرا مجودا مطبوعا، عدّه ابن حيان من شعراء المعلمين على أن غلبة الهجاء عليه لم تحرمه من المشاركة في موضوعات شعرية أخرى (ينظر، عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي ص181-182).

[5] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1: 98.

أو الموالاة ، مثلما حدث مع الشاعر الأندلسي محمّد بن هانئ الأندلسي، الذي كان مواليا للفاطميين، فكان لسان حالهم يمدحهم ويعلي من رايتهم، ويحطّ من شأن الدولة الأموية بالأندلس.

وفي الأبيات التالية هجاء مقذع ومؤلم لدولة بني مروان بالأندلس، يقول الشاعر أن كتائب المعزّ لدين الله[1]، قد طاردت بني أمية، فتفرّق شملهم، وصارت وجوههم سُودا كالأثافي من الذل والندامة، ثم يعرض بهم فيحط من أنسابهم الشريفة، ويصف دولة بني أمية بالنعل التي يطأها بقدمه من يشاء: (الطويل) [2]

كتائبَ شُلَّتْ فابذعرَّت[3] أميّـة ... فأوجُهُهاَ للخِزْي أثْفِيَـــةٌ سُفْـــعُ[4]

فمهلاً عليهمُ لا أبــاً لأبيهـــمُ ... فللَّهِ سَهمٌ لا يطيـــشُ لـــــه نَزَعُ

ألا ليْت شِعرِي عنهمُ أملُوكُهـمْ ... تدبِّر مُلكًا أم إِمَاؤُهُم اللُّكَـــــع[5]

تَجَافوا عن الحصن المُشَيّدُ بناؤُه ... وضاقَ بهمْ عن عزم أجنادهم وُسْعُ

وراحَ عميدُ المُلحدين عَمِيدُهُـــم ... لأحشائِه من حَرِّ أنْفَاسِـــــه لَذْعُ[6]

وتلكَ بَنو مَروانَ نَعلاً ذليلـــــةُ ... لواطئ أقدام وأنت لهـــــا شِسعُ[7]

---

[1] **المعز لدين الله** (219هـ-365م) : معد بن إسماعيل بن القاسم بن المهدي بن عبد الله الفاطمي، الخليفة الفاطمي (ينظر ،أعلام الأعلام للزركلي، 8: 179).

[2] ابن هانئ الأندلسي، الديوان، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1402، 1980 ص 190-191.

[3] **ابذعرَّت:** تفرَّقت، ابذعرَّ الناس: تفرّقوا، ابن منظور: لسان العرب، مادة (إبذعر) 4: 51.

[4] **أثفية:** الأثفية الحجر الذي توضع عليه القدر وجمعها أثافي، وهي جمع أثفية الحجارة التي ينصب عليها القدر. (ينظر، ابن منظور: لسان العرب، 9: 30.)

[5] **اللكع:** اللكع عند العرب أو اللئيم وقيل الوَسِخْ، وأمة لكعاء حمقاء. ابن منظور، لسان العرب،(مادة: لكع) 8: 323.)

[6] **لذع:** اللَّذع: حُرقة كحرقة النّار وقيل هو مَسَّ النار وحدتها، يريد الكي. ابن منظور: لسان العرب، (مادة لذع) 8: 317.

[7] **شسع:** شسع النعل قبالها الذي يُشد إلى زمامها، والزمام السير الذي يعقد فيه الشسع والجمع شسوع. ابن منظور لسان العرب، (مادة شسع)، 8: 180.

ولو سُرقوا أنْسابَهم يومَ فَخْرِهُـمُ ونَزْوتِهم ما جازَ في مِثْلها القَطْعُ

وفي قصيدة طويلة يمدح فيها الشاعر"ابن هانئ الأندلسي" الفاطميين، ثم ينتقل إلى هجاء الدولة المروانية بالأندلس وملوكها[1] :(الطويل)

لوْ يَسْتطيعُ البَحرُ لا يتَعدَّى على جدْولٍ يديك وإنَّه لقَمِيـــنُ[2]

أمْدِدْهُ أو فاصْفَح لهُ عنْ نَيْلِـــه فلقدْ تخوَّف أنْ يُقالَ ضَنِينُ

وأذّن لهُ يغرق أمية مُعلنـــــًا ما كانَ مأْذون له مـــأذُون

واعْذُر أُميَّة أن تَغُصَّ بِريقِهَـــا فالمُهْلُ ما سَقَيْتَهُ والغِسْلـينُ

ثم اتهم الرمادي[3] في أيام الحكم المستنصر بشعر ظهر فيه ذم السلطان وهذا ما يتضح في البيت الآتي:[4] (المتقارب)

يُوَلّي ويَعْزِلُ من يومهِ فلاذا يَتِم ولاذا يَتمُّ

المطلب الثاني :هجاء حجاب الدولة العامرية :

أما في عهد الدولة العامرية أيام استبداد محمد بن أبي عامر المنصور بالحكم فقد ظهر الهجاء ، وفي ذلك يقول المقري:« قام بعض الشعراء يهجوه ، وهجو الدولة جميعا».[5]

---

[1] ابن هانئ الأندلسي، الديوان، ص 128.

[2] **قمين:** بمعنى حَرِي، مأخوذ من تقمنت الشيء إذا أشرفت عليه أن تأخذه، قمن وقمين أي: حَرِ وخليف وجدير ، ابن منظور: لسان العرب، مادة (قمن) 13: 347.)

[4] **يوسف بن هارون الرمادي:** أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي الكندي، عاش أكثر أيامه في قرطبة، وانضم إلى زمرة طلاب القالي، عام 339 هـ، وارتفع شأنه في أيام الحكم المستنصر (ينظر: عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي، ص 198-199).

[5] ابن سعيد المغرب في حلى المغرب: 2: 41

[5] المقري، نفح الطيب، 1: 602.

وقال الدكتور محمد بن لخضر فورار:« شهد الهجاء السياسي في الأندلس شعراً ونثراً تطوراً في معانيه وألفاظه وصوره، زمان الدولة العامرية بحكم تغير الدوافع إليه وتطور الذوق العام» [1]

كان المنصور باستبداده سبب لانقطاع ملك بني أمية في الأندلس، وأخذ مع ذلك في قتل من يخشى منه من بني أمية، خوفا أن يثوروا عليه ، ويُظهر أنه يفعل ذلك شفقة على هشام المؤيد، حتّى أفنى من يصلح منهم للولاية، ثم فرّق باقيهم في البلاد[2]، فتبرّم إبراهيم بن إدريس الحسني[3] من تسلط الحاجب المنصور على السلطة الأموية وافتكاكه للحكم نهائيا منهم، فولغوا في ذمّه وبتشبيهه بالثعلب الماكر وفي ذلك يقول[4]:(الكامل)

أَبَنِي أُمَيَّةَ أينَ أقْمارُ الدُّجَـــى مِنكُم وأين نُجومُـــها والكَواكِـــبُ؟

غابتْ أُسُودٌ مِنكُم عن غَابِها فَلِذاكَ حَازَ المُلْكَ هذا الثَّعـــلـــبُ

ومن الأشعار التي تستنهض الأمويين لاسترداد الخلافة ، والتي تولغ في هجاء المنصور، ووصفه بأبشع الصفات[5]: (الكامل)

فيما أَرَى عجبٌ لِمَـا يُتَعَجَّـبُ جَلَّتْ مُصيبَتُنا وضاقَ المذْهَـب

إني لَأُكَذِّبُ مُقْلَتي فيـــما أرى حتَّى أقولَ غلطتُ فيما أَحسَـبُ

أيكون حَيّاً مِنْ أُمَيَّةَ واحِـــــدٌ ويُسَوِّسُ هذا المُلْكَ هذا الأَحْـدَبُ

---

[1] امحمد بن لخضر فورار، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية، دراسة موضوعية فنية، ص 93.

[2] المقري، نفح الطيب، 1: 591.

[3] **إبراهيم بن إدريس العلوي الحسني:** كان أديبا شاعرا في أيام المنصور بن أبي عامر، عاش أيام الفتنة أصله من المغرب ، سكن قرطبة إلى أن سيره ابن أبي عامر من الأندلس، فخاطب المروانية لما رأى غلبته واستبداده بالأمور (ينظر: ابن الأبّار الحلة السيراء، 1: 227.)

[4] ابن عذارى، البيان المغرب، 2: 274.

[5] المقري، نفح الطيب، 1: 591/ ابن عذارى، البيان المغرب، 2: 274.

تَمْشي عَساكِرُهُم حَوالَيْ هَوْدَجٍ أعْوادُهُ فيهِنَّ قِرْدٌ أشْهَـــــــبُ

أَبَنِي أُمَيَّةَ أَيْنَ أَقْمارُ الدُّجـــى مِنكُم ومـــا لوُجُوهِها تَتَغَيَّـــب

ومما جاء في الهجاء السياسي زمن الدولة العامرية، ما نظمه أبو جعفر المصحفي[1]، في هجائه للمنصور ابن أبي عامر، وذلك حين نال المنصور من منافسه المصحفي بسبب سلوكه السياسي والمعادي اتجاهه[2]، فقال المصحفي وهو في السجن أبياته المشهورة [3]: (الطويل)

غَرَسْتُ قَضيباً خِلْته عودَ كَرمـةٍ وكنْتُ عليه في الحَوادثِ قَيِّـمَا

أكرمهُ دهري فـــيزدادُ خُبثُـــهُ ولوكانَ منْ أصلٍ كريـمٍ تَكَرَّمَا

ومما ورد في هجائه أيضا[4] : (الكامل)

لا تَأْمَنَنَّ مِنَ الزَّمان تَقَلُّبـا إنَّ الزَّمـان بِأَهْلِهِ يَتَقلَّـــــبُ

ولقدْ أَرانِي والليُوثُ تَخافُني فأَخافَني من بـعدِ ذاك الثَّعلبُ

حسْبُ الكريمِ مهانَةً ومَذَلَّةً ألا يَزالُ إلى لَئِـيم يَطلُـــبُ[5]

---

[1] **أبو جعفر المصحفي:** (...–372هـ/...982م)هو أبو الحسين بن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة. الحاجب المصحفي، من بربر بلنسية، أديب عمل كاتبا أيام الناصر لدين الله ، تقلد خطة الوزارة أيام الحكم المستنصر، ولما آلت الخلافة إلى هشام المؤيد، تصرّف في أمور الدولة، ليطيح به ابن أبي عامر بعد ذلك، ويزجّ به في السجن، توفي عام 372هـ (ينظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص104/ كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء،1:407.)

[2] ينظر،امحمد بن لخضر فورار، الهجاء السياسي في الأندلس، زمن الدولة العامرية، ص 172.

[3] ابن بسام، الذخيرة، 1/4: 70.

[4] ابن الأبار. الحلة السيراء. 1: 267/ المقري نفح الطيب 421،1:422 /ابن عذارى البيان المغرب ،3 :268

[5] حسب الكريم مذلّة ونقيصة ألا يزال إلى لئيـــــم يطلبُ

وإذا أتتْ أعجُوبة فاصبر لها فالدهر يأتي بعد ما هو أعجب (ينظر، ابن الأبّار الحلة السيراء 1:267.)

وكان قوله لتلك الأبيات لما سيق إلى مجلس الوزارة للمحاسبة ، وواثق الضاغط يزعجه ويستحثه، وهو يقول:« رفقا بي يا واثق، فستدرك ماتحبه وتشتهيه، وترى ما كنت ترتجيه» [1]

ولما توفي المنصور ابن أبي عامر، تولى الحكم بعده ابنه المظفر عبد الملك بن أبي عامر، وأمسك بزمام السلطة على الخلافة الأموية، لم يسلم هو كذلك من الهجاء فلقد استنكرت بعض تصرّفاته ومن ذلك نجد الشاعر عبد الله بن عمر بن أبي عامر أبو حفص يذمه بسبب زواج فيه ريب [2] وعدم مرضاة الله (مجزوء المديد): [3]

عَربيٌّ مُـــزَوِّجُ عَبْدَةَ بنت أختِـــهِ

قبَّحَ اللهُ فِعْلَ ذا ورماه بمَقْتِـــــــهِ

المطلب الثالث :هجاء حكام الفتنة :

وفي أيام الفتنة المبيرة، لما تكالب الأمويون على كرسي الخلافة والعرش ظهر هجاء الحكام مشنعا بصفاتهم القبيحة واللاأخلاقية، إذ سفكوا الدماء وأباحوا الحرمات وشتتوا شمل الأندلسيين، وممن طاله لسان الهجاء محمد بن هشام بن عبد الجبار، الملقب بالمهدي والذي أظهر من الخلاعة والضعف وفي ذلك يقول ابن عذارى:« ظهر من فسقه واختلال دينه وعقله ، أمرلا يظهر إلاّ من أهل الدعارة المتمكنين فيها ، فكان هذا من جملة وأسباب القيام عليه واشتعال الفتننة لديه، ولم يزل طول مدته مشتهرا بالفسق

---

[1] ابن عذارى ، البيان المغرب 2:264.

[2] ذُم المظفر عبد الملك لما تزوج حبيبة بنت ابن عمه عبد بن يحي بن عبيد الله بن أبي عمار وهي ابنت اخته "بريهة" من عبد الملك بن قند مولاهم. (ينظر، ابن الأبّار الحلة السيراء،1:287.)

[3] ابن الأبار، الحلة السيراء، 2: 287.

مظهرا للخلاعة ، لا يفيق من سكر ولا يرع من منكر بالنساء والصقالبة والملاهي» [1] وفي هجائه وذمه قال أحد الشعراء: [2](مخلع البسيط)

قدْ قامَ مهدينَا ولكـــــنْ بملّة الفِسق والـــمُجونِ
وشاركَ النَّاس في حريمِ لا لولاهُ ما زالَ بالمَصونِ
منْ كانَ من قبل ذا أجمَّا فاليوم صـــــارَ ذا قرونِ

ومنهم من جعل قدومه وتوليه الحكم قدم نحس وشؤم على الأندلس، لاضطراب أمورها واختلال أوضاعها فقال فيه[3]: (مخلع البسيط)

أشأمَ خلقِ الله على العبادِ والنَّاسِ من حاضرٍ وبادِ
أبا الوليدِ الذي اقشـــعرَّتْ لنَحْسِهِ شَعْرَةُ البـــــلادِ
كانَ علَى قومهِ جميعًـــا مزاَرَ عـــــادٍ لقوم عادِ

وقال بعضهم فيه، وقد وصفه بأبشع الصفات لانحلاله الخلقي، لأنه ليس أهلا للخلافة لخفّة عقله [4]: (الوافر)

أميرُ النَّاسِ سخنةُ كلُّ عينٍ يبيتُ اللّيـــل بين مخنّثـــين
يَـجْشُم ذا وَيلثَـمُ خدَّ هذا ويسْكَـــرُ كلَّ يوم سَكْرتيْـــنِ
لقدْ وَلُّوا خلاَفتَـــهُم سَفيـــهًا ضعيفَ العقْلِ شيْناً غيْرَ زيـْن

ولم يسلم المستعين بالله من الهجاء، عندما انتزع الخلافة من المهدي، ولم يكن أحسن من سابقه حالا: يقول الشاعر ابن خلدون في هجائه:[5](الكامل)

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب ، 2: 354،355.

[2] المقري، نفح الطيب، 1: 421،422.

[3] ابن عذارى، البيان المغرب، 3: 80.

[4] المصدر نفسه ، 3: 80.

[5] المقري، نفح الطيب، 1: 249.

لا يرحمُ الله سُلــيمَانَكُـــم فإنّه ضدَّ سُليمـــــان

ذاكَ به غُلَّت شياطِينُـــهَا وحلَّ هذا كلّ شيـطان

فبسْمهِ ساحتْ على أرضنَا لهلاكِ سُكّان وأوطـانِ

وعندما استولى سليمان المستعين على السلطة، أصبح المهدي قعيد الخزي والشرك وفي هجائه يقول ابن درّاج القسطلي:[1] (الطويل): [2]

هنيئًا لهذا الدّهْر روح وريحـان وللدّين والدّنيا أمانٌ وإيمانُ

بأنّ قعيد الشِّرك[3] قد تُلَّ عرشهِ وأنّ أميرَ المؤمنينَ سليمانُ

المطلب الرابع:هجاء ملوك الطوائف

الهجاء السياسي من أكثر الاتجاهات رواجاً في الأندلس في القرن الخامس الهجري وقد تباينت صوره، إذ توزّعت بين هجاء الخلفاء والحجاب والوزراء والقضاة والعناصر البشرية المكوّنة للمجتمع الأندلسي، ورغم تشدّد الحكّام اتجاه الهجاء السياسي، إلّا أنه لم يؤد إلى تكميم أفواههم، أو إسكات ألسنتهم عن المجاهرة عن مساوئهم ومثالبهم، فعبّروا عن ضيقهم، وكشفوا عن أوجه الفساد في سياستهم، وفي القرن الخامس نجد بعد شعرائه قد هاجموا سياسة حكام الفتنة وملوك الطوائف، وانتقدوا تصرّفاتهم، فكان الهجاء السياسي من الموضوعات التي برزت في هذا العصر[4].

---

[1] **أحمد بن محمد بن دراج القسطلي**(347هـ-420 ت أو 421): يكنى أبا عامر وهو معدود في جمة الشعراء وابلغاء وشعره كثير ،يعرف بالقسطلي نسبة إلى موضع هناك يعرف بقسطلة درّاج، كان كاتب في الإنشاء أيام المنصور بن أبي عامر وهو معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء المذكورين من البلغاء. (ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس ص 110) (ينظر: ابن شكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأباري، 1: 76-77.)

[2]ابن درّاج القسطلي، الديوان، تح: محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، 1438،1961 ص 18.

[3] سمي المهدي بقعيد الخزي لأنه باعث الفتنة في الأندلس وموقّد نارها (ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، 2: 05).

[4] امحمّد بن لخضر فورار، الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، ص 118.

ويعد السميسر[1] وأبو إسحاق الإلبيري[2] من أبرز من مثل هذا الإتجاه يقول حافظ المغربي«وما من واحد أرخ أو تناول بالنقد أشعار عصر الطوائف ،إلا وقد وقف عند هذين الشاعرين السميسر وأبي إسحاق الإلبيري بوصفهما صوتين ممثلين للمعارضة في وجهها السياسي والاجتماعي، بوصف الكلمة عند أمثال هؤلاء، لا تهتم إلا بما يجيش في ضمير الأمة وتلك مسؤولية عظيمة ، وقد حملاها في غير ضعف أو استكانة أو تخاذل ».[3]

وبعد صراع وتطاحن كبير بين الأمويين وغيرهم على كرسي الخلافة، وانطفاء نار الفتنة المبيرة، وتصدع الصرح الأموي وتفكك عقده، انقسمت الأندلس في عصر الطوائف إلى دويلات صغيرة متنازعة، حيث استقل كل أمير بناحية وأعلن نفسه ملكا عليها وعهدوا إلى تقليد الخلفاء العباسيين والفاطميين في حياتهم وألقابهم ونعرتهم الخلافية. [4]

مما دفع ابن رشيق القيرواني [5] إلى التعريض بهم، لأنهم لم يكونوا من بيت إمارة أو خلافة، ومع ذلك فقد اتخذوا تسميات مثل المعتضد والمعتمد والمستعين .

---

[1] **السميسر**: (ت 480 هـ-1087م): خلف بن فرج الإلبيري أبو القاسم المعروف بالسميسر، شاعر هجاء أصله من إلبيرة وبيته في غرناطة أدرك الدولة العامرية وانقراضها، له كتاب سماه شفاء الأمر في أخذ الأعراض. (ينظر: الزركلي الأعلام، 3، 311/ ينظر: ابن سعيد، رايات المبرزين، ص 156).

[2] **أبو إسحاق الإلبيري**: إبراهيم بن مسعود بن سعيد بن إسحاق الإلبيري كانت ولادته في أواخر القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد، ولقب بالإلبيري نسبة إلى مدينته البيرة شاعر وفقيه، كان من أهل العلم معروفا بالصلاح، توفي تقريبا من نهاية عام 459هـ (ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي،5 :124/ إيميليو غارسيه غومس، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ص87./ محمد حسين قجة، دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، ص156).

[3] حافظ المغربي، شعر السميسر الأندلسي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006، 1427 ص 17.

[4] بتصرف أحمد العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 465.

[5] **ابن رشيق القيرواني**: هو أبوعلي، الحسن بن رشيق القيرواني، (390هـ-463هـ) شاعر وأديب، ونحوي لغوي بالإضافة أنه مؤرخ عروضي وناقد، ولد بالمهدية وقيل في المسيلة بالمغرب، رحل إلى القيروان سنة 406هـ، ودرس على جماعة من علمائها، وأدباءها ألّف ديوان شعر. (ينظر: ابن بسام، الذخيرة، 2/4: 75)

وفي ذلك يقول الشاعر (البسيط): [1]

ممّا يزهّدنـــي في أرضِ أندلسِ سَماعُ مقتدرٍ فيهـــــــا ومُعتضدِ
ألقابٌ مملّكةٌ في غيْرِ موْضِعهَا كالهرِّ يَحْكِي انتفاخاً صوْلةَ الأسدِ

وفي وصف حالة التناحر والصراعات السائدة بين ملوك الطوائف الطامع كل منهم في مملكة غيره لضمّها إليه،« كان عصر ملوك الطوائف عصر تفكك اجتماعي وضعف سياسي مشحون بالاضطرابات وبالفتن الداخلية والمنازعات» [2] لهذا راج الهجاء في الأندلس بصورة كبيرة ، وذلك لأسباب كثيرة من أهمها تقلب الأحوال السياسية واستبداد بعض الحكام بالسلطة وإهمالهم شؤون الرعية. [3]

وفي تصوير حالتهم المرزية التي تبعث على الأسى، يقول الشاعر أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجّام[4] يهجوهم في صورة مضحكة، يشبههم بالنساء الضرائر اللواتي يعتدين على بعضهن، فتطالب كل واحدة منهن بطلاق الأخرى (الوافر): [5]

كأَنَّ بِلادهم كانتْ نساءًا تُطالبُها الضَّرائِرُ بالطَّلاقِ

وكان حامل لواء هجاء ملوك الطوائف وزعيم هذا الفن ومن دون منازع السميسر الذي سخر شعره لنقد سياسية ملوك والطوائف المنتكسة ، التي جرفت الأندلس إلى معترك لا مثيل له من التمزق والانهيار السياسي والاجتماعي .

---

[1] ابن رشيق القيرواني، الديوان، تح: عد الرحمن باغي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1409 ،1989 ص 45-46.

[2] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس، 4: 391.

[3] فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 33.

[4] أبو تمام غالب بن رباح المعروف"الحجام": كان في عصر ملوك الطوائف ،تعلم الحجامة فأتقنها وتعلق بالآداب حتى صار آية .(ينظر، ابن سعيد المغرب ، 2:70.)

[5] ابن سعيد ،المغرب ، 2: 401.

قال عنه ابن بسام: « كان باقعة عصره وأعجوبة دهره، وهو صاحب مزدوج كأنه حذا فيه حذو منصور الفقيه[1]، وله تصرّف مستحسن في مقطوعات الأبيات، وخاصة إذا هجا وقدح، وأما إذا طوّل فقلما رأيته أفلح ولا نجح، وله مذهب استفرغ فيه مجهود شعره من القدح في أهل عصره». [2]

قال عنه طاهر مكي: و« له في زمانه موقف رافض حين رأى اختلال القيم وغلبة الصّغار وعجزه عن التّعبير، فأدار ظهره لكلّ ما حوله، جاء شعره رافضا بكل ما تعنيه الكلمة هجا من يمدحون واحتقر ما يكبّرون، وجاء هجوه لهم مفحشا ونقده قاسيا، فأهمله المؤرخون خوفا من هجائهم»[3]

إشتهر السميسر في عصره بين أبناء أمّته الأندلسية صوتا سياسيا معارضا، بكل ما تحمله الكلمة في عصرنا من مفاهيم وتداعيات، قال كلمته جريئة وصريحة في وجه ملوك الطوائف ، يتهمهم بالخيانة والتواطؤ مع أعداء الأمة الأندلسية، التي سعى الملوك إلى تقسيمها[4] مما جعله يهتف قائلا: (مجزوء الكامل)[5]

نادِ المُلُوك وَقُلْ لَهُـمْ مَاذَا الذّي أحدثتُـمْ
أَسْلَمْتُمْ الإسلام فـــي أَسْرِ العِدَا وقعدتُـم
وَجَبَ القِيامُ عليكـــمُ إذْ بالنَصارى قُمْتُمُ
لا تنكروا شَقَّ العصا فعصا النّبي شَقَقْتُمُ

---

[1] منصور الفقيه، منصور بن إسماعيل التميمي الفقيه الشافعي الضرير المُتَوَفّي في مصر سنة 306 هـ.(ينظر: عمر فروخ تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس، 4: 681).

[2] أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، ج1، ق1، دار الثقافة بيروت، لبنان ، 1417 ، 1997 ، ص 882.

[3] الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1987، ص67.

[4] حافظ المغربي، شعر السميسر الأندلسي صوت المعارضة الرؤية الأداة، ص 08.

[5] السميسر "خلف بن فرج الالبيري، شعر السميسر، تح إسماعيل بن حمد بن عبد الله السالمي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ط 1، 2016، ص 118.

يقف السميسر كقاض يسائل ملوك الطوائف، بأسلوب كله توبيخ وذم ،عن الجرائم التي ارتكبوها في حق دينهم ووطنهم ورعيتهم وتحالفهم مع النصارى، ثم أصدر حكمه الفاصل وهو وجوب القيام عليهم.

ويعود ليشن حربا ضروسا على ملوك الطوائف، بإجرامية حدها قاطع كالسيف يتهمهم بالخيانة والعجز والهوان والإستكانة لملوك النصارى، حتى باتت صفة الهوان متأصلة فيهم، ويختم مقطوعته ببيت شبه فيه ملوك الطوائف برياح عاد، التّي سلطها الله على قوم عاد، الذين كفروا وعتوا عن أمر ربهم، أما وجه الشبه فيكمن في جبروت وطغيان الملوك وخسفهم بالرعية، تماما كرياح عاد في عتوها وقوتها، وان كانت رياح عاد قد أهلكت الكفرة الفجرة ،فإن رياح الملوك قد خسفت بالمسلمين البررة فسامتهم ألوانا من العذاب، فيصفهم قائلا: (الطويل) [1]

خُنتُمْ فهُنتُمْ وكمْ أهَنْتُمْ زَمَانَ كنتُم بلا عيُون
فأنتُم تحتَ كلّ تحتٍ وأنتــم دونَ كلّ دون
سكنْتُم يا رياحَ عــادٍ وكلّ ريحٍ إلى سكُون

ويندد السميسر قائلا: (الوافر) [2]

رَجَوْنَاكُمْ فَمَـــا أَنْصَفْتُمُونَـا وَأَمَّلنـاكُمُ فَخَذَلْتُمُونَـــا
سَنَصْبِرُ والزَّمَانُ لَهُ انْقِلَابُ وأَنْتُمْ بالإِشَارَةِ تَفْهَمُونَا

يسخر السميسر في هذه المقطوعة من حكام الطوائف ويندد بسياستهم المنحرفة ومواقفهم المخزية التي خيبت آمال الرعية فيهم، فما أنصفوهم وما حققوا لهم آمالهم بل زادوهم آلاما، ثم يدعو إلى التحلي بالصبر، لأنه متيقن بانقلاب الدهر عليهم « وكأنه يشير إلى إنقلاب قد يحدث ليزيل أولئك الحكام المتفرقين، وهي نبوءة شعرية حققها

[1] المصدر السابق ، ص 126.
[2] المصدر نفسه ، ص 124.

المرابطون بقيادة أميرهم يوسف بن تاشفين»[1]، ويجري على هذا النّسق من التشفّي في قوله (الطويل): [2]

وُلّيتُم فما أحسنْتم مذ ولّيتُـم ولا صُنتُم عمن يصُونُكم عرضـا
وكنتم سماءً لا يُنال مناهـا فَصِرتُم لَدى مَن لا يُسائلـكُم أرْضا
سَتسترْجعُ الأيّام ما أقرضتُم أَلَا إنّها تستـرجعُ الدّيـن والقرْضَـا

يهجو السميسر ملوك الطوائف ، ويظهر شكواه مما آلت إليه حال الأندلس وشعبها إبان حكم ملوك الطوائف، فقد كانوا أسوء قدوة فما صانوا أرضهم ولا دينهم، ولا أنفسهم فلحقهم الخزي والذل والهوان.

ويستمر السميسر في توجيه وخزاته وانتقاداته اللاذعة إلى ملوك الطوائف وحال لسانه، يرمي بقذائف من اللّهب في وجوه حكام الطوائف قائلا: (مخلع البسيط): [3]

يَا مُشْفِقًا مِنْ خُمُولِ قَوْمِ لَيَسَ لَهُمْ عِنْدَنَـا خَـلَاقُ
ذَلُّـوا وقَدْ طَالمَا أذلُّـوا دَعْهُمْ يَذَوقُوا الذّي أَذاقُوا

في هذين البيتين «هجاء سام يكشف فيه السميسر للضعفاء من الرّعية حقيقة ملوك الطوائف أمام مجموع الناس ومنهم الشاعر، ممن فقهوا فلسفة الثواب والعقاب، حيث لا خلاق لهم عند عامة الأمة، وهذه الصيغة التنكيرية لكلمة خلاق، تشير إلى استلاب كل حظ ونصيب من الأخلاق والشهامة والعفاف ويعمّقه إحساسه بموقف ملوك الطوائف إذلالا وخسّة وخيانة». [4]

---

[1] عبد الحميد شيخة، الوطن في الشعر الأندلس دراسة فنية ، مكتبة الآداب ،القاهرة ، ط1، 1418، 1997 ص 105.

[2] السميسر، الديوان، ص103.

[3] المصدر نفسه، ص 108.

[4] امحمد بن لخضر فورار، الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، ص 127.

وبعد أن وجه السميسر الهجاء لملوك الطوائف عامة دون ذكر إسم من أسمائهم هاهو الآن يعرج بالتخصيص معرضا بحاكم غرناطة عبد الله بن بلقين[1]حين انشغل ببناء قصر عظيم "قلعة" ، في وقت يحتاج فيه الناس في الأندلس إلى تهيئة الجيوش ضِدَّ هجمات الدّول الشمالية، والعناية بشؤون الرّعية الذين بهّضتهم الضرائب والإتاوات[2] فقال في هذا الملك (مخلع البسيط): [3]

صاحبُ غرناطــةَ سفيــهٌ وأعلمُ النّاس بالأمــورِ
صانِعُ أذفونش والنّصارى فانْظر إلى رأيِهِ الدّبيِر
وشَادَ بنيانـــــه خلافـــا لطاعـةِ الله والأميــرِ
دعوهُ يبنِي فسوفَ يدْري إذا أتَتْ دَوْرَهُ القديــرِ

ولما كثر منه مثل هذا الهجاء المؤلم توعّده الأمير عبد الله بسفك دمه، ففرّ إلى المعتصم بن صمادح [4] أمير المريّة [5] مستجيراً فأجاره ، وأقام عنده حتى استولى المرابطون على إمارته سنة 484هـ.[6]

---

[1] **عبد الله بن بلقين:** هو عبد الله بن بلقين بن حبوس بن ماكسن لقب بالمظفر بالله الناصر لدين الله قاد بلاده إلى أن خلعه أمير المرابطين يوسف بن تاشفين (ينظر مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 51).

[2] محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر العاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1421 ، 2000، ص 74.

[3] السميسر، الديوان، ص 98.

[4] **المعتصم بن صمادح:** هو محمد بن معن بن صمادح سمى نفسه المعتصم بالله الواثق بفضل الله ضاهى في ذلك عباداً كان من أهل الأدب والمعارف، فاضلا عاقلا حسن السيرة في رعيته توفي سنة 484هـ. (ينظر: ابن عذارى البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 3 : 166-173.)

[5] **المرية: AIMERIA**: مدينة كبيرة من مشاهير مدن الأندلس، ومن أعمال كورة إلبيرة، تقع بين مدينتي مالقة ومرسية على حافة بحر الزقاق (البحر المتوسط) مقابلة وادي آش Guadix. (ينظر: مريم قاسم طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح، ص 16).

[6] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي،عصر الدول والإمارات، الأندلس، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، (د، ط) (د، ت) ص 234.

وجاء السلفي في معجمه برواية أخرى عن موقف السميسر فقال:« كان لباديس بن حبوس[1] وزير يهودي فهلك واستوزر بعده نصرانيا فقال أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري "السميسر" ثلاثة أبيات وكتب بها نسخا عدّة ورماها في شوارع البلد والطرقات، وسار من ساعته إلى المرية معتصما بالمعتصم بن صمادح، وطارت الأبيات في أقطار الأندلس ولمّا وقع عليها باديس أرسل وراءه أصحاب الخيل ففاتهم ولم يلحقوه» فندّد قائلا: (مجزوء الرمل):[2]

كلّ يــوم إلـــى وَرَاءِ بُدِّل .....[3]

فَزَمَـــــانٌ تَهـــوَّدا وَزَمَـــانَا تَنَصَّـــرَا

وسَيصْبُو إلى المَجُوس إن الشَّيــخُ عمَّــرَا

ويبدو أن السميسر كان معارضاً لباديس في سياسته ، التي تقوم على الإستعانة بالنصارى أو باليهود، وتوليهم المناصب الكبرى في الدولة وخاصة منصب الوزارة، ويتوقع السميسر إن طال عمر هذا الحاكم، فإنه في المستقبل سيولي أمره للمجوس عبدة النار فيسلِّم بذلك رقاب الرعية المسلمة إلى الكفرة الفجرة.

لقد كانت سياسة بعض ملوك الطوائف تقوم على إصطناع اليهود والنصارى والإستعانة بهم، فعظم شأنهم وخاصة في غرناطة، حتى كادوا للإسلام، وعملوا على تدبير الدسائس وبث الفتن، والإضطرابات داخل إمارات الطوائف، مما قضى على هيبة الخلافة ودَلّ ذلك على ضعف الحماس الدّيني، والعزّة القومية لدى أولئك الملوك الضعفاء فأصابهم الهوان والتشتّت.

---

[1] باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي، صاحب غرناطة من ملوك الطوائف بويع بعد وفاة أبيه سنة 428هـ (ينظر: الزركلي، الأعلام، 2: 42).

[2] أبو طاهر السلفي "أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي " تح إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت لبنان ، ط1، 1963، ص 8.

[3] أسقط الشطر لبذاءة الكلمات.

وما نقرؤه من هجاء السميسر يدلُّ على أنه كان من أكثر شعراء الأندلس غيرة على وطنه، فهو يصدر في هجائه عن دافع وطني أصيل، ويتعدّى هجاؤه النظرة الذاتية أو الإقليمية إلى وجهات أعمّ وأشمل[1] ويعد أكثر شعراء عصر ملوك الطوائف جرأة وجسارة، لأنّه عبّر وبحق عن ضمير الأمة وكان صوته الغاضب هو صوت الشعب بأسره. [2] وأبرز مافي خصائص شعر السميسر، العفوية وصدق التعبير دونما تكلف أو تصنع، ولقد جاءت معانيه بينة الوضوح في لغة سهلة وأسلوب لا غموض فيه. [3]

ولما صدر ابن تاشفين ظافراً وأجاز البحر إلى العدوة صادراً، وتحرّك إلى الأندلس مجاهدا لأعدائها، وناظراً في خلعِ رؤسائها، فلمّا قبض عليهم لم تقم لسائرتهم قائمة ومُزِّقوا كل ممزّق وفي ذلك يقول أبو الحسن جعفر بن إبراهيم اللورقي (البسيط): [4]

كمْ بالمغاربِ من أشْلاءِ مُخْترمٍ وعاثرِ الجدِّ مَصْبورٍ على الهونِ
أبنـــــاءُ معنٍ وعبادٍ ومَسْلمَــة والحِمْرِيّيـــــن باديسَ وذي النونِ
راحُوا لهُم فِي هِضابِ العزّ أبْنيَة وأصبَحُوا بينَ مقْـــبورٍ ومسجونِ

ومن شعراء التصدّي والثورة على الأوضاع، والتنديد بسياسة الحكام، الشاعر ابن عصفور الحضرمي[5]الذي وبّخ ملوك الطوائف لاستهتارهم وسوء تدبيرهم للأمور ولأتباعهم سبل الغي والعمى الذي ترتّب عنه انقضاض ملكهم وعرشهم، يقول (البسيط):[6]

أَضعْتُمُ الحَزمَ في تَدبيرِ أمُورِكُم ستعلمون معاً عُقْبَى البـوَارِ غَـــدَا

---

[1] عيسى فوزي سعد، في الأدب الأندلسي، ص 48.

[2] المرجع نفسه، ص 49.

[3] محمود محمود العاصودي، شعراء أندلسيون، مطبعة المقداد، غرة –فلسطين، ط1، 1431،2010، ص 105.

[4] ابن الأبار، الحلة السيراء، 2: 101.

[5] **ابن عصفور الحضرمي:**(489–550هـ /1096–1155م) عبيد الله بن عمرو بن هشام الحضرمي الإشبيلي أديب مقرئ من الشعراء جوال، ولد بقرطبة، وتصدّر للاقراء بمراكش ثم نزل مرسية. (ينظر: الزركلي، الأعلام،4: 196).

[6] ابن عذارى، البيان المغرب، 3: 110 – 111 .

فلو رَأَيْتـــم بعيْنِ الفِكرِ حَالـــكُمُ بَكَيْتـــمْ بِدمٍ إن دُمْتُـــمُ بَـــــدَدَا
لَكِنَّ سُبُلَ العَمَى أعْمَت بَصَائِرَكُـــمْ فأَلْبَسَتْكُم ثِيابـــا لِلْبَـــلى جُـــــدُدَا
ياأُمَّةً هَتَكتْ مَســـتورَ سَوْءَتِـــــها ما كُلُّ مَن ذَلَّ أعْطى بالصَّغَارِ يَـدا
في سورَةِ الحَشرِ آياتٌ مُفَصَّلَـــــةٌ في شَأنِكُم أُنزِلَـت لم تَعْدُكُـمْ عَـدَدَا
نعم وفي الكهف العشرين خاتمـــة تَقْضي عَليكُـم بِأن لا تُفْلِحوا أبـــدا
فاسْتَشْعِرُوا سُوءَ عُقْبَاكُم فَقَد شَمِلـــتَ جَميعَكُم مِّحْنَـة لا تَنقَضي أَبـــــدا

ومن الشعراء الذين هاجموا ملوك الطوائف الشاعر أبو عامر الأُصيلي [1] الذي نعتهم بأبشع النعوت، فهم رعاع أوغاد لا صلاح فيهم، لكونهم كانوا السبب في ضياع البلاد، فضاع الأمان والسلام، وساد الظلم والسلب والنهب لخيرات البلاد فأُسبلت الأندلس بذلك أثوابا من الذل والهوان، فيقول (الوافر): [2]

إلَى أين الفِرارُ ولا فِـــرارُ ومنْ لي بالقرارِ ولا قَـرارُ
أرى الأوْغادَ يعتَمِرونَ دُوراً ومالِي في بـــلادِ الله دارُ
أجُولُ فلا أرى إلاّ رعاعــاً كبارهم إذا اخْتُبروا صغارُ
بلادٌ عُرّيتْ من كل خيـرٍ فملبسُ أهلـها مقتٌ وعارٌ

ومن الشعراء الذي عرّضوا بملوك الطوائف أبو الحسين بن الجد[3] الذي شخّص في هذه القصيدة لوباء يصاب به الملوك في كل زمان ومكان، وهو التخاذل والإبتعاد عن تعاليم الدين وهدر الأخلاق والقيم ، تتبع هفوات ملوك لطوائف، منتقدا هاجيا حكام الأندلس فوصمهم بأنهم بطانة السوء ، فهم متخاذلون ركنوا إلى مغريات الحياة الدنيا

---

[1] **أبو عامر الأصيلي**: كان جوَّابه الأفاق، من كبار فحول الشعراء والكتاب في القرن الخامس الهجري. (ينظر: ابن بسام الذخيرة. 2/3: 23.)

[2] المصدر نفسه ، 2/3: 861.

[3] **ابن الجد** (ت 515هـ):هو ابو القاسم محمد بن الجد الفهري المعروف بالأحدب كان له تفنن في المعارف والعلوم مقدما في البلاغة والأدب (ينظر ابن خاقان، قلائد العقيان، 302:2/1.)

من سماع للقيان والموسيقى ومعاقرة الخمر، والابتعاد عن نهج الدين القويم، بدلا من أداء فروضهم من التمسك بدينهم والدفاع عن وطنهم ، وكان هذا الداء سببا في انهيارهم وزوال ملكهم وضياع أمة بأسرها ، وفي ذلك يقول: (الطويل): [1]

كلّ يومٍ غريبٍ فيـــهِ مُعتبَـــــر تلقـــــــاهُ أو يتلقَّـــــانا خبــرُ
أرَى الملوكَ أصابتْهم بالأَندلـــس دوائِرُ الســـوءِ لا تُبقي ولا تذرْ
قد كُنت أنْظُرُها والشّمسُ طالعةٌ لو صحّ للقومِ في أمْثالها النَّظـر
نامُوا وأسْرى لهم تحْتَ الدُّجى قدرُ هوَى بأنْجُمهم خسْفٌ وما شَعَروا
وكيف يـَـــــــشعرُ من كفِّه قدحٌ يحدُوا به ملهاةُ النّـاي والوتـــــرُ
صُمَّتْ مسامِعُهم عن غيْر نغْمتهِ فما تمُرُّ بهِ الآيـــــــاتُ والسـُّورُ
تلقاهُ كالفَحْل مَعـبُوداً بمجلســـهِ له خوارٌ [2] ولكن حشْـــوُه خُـوَرُ [3]
من حولهِ كل مُغـــترٍّ وما علِموا أنّ الذي زخْرفتْهُ دُنـــياهم غَـرَرُ
فقُلْ لمنْ نامَ أصْبَحت انتبهْ فلقد قضَى بك اللّيلُ نحْباً وانقضى السَّمرُ
رُدُّوا مَوارِدكُم قد أورَدْتم حَنقـــاً بها الأنَـــامُ ولكنْ مالكُـــم صَدَرُ
كأنّـي بكم قدْ صِرتُم سَمَـــــرًا وما لكُـــم في الورَى عينٌ ولا أَثَـرُ
أماتَكُم قبْـل الموتِ سوءُ فِعلكُم وكيفَ بالذِّكرِ إن لم تُحْسَنِ السّـيـرُ

---

[1] لسان الدين الخطيب، أعمال الأعلام، تح: سيد كسروي حسن، ج2، دار الكتب، العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط) (د،ت)، ص 219-221.

[2] **الخَوَرَ**: بالتحريك الضعف، وخار الرّجل يخور خَوَراً وخَوِرَ خَوَرًا وخُوّر: ضعف وانكسر، ورجل خوار: ضعيف ابن منظور، لسان العرب،(مادة خور) 04: 262.

[3] **خُوَرَ**: الخوار صوت الثور وما اشتد من صوت البقر والعجل، وقد خار يخور خُوَاراً: صاح. ابن منظور، لسان العرب، (مادة خور) 04: 261.

ولما بلغ الروم على مدينة ببشتر سنة 453هـ، هاجم الشاعر أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني[1] سياسة المعتضد بن عباد[2] واتهمه هو وملوك الطوائف بالغفلة عن مصالح الرعية، وغفلتهم عن الأخطار التي تهدّد الأندلس، ولما كان يوم الجمعة (11 من ربيع الأول 460هـ)، أحضر المعتضد الشاعر إلى القصر، وباشر قتله بيده[3] لما بعث له برسالة حضّه فيها على الجهاد، قائلا: (الطويل) [4]:

أَعَبَّادٌ جَلَّ الرَّزْءُ والقَومُ هُجَّــعُ عَـلى حـالةٍ مِن مِثْلِها يُتَـــــوَقَّــعُ
فَلَقٍّ كِتابي مِن فَراغِكَ ساعــةً وإن طالَ فالمَوصوفُ للطولِ مَوْضِعُ
إذا لم أبُثَ الداءَ رُبَّ شِكايَــة أضَعْتَ وأهْـلٌ للملامِ المضَيِّـــــعُ

أما الشاعر إبراهيم اللورقي فقد هجا ملوك بني عباد، ونعتهم بالبخل مع أنّ صفة الكرم كانت متأصلة فيهم ، يقول(الطويل): [5]

تعزَّ عن الدُّنيا ومَعْروفِ أَهلِــها إذا عُدِمَ المَعروفُ في آل عَبَّادِ
حَلَلْتُ بِهِم ضَيفا ثَلاثَةَ أَشْهُــرٍ بِغَيرِ قِرًى ثُمَّ ارْتَحَلْتُ بــلا زادِ

---

[1] **أبو حفص عمر بن الحسين** بن عمرو بن عبد الله الهوزني (392- 460هـ/1002-1068م.) عاش زمن ملوك الطوائف ولد بإشبيلية من رجال السياسة ،شاعر عالم بالحديث (ينظر، ابن بسام، الذخيرة، ق 1/2: 81 / كامل سلمان الجبوري ،معجم الشعراء 79:4.)

[2] **المعتضد بن عباد:** (407-461هـ) هو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي "يكنى أبو عمر تولى الحكم سنة 433 هـ، كان شديدا في سياسته. (ينظر: ابن عذارى،البيان المغرب ،204:3 / ابن خاقان ،مطمح الأنفس ص 170).

[3] ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 2: 240.

[4] المصدر نفسه، ص 240.

[5] ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، راجعه طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 177.

ولما توفى المعتضد بن عباد، سُرَّ بعض الشعراء بموته، فلم يسلم وهو في قبره من هجاء الشاعر ابن زيدون[1] لمّا نعاه الناعي فوصفه بالطاغية المتجبر قائلا: [2]

لقدْ سَرَّنا أنَّ النَّعْـي مُوَكَّـــــــــلٌ بطاغيةٍ قدْ حُمَّ مِنها حَمامُ

تَجانب صَوب المُزنِ عن ذلك الصَّدى ومرَّ عليهِ الغيثُ وهوجهَامُ

ومن الباحثين من رأى أن هذه الأبيات ليست من قريض ابن زيدون بل هي منسوبة إليه بدافع الحسد والغيرة ، وفي ذلك يقول السعيد محمّد مجيد:« مثل هذا الهجاء بعيد عما يعرف عن الشاعر، فابن زيدون لا يهجو إنسانا ميِّتا، لأن علاقته مع المعتضد بن عبّاد استمرت ... ثم إن المعتمد مُتولّ الحكم بعده، وأنّ منزلته ومركزه عند المعتمد ، قد تفوق ما كان يتمتع به من منزلة ومكانة عند والده فلا شكَّ أن هذان البيتين من وضع حُساد ابن زيدون وأعدائه».[3]

ومن الشعراء الذين برعوا في فن الهجاء ابن عمار[4]ولاميته المشهورة معرضا فيها بأعظم ملوك إشبيليا وهو المعتمد بن عباد[5] وزوجته إعتماد الرميكية[6].

---

[1] **ابن زيدون:** (394هـ-ت464 هـ) هو الوزير الشاعر أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي ولد بقرطبة في بيت علم وفقه ، كان من أعلام الشعر والنثر في الأندلس كلف بحب ولادة بنت المستكفي قال فيها أجمل الغزل وأرقه.(ينظر عيسى خليل محسن أمراء الشعر الأندلسي ص 224)

[2] ابن زيدون، الديوان، تح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1415-1994، ص 297.

[3] السعيد محمد مجيد، الشعر في ظل بني عبّاد، مطبعة النعمان، العراق، ط 1، 1972، ص 199.

[4] أبو بكر محمد بن عمار (422-477هـ/1031-1084م) من أهل شلب صحب المعتمد بن عباد من الصبا حتى كانت له مكانته الخاصة، إلى أن دخله العُجب ، فسمت له نفسه إلى الملك ، وكان أن قتله المعتمد بيده. (ينظر، ابن خاقان قلائد العقيان،1:253.)

[5] **المعتمد بن عباد:**(431-488 هـ) عبد الله أبو القاسم محمد بن الملك المعتضد بالله، كان فارسا شجاعا عالما أديبا ذكيا شاعرا محسنا كبير الشأن خير من أبيه (الذهبي ، سير أعلام النبلاء 19:66.)

[6] **اعتماد الرميكية: (ت488هـ/1095م):** اعتماد الرميكية وهي شاعرة أندلسية، كانت جارية لرميك بن حجاج فنسبت إليه وآلت إلى المعتمد فتزوجها، وولد منها عباد وعبيد الله ويزيد والمؤتمن، أسرت مع المعتمد وأرسلت إلى أغمات من مراكش وماتت الرميكية في أغمات قبل المعتمد بأيام. (ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء،1: 290).

واتفقت الآراء في عدم إنتسابها لابن عمار، بل هي قصيدة ملفقة إليه بسبب كثرة حساده ، نظرا للمكانة التي حظي بها عند المعتمد بن عباد، فريهنت دوزي يرى أن هذه الأبيات ليست من قريض ابن عمار، بل هي منسوبة إليه بدافع الغيرة والحسد وفي ذلك يقول:« كان لابن عمار في إشبيليا رهط من الحساد والأعداء، الذين لم يكفوا عن افتراء الأكاذيب عليه ويصوّرونه في صورة تقتدى لها العين » [1]

أما السعيد مجيد يرى أن الأبيات منسوبة إلى ابن عمار، بتحريض من ابن عبد العزيز[2] أمير بلنسية، وكان ابن عمار قد هجاه قبل هذا[3]، وفي لامية ابن عمّار اللاذعة التي سلح فيها بهجاء المعتمد وزوجته وبنيه ، والتي مطلعها (المتقارب):[4]

ألا حَيَّ بالغربِ حياً حــلالا أناخوا جِمالا وحازوا جَمــالا

وعَرِّجْ بيومين[5] أُمِّ القـــرُى ونَمْ فعسى أنْ تَراها خَيَــالا

لتسأل عن ساكنيها الرمـــاد ولم تَر للنار فيها اشتعــالا

أيا فارس الخيل يايَزيدَهَــا[6] حميت الحِمى وأبحت العيالا

وفي الأبيات التالية يتناول بالهجاء إعتماد الرميكية زوجة المعتمد فيصمها وأولادها بأقبح الصفات: [7]

---

[1] ريهنت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي،ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د، ط)،1995 ص115

[2] **ابن عبد العزيز**: كان وزيرا ببلنسية المظفر عبد الملك ابن المنصور.(ينظر،المقري، نفح الطيب،1: 641.)

[3] السعيد محمد مجيد، الشعر في ظل بني عبّاد ص199.

[4] صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية تاريخية لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بني عباد في إشبيليا، مطبعة الهدى، بغداد، (د.ط)، 1957، ص 291.

[5] **يومين**: اسم قرية بقطر إشبيليا كانت أولية بني عباد (ينظر ابن الأبار، الحلة السيراء 63:2.)

[6] **زيد الخيل (...–نحو 18 ق هـ/...630 م)**: زيد بن مهلهل بن منهى بن عبد رضا من طيء من أبطال العرب في الجاهلية ، لقب بزيد الخيل لكثرة خيله. (ينظر، كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء 289:2)

[7] صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسي، ص 291.

أراكَ تُورّي بِحُبِّ النِّســاءِ وقِدْما عَهِدتكَ تَهوِي الرِّجالا
تَخيَّرْتَها مِن بَناتِ الهِجانِ[1] رُمِيكِيَّةَ ما تُساوي عُقــالاَ
فجاءتْ بكلّ قصيرِ العذا رِ لئيمِ النجارين عمًّا وخــالاَ
بِصُفْرِ الوُجُوهِ كَأَنَّ اسْتَهـا رَماهُم فجاؤوا حَيارى كُسالـى
قِصَــارُ القُدودِ ولكنَّهُـــم أقاموا عَلَيْها قُرونــا طِــوالا

ويهجو في الأبيات الأخيرة المعتمد هجاءً مقذعاً، يصفه بأبشع وأقبح الصفات اللاأخلاقية قائلا: [2]

أتَذكُر أيَّامَنا في الصِّبـــــا أنتَ إذا لُحتَ كنتَ الهـــــلالا
أُعانِق منكَ القَضِيبَ الرَّطِيبَ وأَرْشُفُ من فيك مـــــاءً زُلالا
وأَقنعُ مِنك بدُون الحـــــرامِ فتُقسِم جَهْدكَ أن لا حَـــــلاَلا
سأَكْشِفُ عِرضَكَ شَيْئاً فَشَيْئاً وأَهْتِكُ سِتْرَكَ حــالاً فَحـــــالا

ومن هجاء ابن غصن الحجازي[3] للمأمون بن ذي النون[4] لإصراره على ضم وادي وادي الحجارة إلى مملكة طليطلة قائلا: (الطويل) [5]

تلقَّبتَ بالمأمُونِ ظُلْمًا وإنّنـــــي لآمَنُ الكلبَ حيثُ لسْتَ تُؤمّنُه
حرامٌ عليهِ أن يجُودَ ببكـــــــرِهِ وأما النَّدى فانْدُب هناك معفَّنة
سُطورُ المَخازِي دون أبْوابِ قصْرِه بحجّابهِ للقاصدين مُعَنْوَنـــــة

---

[1] **الهجان الهجين:** العربي ابن الأمة لأنه معيب، وقيل هو ابن الأمة، وقالت العرب لأولادها من العجميات هجن وهجناء . (ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (هجن) ، 13: 431.)

[2] صلاح خالص، محمد بن عمار الأندلسي، ص 292

[3] **ابن غصن الحجازي:** الشاعر عبد الملك بن غصن الحجازي (ت 454) من شعراء عصر الطوائف ينظر(ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ،214:2.)

[4] **المأمون بن ذي النون:** القادر يحي بن إسماعيل بن المأمون ابن ذي النون، وكان سيء الرأي، إن حزم لم يعزم وإن يعزم سدَّى لم يلحم، (ينظر ابن سعيد ،المغرب في حلى المغرب، 2: 13)

[5] المقري، نفح الطيب، 363:3.

المطلب الخامس :هجاء حكام المرابطين

إذا كانت الأهاجي خصّت ملوك الطوائف، فإن أمراء المرابطين لم يسلموا من الإنتقادات، لمّا تأثّروا بحياة الحضارة، وظهرت في دولتهم مناكر كثيرة، الأمر الذي حذا بالشعراء إلى انتهاج سياسة النقد،[1] يقول إحسان عباس:« إن قدوم المرابطين أنفسهم إلى الأندلس لم يلبث أن أصبح عبئا على الأندلسيين، فكانت مقاومتهم لذلك تتمثل في بعض جوانبها بالنّقد والتندر بأصحاب اللثام».[2]

ومن الشعراء الذين هجوا المرابطين الشاعر اليكي، الذي شنّع بهم في هذين البيتين(الكامل): [3]

إنّ المرابِطَ بَاخِلٌ بنَوالِـــه لكنّهُ بعِيالهِ يتكَـــــرَّمُ

الوجْهُ مِنهُ مُخلّق لقبيحٍ ما يأتيهِ فهُو من أجْلهِ يَتلثّمُ

وقال أيضا(الكامل) : [4]

في كلّ من ربطَ اللّثام دَناءةً ولو أنّه يعلُو على كيـــــوانِ

المُنتَمُون لحِمـــيَر لكنّـــهمْ وضعُوا القُرونَ مواضِع التّيجان

لا تطْلبنّ مُرابِطـــــا ذا عفّةٍ واطْلب شُعاع النّار في الغُدْران

وكأن الشاعر اليكي قد نسي أو تناسى كأندلسي، أن الملثمين هم أسود الشّرى الذين أنقذوا الأندلس من الوقوع في براثن العدو " النصارى"، حين هزم الأمير يوسف بن تاشفين النصارى المتكالبين على الأندلس في معركة الزّلاّقة.

---

[1] سامية جباري، الأدب والأخلاق في الأندلس في عصر ملوك الطوائف والمرابطين،ص354.

[2] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن (د، ط) 1997، ص 115.

[3]الإدريسي (أبو جعفر صفوان بن الإدريسي) ، زاد المسافر وغرة محيا الأدب المسافر، تح عبد القادر محداد، بيروت لبنان، 1939،1358، ص 78/ ابن سعيد المغرب 2: 267،268.

[4] المصدر نفسه ص 78.

والشاعر اليكّي لا يرى حرجا في أن يهجو اليوم من كان قد امتدحهم بالأمس قائلا:[1]

قومٌ لهمْ شرفُ العُلا في حِميرٍ وإذا انْتَموا لمْتونَة فهُم همُ

لمّا حَوَوْا إحراز كلّ فَضِيلــةٍ غلبَ الحياءُ عليهُم فتلثَّمُوا

وعرّض أبو جعفر البنّي[2] بالمرابطين، حيث يرى صاحب قلائد العقيان أن هذين البيتين في هجاء بني يوسف بن تاشفين من أمراء المرابطين ويتخللهما مدح لقاضيين هما: أبو الوليد وأخوه علي: فيقول(البسيط): [3]

ما في بَني يوسُف ساعٍ لمكرمةٍ سواك أو ضوك العالِي أبي الحسَن

كُرِّمتما واعِتَدَى باللُّؤْمِ غيْرُكُمــا والشَّوكُ والوَردُ مَوجُودَان في غُصْنٍ

والشاعر ابن خفاجة[4] من الشعراء الذين ثاروا على الظلم والتسلط على رقاب الناس، فهو يرجع مفاسد المجتمع إلى فساد الرأس المدبّر وجور الحكام:(الطويل) [5]

لَعَمْرِي لَوْ ْضعتُ في منهج التُّقَى لكان لَنَا فِي كُلِّ صَارمة صَالِحَة

فَما يَسْتَقيمُ الأَمرُ والمُلِكُ جائــــرٌ وهَلْ يَسْتَقيم الظِلُّ والعــُودُ أَعْوَجُ

---

[1] الإدريسي، زاد المسافر، ص 78.

[2] **أبو جعفر البنّي:** (ت 488هـ أو 490هـ) أديب أندلسي زمن المرابطين، كان شاعرا هَجَّاء وغَزَّال، تبوأ الغزل مكانا ملحوظا في أعماله، مشكلا نصف مجموع شعره، ولكثرة هجائه وُصف ب"خبيث اللسان"،(ينظر: الإدريسي، زاد المسافر، ص 214).

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، 1: 874.

[4] **ابن خفاجة:** (450-533هـ / 1058 -1138م). إبراهيم بن أبي الفتح بن عبدالله بن خفاجة الهواري، يُكنى أبا إسحاق من أعلام الشعراء الأندلسيين غلب على شعره وصف الطبيعة.(ينظر،الإدريسي ،زاد المسافر،ص56/ كامل سلمان الجبوري،معجم الشعراء 48:1.)

[5] ابن خفاجة، الديوان، شرحه عمر فاروق الطبّاع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، ت)، بيروت لبنان ص 61.

وما نستقرؤه من هذين البيتين، أن ابن خفاجة يدعو إلى السلوك الخلقي القويم فإنه لا يستقيم أمر المجتمع إلا إذا استقام حكامه ، لأن الملوك هم القاعدة الأساس لكل مجتمع ، وإن كان في القاعدة إعوجاج أو خلل ، فلا يصدر عنها إلا مايكون مثلها، فهو يرجع فساد المجتمع إلى فساد حكامه .

على ضوء ما سبق من تتبع هجاء الملوك في الأندلس، يظهر لنا أن شعر الهجاء كان يفتر في عصر، ويظهر بقوة في عصر آخر، وهذا تبعا للظروف آنذاك، فقد ضعف في عصر الإمارة في فترة القوة، لكن فشا وبقوة في عصر الطوائف، عصر الفوضى والتناحر السياسي"عصر النكسة السياسية"، حيث صب مجموعة من الشعراء جام غضبهم على ملوك الطوائف، منتقدين سياستهم الفاشلة في تدبير أمور الأندلس والرعية وكان حامل راية هذا الفن السميسر الأندلسي.

لكن ينبغي لنا أن نشير إلى أن دوافع الهجاء الملوك كان بدافعين الأول ربما يكون ذاتي ، وذلك حينما يقوم الشاعر بهجاء ملك بسبب عداوة أو حسدٍ .

أما الدافع الثاني وهو دافع وطني، يعبّر عن مدى حب هؤلاء الشعراء وتعلقهم بوطنهم الأندلس، والنظر بعين ثاقبة إلى الأخطار، التي تحيط به وإن كانت الأخطار كبيرة ، فإن الدوافع الداخلية والتي تتمثل في استهتار الملوك وتهاونهم ، وهو الخطر الأدهى والأمر حينما يقود الملك بلاده إلى التهلكة ، لذلك إستحق أولئك الملوك كل ذلك النقد والقدح وبذلك تصبح دواعي الشاعر مشروعة ، كما نلاحظ أن حصة الأسد في هجاء الملوك كانت من نصيب ملوك الطوائف.

المبحث الثاني : هجاء الوزراء

هجاء الوزراء ضرب من ضروب الهجاء السياسي، ولم يكتف الشعراء بهجاء الملوك وتتبع هفواتهم وزلّاتهم وانتقاد تصرّفاتهم، بل وجّهوا سهام هجائهم كذلك إلى الوزراء، يقول فوزي عيسى:« كان الفحش والإقناع والتشهير هي الصفات الغالبة على هجاء الوزراء فأكثر الشعراء من رميهم بالفسوق واتهامهم بارتكاب الرذائل وأشنع الصفات القبيحة».[1] أما عن دوافع الهجاء فيقول:« يمكن أن نميّز اتجاهين واضحين في هجاء الوزراء أحدهما صدر فيه أصحابه عن دوافع سياسية، والآخر صدر فيه أصحابه عن دوافع ذاتية».[2]

وفي هجاء عيسى بن سعيد اليحصبي المعروف بالقطاع[3] وقد كان وزيرا للمنصور محمد بن أبي عامر، ثم لابنه المظفر وقد كثر خصومه وأعداؤه، كما أنه كان معروف بتكبره وتعجرفه، فقال فيه أبو الأصبغ عيسى بن الحسن [4] ،يعرّض به لتكبره على الناس(مجزوء الرمل): [5]

أنتَ عِيسَى بنُ سعيــدٍ لـــــــستَ روحَ اللهِ عِيسَى

كَلِّمِ النَّاسَ فَقَدْ كَلَّـــ ـــــمَ رَبُّ النَّاسِ موسَـــى

وفي هذه المقطوعة يعرب ابن دراج القسطلي عن سروره بهلاك الوزير عيسى بن سعيد في أبيات لاتخلوا من القدح والهجاء :(الكامل) [6]

---

[1] فوزي عيسى سعد، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 105.

[2] المرجع نفسه، ص 105.

[3] **عيسى بن سعيد اليحصبي:** المعروف بابن القطاع، كان وزيرا للمنصور محمد بن أبي عامر ثم لابنه الملك المظفر كانت له مكانة عند المظفر عبد الملك فقربه اتهم بانقلاب على الخلافة فقتله المظفر. (ينظر الذخيرة، 1/1: 109 110، ابن الأبّار الحلة السيراء، 1:50.)

[4] **أبو الأصبغ عيسى** بن الحسن من شعراء الدولة العامرية (ينظر، ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، 2: 111)

[5] المصدر نفسه، ص 111.

[6] ابن درّاج القسطلي، الديوان، ص 61.

قُلْ للمُصرّع لالعاً من صرعةٍ وافيتَها بغْيًا على مــوْلاكَ
تبًّا لسعيكَ إذ تُسلِّ معانـــداً لخلافة السِين الذي حلّاكا
حَيِيَتْ لموتِك أنْفُسٌ مظلومةُ كانت مَنيّتُهن في مَحْيَـاكَ

ومن هجاء ابن الرّبيع[1] لحكم بن سعيد الحائك[2] وزير المعتمد: (مخلع البسيط)

هبْكَ كما تدَّعــي وزيراً وزيراً مَنْ أَنتَ يا وَزيرُ؟
واللهِ ما للأميرِ معنَــى فكيف من وزَّرَ الأميرُ؟

ولا يمنع الموت الوزير القتيل عبد الرحمن بن محمد الخياط من الهجاء، إذ يقوم ابن شهيد[3] بهجاء هذا الوزير ويذكره بكل سوء ، ويلحّ على تصفية الحساب لمن بقي من أصحابه: [4] (الكامل)

لا يَرحمُ اللهُ مَصرَع مَارقٍ عبَثتْ بِطاعتِه يدُ الأهــواءِ
ألْحقْ به إخوانهُ فحياتُهمْ نَكدٌ وقد أوْدى أخُو الجُهلاء

وقال ابن شهيد في هجاء وزير أبي عبد الله الفرضي[5] وكان يتوقع منه شرًّا لهذا حرّض سليمان المستعين عليه قائلا:[6] (الطويل)

---

[1] الوزير الكاتب أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعي من كتاب العصر المتصرفين في النظم والنثر وكلامه يجمع بين الحلاوة والجزالة.(ينظر: ابن سعيد، المغرب، 2: 424.)

[2] هو حكم ابن سعيد الحائك، من موالي حائك ومن أبناء الزعانفة بقرطبة، ينظر: ابن عذارى، 3: 147.

[3] **ابن شهيد:** أبو عامر أحمد بن عبد الله بن شهيد الأشجعي القرطبي من أسرة ذات شأن وزير كاتب وشاعر، ولد بقرطبة سنة 382، اشتهر شأنه، كانت له مع معاصريه صداقات حميمة وخصومات شديدة توفي سنة 466هـ. (ينظر ابن سعيد، رايات المبرزين، ص 124).

[4] ابن شهيد، الديوان، تح يعقوب زكي، راجعه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر (د، ط)، (د ، ت)، ص 81.

[5] **ابن الفرضي:** (351-403هـ/962-1013 م): عبد الله بن يوسف بن نصر الأزدي المعروف بابن الفرضي مؤرخ حافظ أديب ولد قرطبة، وتولى قضاء بلنسية، رحل إلى المشرق فحج وعاد ، فاستقر بقرطبة إلى أن قتله البربر يوم فتحها. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 4: 121).

[6] ابن شهيد، الديوان، ص 138

وزيرٌ متَى يسْتوْزِر المَلكُ رأْيـــهُ أمَرتْ له في النائباتُ حِبـــالُ
وليس كَمنحوسٍ من القوم منحسٍ تعاظمَ حتى قِيل ليس ينَـــالُ
أعانتْهُ أموالٌ تخوّف عينَـــــها وأعانَهُ غثرُ سوقةٍ وسِفـــــالُ
لهُ كعْبُ نحسٍ لم يصاحبْ به أمراً على الدّهرِ إلاّ رُدّ وهو خيـالُ
ففي كلّ عصرٍ من عُصور حياتهِ تُشلُّ عروش أو تُدكُّ جِبَـــالُ
هو الدّاء فاسْتأصلهُ تَلبسْ جمالهَا وداءُ كُعُوبِ المُنْحِسِينَ عُضالُ

وكان بين ابن شهيد والوزيرين أبي الحسن بن علي وابن فتح عداء شديد ، فأقذع ابن شهيد في هجائهما هجاءً مرًّا ، حيث وصفهما بالوقوع في الأفعال المشينة قائلا:[1] (السريع):

هَلاَّ سَتَرْتَ الشَّيْـنَ بِالزَّيْـــــنِ مِن قَبلِ إحْضــارِ الوَزيرَيْـنِ
قَد عَلِما أنَّهُـتما أُحْضِـــــــرا لخَلْوَةٍ أثْقَـــلُ مِــن دَيْـــــنِ
لمَّا تَدانتْ قابَ قَوْسَيْـــــــــنِ أصَابَهُمــا الحــاسِدُ بالعَيْـنِ
فانصَرَفا مِثلَ انصِرافِ الفتَـــى أسْلَمَ إلْـــفاً لِيَــدِ البَيْـــــنِ
صدَّهُما عن قِرْدِكَ المُصطَفــى نَطْحَـةَ نِطـــاحٍ بِروقَيْـــــنِ
وما أرى النَّاسَ على ما مــضى مِن قَبْلِهِ قــرْد بقَرنَيْـــــــنِ
أرْبعةٌ فــي مَجْلسٍ جَمَعُـــــوا فطـــــار هَــذا بهَذَيْـــــنِ

ودارت بين ابن شهيد والوزير ابن جهور مناقشة ، وكان كلاهما يتربص بصاحبه دائرة السوء، ومن ذلك أن ابن شهيد زار ذا الوزارتين عبد الملك بن جهور، ولكن هذا الأخير، ادّعى أنه غير موجود، فكتب إليه ابن شهيد (الطويل): [2]

أتَيناك لا عن حاجةٍ عَرَضَتْ لنا إلَيْك ولا قَلْبٍ إليك مُشَوَّقِ

---

[1] المصدر السابق ، ص 164.

[2] ابن شهيد، الديوان، ص 08.

ولكنَّنَا زُرْنا بِفضل حُلُومِنـــــــا حِماراً تَوَلَّى بِرَّنا بِعُقُـــوقِ

فردّ عليه ابن جهور معرضا به ويجدّه أبي هشام وكان بيطاراً بالشام فقال: (الطويل)[1]:

حجَبْناكَ لمَّا زُرْتَنَا غيْر تَائِقٍ بقَلبِ عَدُوٍّ في ثيابِ صَديق

وما كانَ بِيطَارُ الشَّام بِمَوضع يُباشِـــــــرُ فيهِ برَّنا بِخليقِ

وكان ابن عمار شديد التنقص للوزير أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز ويقال أنه نظم هذه الأبيات حين غدره في حصن جميلية Jumillia من أعمال مرسية. [2] ولم يزل يعمل في الإضرار فقبّح ذكره ووصفه ، وراح يغري به نفوس رعيته ويحرّض أهل بلنسية بالقيام عليه، لأنه ليس أهلا ، ولأنه سيجلب لهم العذاب الهون كما جلبه عاقر الناقة سالف بن قذار إلى قومه (الكامل): [3]

بَشِرْ بَلَنْسِيَّةً[4] وكـــــانتْ جَنَّةً أنْ قدْ تَدلَّت في سَواء النَّـــار

غدَرَتْ وفِيّـــــا بالـعهْد وقلّمَـا عثَر الوفّيُّ تَسمَّى إلى الغَدّار

يا أهْلهـــا من غائبٍ أو حاضـرٍ وقَطِينَها مِن حاضرٍ أو سَـارٍ

جازُوا بني عبد العزيز فَـــإنّهم جرُّوا إليْكـــم أسْوأَ الأقْـــدَار

ثُورُوا عليهم مُتأوّلين وقـــلّـدُوا مَلِكاً يقُومُ علَـى العدوّ بِثَـــار

جاءَ الوزيرُ بها يَكشِفُ ذَيلَهـــا سوءَة سَوأى وعـــارٍ عَـــارِ

نكثَ اليمينَ وحادَ عن سُنَنِ الثقى وقضَى على الإقْبَـالِ بالإدْبارِ

---

[1] ابن خاقان ، مطمح الأنفس 1: 169.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق 2/ 1: 411.

[3] صلاح خالص: شعر ابن عمار، ص 287-288.

[4] **بلنسية:** تقع في شرق الأندلس وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد للأندلس عامرة القطر كثيرة التجارات وبساتين وجنات جامعة لخيرات البر والبحر، ولها أقاليم عديدة ، لها أربعة أبواب، ولأهلها حسن زي وكرم طباع، والغالب عليهم طيب النفوس. (ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 47).

آوَى ليَنْصُر من نبأ المثْوى بــه ودهَاهُ خُذلانٌ من الأنْصـــارِ
برَّ اليمينَ ولم يُعرِضْ بِنفسِـــه ونفوسكم لمصارع الفجّـــار
ما كنتم إلاّ كأمـــة صـــالحٍ فرماكم من طـــاهر بقدار[1]
هذا وخصّكُـــم بأشْأمَ طَائـــرٍ وَرمَى دِيَاركُـــم بأسْوءِ جَارِ

وكان له أيام إعتصامه بمرسية خاتمان أحدهما للمعتمد والآخر لألفونسو السادس فتندّر به الوزيران ابن عبد العزيز وابن طاهر[2]، فلّما وصل الخبر إلى ابن عمّار قال: (الكامل)[3]

قُلْ لِلوَزِيرِ وليسَ أيُ وَزِيـــرٍ أَنْ تَتْبَعَ التَّدبير بالتَّدبيـــرِ
إنَّ الوِزَارَةَ مُذ لَبِسْتَ رِداءَهـــا رُفِعَتْ عَلى التَّغْيِير والتَّزْوِيـر
إنَّ الوِزَارَةَ لَ وسَلَكْتَ سَبيلَـــها وَقْفٌ على التَّعْزيرِ والتَّوْقيـرِ
وأرى الفكاهة جُلَّ ما تـــأتي به رُحْماكَ في التَّعْجيزِ والتّصْديرِ
بَلغَت دُعابَتُك الّتي أهْديْتَهـــا في خاتَم التَّأمِين والتّأمِيـــر
وأظُنُّها للطَّـــاهريّ فإن تَكُـــن فَجَدِيـــرةُ التَّقدِيسِ والتَّطْهِير
ولَعلّ يوْمـــاً أنْ يَصيرَ نفسه في طيبة التَّطْييبِ والتَّنْزِيـــر
فرسَـــا رِهـــانٍ أنتُما فتَجَـارَيا لنَقُول فِـي التَّقدِيم والتّأخِيـــرِ

---

[1] **قدار**: رجل من ثمود، يذهب المفسرون إلى أنه هو الذي أشار على قومه بعقر ناقة صالح عليه السلام، ويقولون أنه هو المراد بقوله تعالى: في سورة الشمس: "إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها ولا يخاف عقباها" وفي الأمثال: أشأم من قدار (ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء ص 142.)

[2] **ابن طاهر**: (ت نحو 480هـ/نحو 1087): محمد بن أحمد بن إسحاق بن يزيد بن طاهر كان صاحب مرسية وليها بعد وفاة أبيه سنة 455 وفد عليه أبو بكر بن عمار يلتمس صلته، ثم ثار عليه وخلعه عن سلطانه، واعتقله سنة 471هـ ، ثم أطلقه وتوفي منعزلا. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 5: 315).

[3] صلاح خالص، شعر بن عمّار، ص 293-294.

المبحث الثالث :هجاء العمال والولاة

مثلما كان للهجاء السياسي مشاركته في نقد طائفتي الملوك والوزراء، كانت له مشاركة أخرى فيما يتعلق بالنقد السياسي لطائفة الولاة والعمال، هذه الأخيرة التي تعد « من أهم الركائز التي يعتمد عليها الحكام في تسيير دفة الحكم»[1]، وكان على هؤلاء العمال أن يُسيروا أعمالهم على أسس من العدالة والنزاهة، وطهارة اليد، ولكن الأمر كان عكس ذلك،فقد انحرف بعضهم عن آداء مهامهم الموكلة إليهم ، فاستخدموا أساليب القسوة والغلظة في معاملة الناس، كذلك لم يتورعوا في ارتكاب الموبقات، واتجهوا إلى تكديس الأموال بطرق غير مشروعة[2].

ولمّا وُلي معاذ القضاء سنة 232هـ، ولّى أحباس قرطبة رجلا، ظن فيه خيرا فخاب ظنه فيه لأنه استغل منصبه في السّلب والنهب ، يرى الشاعر يحي الغزال[3] أن القاضي قد استغل منصبه الروحي، لتحقيق مآربه الشخصية وذلك على حساب مصالح الآخرين.

فقال في هجائه:(الطويل) [4]

يقُولُ لنَا القاَضِي مُعاذُ مُشاوِراَ وَولَّى إمرأً فيمَا يَرى من ذوي فضْل
فَدَيتُك مَاذا تَحْسِبُ المَرْء صَانِعاً فقُلتُ وما يَصْنَـعُ الذُبُّ بالنَّحـــــلِ
يذُقُّ خَلاَيَاهَا ويأكُل شَهـْـــــدَها ويتْركُ للذُّبَّـان ما كانَ مِنْ فضْـــــل

---

[1] فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، 109.

[2] ينظر: المرجع نفسه ،ص 109.

[3] **الغزال**:(156-250هـ/773-864م) يحي بن حكم البكري الجياني، الملقب بالغزال (156/ ت250هـ) شاعر مطبوع من أهل الأندلس، شهد أربعة عصور من الحكم الأموي كان مقربا من أمراء الأندلس وملوكها، كان موصوفا بحدة الخاطر وبديهة الرأي وحسن الجواب والحنكة السياسية هذا إلى جانب معرفته بعلم النجوم (ينظر عيسى خليل محسن أمراء الشعر الأندلسي، ص172 / الزركلي، الأعلام ،8: 43).

[4] يحي بن الحكم الغزال، الديوان، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط 1، 1413 ، 1993، ص 67-68.

وقال حبلاص الرندي[1] في هجاء أحد الولاة[2]: (البسيط)

لا تَفْرَحَنّ بِوِلايَةٍ سوَّغْتَـــــــها فالثَّورُ يُعلَفُ أشْهُراً كيء يُذْبَحا

وكتب موسى بن الطائف يذكر أحد العمال بأكله السحت[3]: (الرجز)

لا تنْسنِي من سُحْتِكَ المَكسُوب واجْعل نَصيبَكَ منه مثل نَصيبِي

فإذا اغترَّى بك في القِسمَة مغتَرٌّ فبِمثْل ما تُغْوى بهِ تُغرَى بـــي

وفي بني عبد الصمد [4] يقول أحدهم لما رأى من كثرة عددهم والتباسهم بالسلطان[5]:(الرمل)

مَلَأُو قلْبي هُمُومًا مِثْلَمَـــا ملأَ الأَرْضَ بنُـــو الصَّمَد

كاثَر الشَّيخُ أبُوهم آدَمـــا فغَدوا أكْثر أهْلِ الأَرْض عَدْ

كلُّهُـــم ذِئْب إذ آمَنْتَـــهُ والرَّعَايَـــا بيْنهُم مِثل النّقد

ومن الشعراء من هلّل واستبشر بعزل بعض الولاة، حيث أن الناس قد فرحوا وهنأوا بعضهم بعضا، لما سمعوا بقرار العزل، حتى أن الغيث نزل، ليطهّر الأرض من نجسه

وفي ذلك يقول الأديب أبو زكريا بن مطروح لما عزل والٍ غير مرضي[6]:(السريع)

ورُبّ والٍ تمَّ عزْلُـــــــــهُ فبَعْضُنَـــا هَنّأَهُ البَعْـض

وقد واصَلتْنَا السُّحُبُ منْ بعْدِه ولذَّ في أجْفَانِنَـــا الغَمْض

---

[1] **حبلاص الرندي:** شاعر من رندة له مدح كثير للمرابطين (ينظر المقري، نفح الطيب، 4: 138).

[2] المقري، نفح الطيب، 4: 133.

[3] **موسى بن الطائف:** شاعر مشهور كان في أيام المنصور بن أبي عامر (ينظر: الضبي بغية الملتمس، 2: 604)

[4] **الصمديون:** قوم من ذوي الهيئات متقدمون في الكتابة، وأدوات أهل النباهة، خدمُ أبو القاسم والد أبي بحر الخزانة في المرية زمان خيران العامري في دولة المنصور ومات في دولة ابن صمادح وبنوه وقرابته أكثر خدمة للمرية (ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق 2/3: 810).

[5] المقري، نفح الطيب، 3: 535.

[6] المقري ، نفح الطيب 4: 153.

لَو لمْ يَكُنْ مْن نجَسٍ شَخْصُهُ ماَ طُهِّرَتْ منِ بَعْدِه الأَرض

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لمَّا عُزل وولِّي مكانه من لا يساويه (الطويل): [1]

ولاَ غَرْوَ بَعْدي أنْ يَسُودَ مَعشَر فيُضْحِي لهُمْ يَوْمٌ وليسَ لَهُم أمْسُ

كذاكَ نجومٌ الجوّ تَبْدُوا زَوَاهراً إذا ما توَارَتْ في مَغَارِبِهَا الشَّمْسُ

وقال ابن عامر الأصيلي في هجاء عمال بن ذي النون وذم رؤساء حصونه (السريع): [2]

قُل لابْنِ ذي النُّونِ الرَّئِيس الذي لَيْسَ لَه شَـــيْءٌ مِن البَخْتِ

يا مالِكا يجْعـــــلُ قُـــــوَّادهُ قَوماً غَـد وعَليْه باللَفْـــــــتِ

جاؤُوا إلى الشَّرْقِ جِياعاً فَـــما يُشْبِعـُهُم شَيء مِن السَّحتِ[3]

مِن كـلِّ حرَّاثٍ لَـــهُ لِحْيـــــةٌ تَدْهَنُ بالشَّحْم وبالــزَّيْـــتِ

إنْ صارَ فِي حِصْــن رَأَى أنَّــه قَدْ أدْخَل العالــمَ في التَّخْتِ[4]

يَحسِدُ فرعــونَ علــى قَوْلِـــهِ ((وهَذِهِ الأنْهارُ مِن تَحْتِي))

لَا جَبَرَ اللهُ بَنـــــي جَابِـــــرٍ وَزَادَهُمْ مَقْتًا إِلَى مَقْـــــــتِ

وابنُ طَرِيفُ لأَرَنَـــــــا طَرْفُهُ في جِسْمِهِ إلّا إلـــــى بُرْتُ[5]

إنْ تَسْأَلُهُ فِي حَاجَةٍ يَعـــــتَذِرْ عُذْرَ يَهُودَ غَدْوَةِ السَّبـــــت

---

[1] المصدر السابق ، 3: 408.

[2] العماد الأصفهاني الكاتب، خريدة القصره وجريدة العصر، آذرتاش آذرتوش، نقحه محمّد العروبي المطوي الجيلاني بن الحاج، يحي محمد المرزوقي،ج2، الدار التونسية للنشر، تونس،(د، ط)، 1986، ص 311.

[3] **السحت:** هو كل حرام قبيح الذكر، ابن منظور، لسان العرب، (مادة سَحَتَ)، 2: 41.

[4] **التّخت:** وعاء تصان فيه الثياب، وقد تكلمت به العرب. (ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (تخت)، 2: 18)

[5] **البرت:** الفأس وكل ما قطع به الشجر والبَرْت: الرجل الذليل. ينظر: لسان العرب، مادة (برت)، 2: 09.

ما هَذِهِ الأَشْـباحُ تَبّاً لَهـــــــــا قَد مُلِئَتْ بالسَّـــفْهِ البَحْـتِ[1]

هَيْهَـــــاتَ لا حرَّ وَلَا حـــرَّةٌ فِي بَابِ اقْلِيشَ[2] إِلَى البُونَت[3]

وللشاعر كذلك رسالة كتبها إلى ذي الوزارتين أبي الفرج محمد بن أبي الفرج يطلعه فيها بما لقيهُ من رؤساء جزيرة شقر[4] ويذمهّم قائلا: (المتقارب) [5]

كتَبَتْ إليْـــكَ أوان الخروج حزيناً مهينا إلى دانيـــة[6]

أسألُ ربّـــي أنْ لا أعُـــودَ إلى أرْضِكُم مرّة ثَانيـــة

حَلَلْتُ الجَزِيـــرَة سُحْقا لهَـــا كأنّي حَلَلْتُ بِسِـرْدَانيـــة

مُنِعتُ الدُّخُـولَ إلَى أهْلهـــا فدُرتُ كمَا دارت السَّانِـية

وبتُّ ثلاثـــاً بِها طَاوِيـــــا قِرَاي هُمُومِي وأحزَانِيـــة

فقُلْ لابن ذِي النُّون ما بَالُه يُوَلـيّ الحُصون بَني الزّانِية

وإنّ فِعـــــال بَنِـــي آدمَ لتَبْقَى وأشْخَاصُهُمْ فانِيـــة

نستشف من خلال هذه الأبيات مشاعر الغضب والسخط ، التي تسبّب فيها عمال ورؤساء جزيرة شقر، الذين منعوا الشاعر من الدخول، فلجأ إلى الهجاء يعزي نفسه ويخفف من آلامه، ثم وجّه نقدا لاذعا لابن ذي النون لتولية لمثل هؤلاء العمال الظالمين.

ومن الشعراء الذين تحدُّوا السلطة، وثاروا على الظلم والفساد في عهد المرابطين الشاعر الأبيض، كان هجاءً مقذعا، سلّط سهام هجوه على والي قرطبة "الزبير المرابطي"

---

[1] **البحت:** هو الخالص من كل شيء ينظر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بحت)2: 09.

[2] **حصن اقليش:** من أعمال طليطلة. ابن سعيد، المغرب، 2: 20.

[3] **البونُت:** قرية من أعمال بلنسية. (ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 56).

[4] **شقر:** جزيرة بالأندلس، قريبة من شاطبة، وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار. (ينظر: الحميري الروض المعطار، ص 103).

[5] العماد الأصفهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، 2: 308-309.

[6] **دانية:** مدينة شرقي الأندلس على البحر، عامرة حسنة عليها سور حصين كثيرة الكروم ومنها كان يخرج الأسطول للغزو. (ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 76).

وله فيه مقطوعات كثيرة ، شاعت بين الناس، فأمر بقتله وفي المقطوعة الآتية سخرية لاذعة، حيث شكك الشاعر في تظاهر الزبير بالعبادة والورع ورماه بالفسق والمجون والظلال والعمى عن سبل الصلاح ، يقول[1]: (الكامل)

عَكَف الزُّبَيِّر علَى الظَّلاَلَة جَاهداً ووزِيرُهُ المَشْهُود كلبُ النّار

ما زَالَ يأخذ سجدة في سجـــــدة بين القيان ورنّة المزمـــار

فإذا اعتَرَاهُ السّهْوُ سبَّحَ خَلْفَـــــهُ صَوْتُ القِيَانِ ورنَّة المِزْمَار

وينجح في هجائه مرة أخرى، إذ يتهمه بالتهاون على مصالح بلده "الأندلس" وانهماكه بشرب الخمر[2]: (البسيط)

أمَّا الزّبيرُ فقَدْ أوْدَى بأندلـــسَ ما كانَ منْ حُرْمَةٍ فيهَا وصَدِيقُ

وصدُّه عن قراع الدّارعيون بها قرع القَوارِير أفواهَ الأبَارِيـــــق

ثم يعود الشاعر ليتهمه بالإنحراف الأخلاقي، وأكل الأموال بالباطل، وبتهتكه ومجونه قائلا[3]: (البسيط)

يا سَائلي عن زُبيرَ أيْن مَسْكنهُ هيهاتَ تَطْلبَ صبْحاً مالهُ وَضَحُ

سكرانٌ يركعُ في..... وفي قَدحٍ والمُلكُ تحت لُبان السُجود مطّرح

يا ضيعةَ الحين لمْ يتركْ لهُ أبدًا أوْدَى السَّماعُ بِبيتِ المالِ والقدحِ

وكانت كل هذه المقطوعات الشعرية ، التي قالها الشاعر الأبيض في هجاء الأمير الزبير سببا في مقتله.[4]

---

[1] الإدريسي ، زاد المسافر ، ص 70/ ابن سعيد المغرب 2: 137 ،138.

[2] المصدر نفسه ، ص71.

[3] الإدريسي ، زاد المسافر ، ص 70.

[4] ابن سعيد المغرب في حلى المغرب،138:2.

وقال الأعمى التطيلي[1] قصيدة حث فيها أهل إشبيليا على التمرد والثورة على الظالمين والفاسدين والمتعسفين من الحكام، بسبب فساد ذممهم :[2] (المتقارب)

إلَى اللهِ أشْـكُو الذي نَحْنُ فِـيه أسًى لا يُنَهْنِهُ[3]منـهُ الأسَى
فشَـا الظُّلم واغْتَـرَّ أشْيَاعُـهُ ولا مُسْتغـاثَ ولا مُشْتَكـى
وسـارَ الطّغَـام بتَمْوِيهِهـمْ وهلْ يفْدحُ الـرُّزءُ إلاَّ كـذا؟
وذا الـيومَ حمَلْنَـا فَادحـاً وخَضَعْنَاَ لهُ وانْتَظَرْنا غَـدا
ونُفْضي على حُكم صَرْفِ الزّمان وبيْن الجَوانِح جمْرُ الغَضَـا
أيا أهْل حِمصَ وقِدَمـاً دَعـوْتُ وهل تَسْمَعُون إلَى مَن دَعَـا
يَقِلُّ لأَقْدَارِكُـم كلُّ شَـيءٍ فكيفَ رَضِيتُم بِدون الرِّضـا؟

وقال ابن الزقاق[4] في هجاء أحد الولاة متهما إياه بالغفلة ، وإهمال مصالح الرعية وأكله لأموال اليتامى: (الوافر) [5]

رئِيسُ الشَّرقِ محمودُ السَّجايَا يُقصّرُ عن مدائِحِه البَلِيغُ
نسمِّيهِ بِيَحْيَ وهـوَ مَيـّـتٌ كمَا أنَّ السَّليمَ وهو اللَّدِيغُ
يَعافُ المَوردُ أنْ ضَمِنَتْ حَشاهُ وفي مَالِ اليَتيمِ لهُ وُلُـوغُ

---

[1] **الأعمى التطيلي:** هو أحمد بن عبد الله التطيلي الأعمى "معري الأندلس" أحد شعراء الأندلس المشهورين وهو وشاح بارع ولد في تطيلة ثم ارتحل إلى اشبيليا فاستوطنها عاش في ظل دولة المرابطين توفي سنة 525هـ. (ينظر ابن سعيد رايات المبرزين وغايات المميزين، ص 224).

[2] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2: 266.

[3] **نهنهه:** النهنهة الكف، تقول نهنهت فلانا إذا زجرته فتنهنه ،أي كففته ، كأن أصله من النهي نهنه عن الشيء: زجره (ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (نهنه)، 13: 550.)

[4] ابن الزّقاق أبو الحسن عل بن عطية بن مطرف بن سلمة المعروف بابن الزقاق،ولد في بلنسية، درس على أيدي شيوخ أجلاء، ثم أخذ في قول الشعر، واشتهر أمره غير أنه لم يعمر طويلا توفي 528هـ، (ينظر أبن الأبار: الحلة السيراء، 2: 20)

[5] ابن الزقاق ،الديوان ، تح عفيف محمد ديراني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،(د، ط) 1964، ص 295 .

المبحث الرابع :هجاء القضاة والفقهاء

أشرنا في دراستنا السابقة إلى المكانة التي تمتّع بها الفقهاء والقضاة في الأندلس حيث أنهم اعتلوا قمة الهرم الاجتماعي والسياسي، لأنهم مثلوا السلطة الروحية التي اعتمدت عليها الدولة في إرساء الحكم، وقد مرّ بنا ما حدث للحكم بن هشام لمَّا عزل الفقهاء، ومنعهم عن التدخل في شؤون الدولة ، وما جرّه ذلك القرار من مآسي حيث ألَّبوا عليه العامة، كما أرادوا الانقلاب عليه وخلعه من سدة الحكم، كما لاحظنا من خلال دراسة التاريخ السياسي في الأندلس ، وفي تسليط الضوء على بعض الفقهاء والقضاة في تنصيب أمراء لم يبلغوا الحلم للإمامة والخلافة.

وفي ذلك يقول ابن الخطيب« وتقدّم بارزاً عن صف النّاس القاضي أبو العباس بن ذكوان[1] ناويا الإمامة لصغر هشام عن هذه الوظائف، وخلفه من أعلام مشيخة العلم والدين، والشهرة في الصلابة والحق والقوم، لا يؤتون من جهل ولا يَهْدَون. ولا يَهْدون إلى سلوك سبيل مستقيم».[2]

وعقدت البيعة لهشام بن الحكم المستنصر سنة 265هـ،[3] وبسبب هذا المرسوم الخلافي تسلط الطامعون على الخلافة وسحب البساط من تحت أرجل الأمويين إذ تسلط على الحكم المنصور بن أبي عامر. وفي ذلك يقول الطاهر أحمد مكي: « ولا زال الفقهاء يقدمون لكل حادث فتوى ولكلّ جريمة مبررًا في خدمة الأقوى دائما».[4]

---

[1] **ابن ذكوان:** (ت 413هـ-1022 م) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله قاضي قضاة الأندلس، كان مبجلا في دولة بني عامر، ولما قامت الفتنة نفي ثم أعيد إلى الأندلس، إلى أن توفي (ينظر: الزركلي، الأعلام، 1: 149.)

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 45.

[3] ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، 2: 249.

[4] الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص 69.

ولما ثاب لعبد الرحمن بن المنصور الرأي في الإستئثار بما بقي من مرسوم الخلافة طلب من هشام المؤيد أن يُوّليه فأجابه، وأحضر لذلك الملأ من أرباب الشورى، وأهل الحل والعقد، وكتب عهده من إنشاء "أبي حفص بن برد"[1] وكتب الوزراء والقضاة شهادتهم بخطوط أيديهم، [2]« وعمل الخليفة على استشارة جماعة من الفقهاء فأشاروا إليه بإجابة مطالب شنجول، فحمل الخليفة نفسه على قبول ما طلبوه... وأعلن شنجول نفسه وليا للعرش بمقتضى عهد كتبه ابن برد».[3]

وبسبب هذا المرسوم الخلافي نشأت الفتنة المبيرة ، التي جرفت الأندلس إلى معترك لا مثيل له، فقد كان ذلك العهد إيذانا بحلول الكارثة الكبرى والحرب الأهلية، التي محت المعالم الحضارية للأندلس، وقد بلغ سخط الأمويين ذروته في هذا العهد، ولهج بعض الشعراء بهجاء ابن ذكوان وابن برد لما تجاوزا الحدّ، وقاما بتدبيج مرسوم ولاية العهد[4]: (مخلع البسيط)

إنَّ ابن ذِكْوانَ وابن بردٍ قدْ نَاقَضَا الدّين بَعْـدَ عمْدِ

وعَاندا الحَقّ إذا أقَاما حَفيدَ شَانْجَه وَلِـــــيّ عَهْدِ

هذا ما اقتطفناه من الهجاء السياسي للقضاة والفقهاء ، أما في هجائهم من الناحية الإجتماعية فالحديث يطول، ونعد هذا الحدث السياسي سببا، ذريعا لهجاء الفقهاء والقضاة من الناحية السياسية .

---

[1] **ابن برد:** هو أبو حفص أحمد وزير وكاتب، كما مقدماً في عهد الدولة العامرية توفي بعد 1027م .(ينظر، الأعلام للزركلي، 1: 99)

[2] ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص994،995.

[3] ريهنت دوزي، المسلمون في الأندلس، 2: 162.

[4] ابن الأبّار، الحلة السيراء، 1 :272

المبحث الخامس :هجاء اليهود و النصارى الصقالبة :

المطلب الأول :هجاء اليهود

وصل تسلط اليهود على الأمور، إذ تسلموا الحكم الفصلي في غرناطة، أيام حكم باديس بن حبوس حيث اتخذ ابن النغريلة اليهودي وزيرا له ، واستمر في وزارته إلى أن مات ، فخلفه ابنه يوسف[1] بن صمويل بن النغريلة [2]، فتزعم هذا الأخير حماية اليهود بالأندلس، ومحاولة تجميعهم في غرناطة.[3]

وعلى نحو ما اتجه اليهود قديما إلى مصر ليجدوا فيها الأمن والرعاية في ظل يوسف عليه السلام، بدأت قوافل يهود الأندلس تتجه إلى غرناطة في ظل يوسف بن صمويل بن النغريلة ، الذي استخدم سلطانه الواسع ، في التمكين لهم في كثير من الشؤون الإدارية والمالية فاكتسبوا الجاه وسنحت لهم مناصبهم الكبرى أن يجمعوا المال وأن يسيطروا على مرافق الدولة،[4] وطمحت آمال الوزير يوسف بن صمويل إلى ما هو أكثر وهو طمعه في إقامة دولة يهودية في الأندلس، وتحالف مع أمير المرية في تنفيذ ذلك[5] وفي ذلك يقول ابن عذارى: « وذلك أن اللعين طلب أن يقيم لليهود دولة، فدسَّ إلى ابن صمادح صاحب المرية، في السِّر أن يدخله غرناطة ويكون اليهودي في المريَّة »[6]

---

[1] **يوسف بن اسماعيل بن النغريلة:** ويكنَّى بأبي الحسن، تمكَّن على السلطة في عهد الأمير باديس، وبذلك تسلَّط اليهود على الأندلسيين، إلى أن ثار عليه وقتل سنة 459هـ. (ينظر: ابن عذارى. البيان المغرب، 3: 264-266.)

[2] ينظر محمد شهاب العاني ، الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف ، دار دجلة ، عمان، الأردن ، (د، ط) (د ، ت)، ص 128.

[3] المرجع نفسه، ص 129.

[4] بتصرف الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية، 67.

[5] ينظر: محمد شهاب العاني، الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف، ص129.

[6] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال ،ج 3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1983، ص 266.

في الأخير وقع يوسف بن صمويل في الخطأ القاتل، الذي أدناه من نهايته ،حيث اقتحم على المسلمين مشاعرهم الدينية، فبدأ أولا يطعن في كل الملل والأديان، يمس اليهودية في رفقٍ، ويتجاوزُها عجِلا ليُركز مطاعنه في الإسلام يسخر من مبادئه، ويزعم أنه قادر على أن يجيء بقرآن مثله[1]، وتتلاحق الأحداث في غرناطة ويزداد طغيان الوزير اليهودي، فيزداد بالتالي غليان الناس[2]".

لقد أغضب يوسف بن صمويل العرب والبربر على السواء، بعُتوّه وصلفه ومشاعره الدينية وقلة إحترامه للعدالة، كما رمى بكثير من الكبائر، فشاء القدر أن يبتليه بنفر من الخصوم ، كان من أخطرهم عليه فقيه عربي اسمه أبو إسحاق"[3] الذي نسج على كل هذه الحقائق والمعطيات قصيدة في هجاء ابن النغريلة وقومه،«هي قصيدة طويلة مجلجلة الصوت حفظها الناس، وكانت من أهم المحرضات على الثورة العارمة لأهل غرناطة والتي انتهت بمقتل ذلك المتنفذ السيئ السلوك والمفسد في الأرض»[4]

إستهل الإلبيري قصيدته ،بتوجيه خطابه إلى بربر صنهاجة فيصفهم بالكرم والشجاعة، وينبههم للخطأ الفادح ، الذي وقع فيه حاكمهم باديس بن حبوس ، عند اختياره وزيرا يهوديا يقوم على أمور المسلمين ، وفيهم رجال أكفاء لهذا المنصب، فقال الإلبيري في هجاء اليهود ووزيرهم: (المتقارب) [5]

ألا قُل لِصنْهاجة أجمعيــن بـدور النَّــدى[6] وأُسـدُ العريــنْ

---

[1] طاهر أحمد مكي دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف ،القاهرة، ط3 ، 1987، ص63.

[2] محمد حسن قجة، دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، ص158

[3] ريهنت دوزي، المسلمون في الأندلس،3 :75.

[4] محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي، ص 74.

[5] أبو إسحاق الالبيري، الديوان، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق –سوريا، ط1، 1411،1991 ص108.

[6] **الندي:** مجلس القوم ،جمع اندية :مجتمع القوم ومتحدثهم (ينظر،ابن منظور لسان العرب ،مادة (ندي) 15:317.)

لقدْ زلَ سيِّدكُـــم زلَّـــــةً تقرُّ بهـا أعيـنُ الشَّـامِتيـنْ
تَخيّــر كاتِبــهُ كافـــــراً ولو شـاءَ كانَ من المُسْلمِيــنْ
فعــزَّ اليَهـُودُ بـه وانْتـخـوا وتاهُوا وكانُـوا من الأرْذليـــنْ
ونالُوا مناهم وجازُوا المــدى فحان الهلاكُ ومـا يشعــرُونْ
فكمْ مسلـمٍ فاضــلٍ قانــتٍ لِأرذلِ قـرْد من المُشرِكيـــــنْ
وما كـان ذلك مــنْ سعيِهــمْ ولكن منـَا يقُــوم المُعيـــــنْ

ثم دعا إلى معاملتهم كما كان يعاملهم الأمراء من قبل، حيث كانوا أذلة عليهم صغار، باعة متجولون ،لا يجدون كفنا لموتاهم إلا من الخرق البالية، التي يجمعونها من القمامة[1]:

فهلاَّ اقْتدَى فيـــهُم بالأُلـــى مـن القـــادةِ الخِيرة المُتَّقيـــن
وأنْزِلْـــهم حيثُ يسْتـأْهلـُون ورُدَّهـــم أسْفـــلَ السَّافلـيـــنْ
وطافُـــوا لديْـنـا بأخـراجِهم عليـــهُم صَغـارٌ وما يشْعرونْ
وقمُّـوا المزابِـلِ عــن خرقةِ مُلـــوَنـةٍ لدِثـارِ الدَّفيـــن[2]
ولم يـسْتخِفُّـــوا بأعْلامــنِـا ولم يسْتطِيلوا على الصَالحيـنْ
ولا جـالسُوهُم وهـــمْ هُـجنـةٌ ولا واكبُوهـــمْ مــع الأقْرِبِيـــن

وبعد أن أنهى خطابه الموجه إلى بربر صناجة والمسلمين، نجده في هذه الأبيات يوجه خطابه مباشرة إلى الحاكم باديس معاتبا له على اختياره لهذا الوزير، محذرا من دسائس اليهود، مذكرا إياه بحكم الله في اتخاذ الكافرين أولياء قائلا: [3]

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان ، ص109.

[2] **الدفين**: الذي يظهر بعد الخفاء ويفشو منه الشر. لسان العرب، مادة (دفن)، 13: 156.

[3] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان ، ص109-110.

أباديــسُ أنت امـرُؤٌ حــاذِقٌ تُصيـبُ بظنك نـفْس اليقِـيــنْ
فكيف اخْتفتْ عنك أعيانـُهـم وفي الأرضِ تضرِبُ منها القرونْ
وكيــف تحــبٌ فِــراخ الزَّنـا وهــم بغَضُوك إلـى العــالمِـيـنْ
وكـيف يتـمَ لـك المُـرتـقـــى إذا كنــت تبــني وهم يهدمـــونْ
وكيــف استــنمْت إلى فاسـق وقـارنْتـهُ وهـو بِـيس القـرِيــنْ
وقـد أنْـزل الله فـي وحْـــيِـهِ يحـذَّر من صُحبــةِ الفاسِقيــنْ
فـلا تـتَّخـــذْ مِنــهـمُ خادِمــا وذرْهــم إلــى لَعنةِ اللاَّعنيــنْ
فقد ضجَّت الأرْضُ من فِسْقهم وكادَتْ تَميـدُ بنــا أجْمــعيــنْ
تأمَّـل بعينيْــك أقْطَــارهــا تجِدْهُــم كِــــلابا بها خاسِئينْ
وكيــف انْفـردْتَ بِتقْـرِيبــهـمْ وهمْ فــي البلادِ مـن المُبْعديــنْ
علـــى أنَّـكَ الملِـكُ المُرْتـضى سلِـيلُ المُـلوكِ من المـاجِديــنْ
وأنَّ لـك السَّبـقُ بيـن الــوَرى كمــا أنْت مِن جـلَّـة السّابقيـن

وفي الأبيات التالية يصور الإلبيري ما رآه بعينه ، عندما نزل بغرناطة واستقر بها فقد تسلم اليهود كل مقاليد الحكم ، وأشرفوا بأنفسهم على أموال الجباية ، ورأى كيف استغلوا مناصبهم في جمع الأموال، والإنتفاع بها من مأكل وملبس وقصور تضاهي قصر الأمير باديس، وكل ذلك على حساب الرعية ،التي تقف على باب الوزير من أجل قضاء حوائجها فيستهزئ بهم وبدينهم، فحاول تنبيه الأمير باديس إلى غفلته بالملذات التي شغله اليهود بها فسيطروا عليه.

وفي ذلك يقول المستشرق ريهنت دوزي« والواقع أنه كان للوزير يوسف من السلطان فوق ما كان للحاكم ذاته نظرا لسيطرته على باديس الذي لم يكن يصحو من س سكره ...وقد نهج هذا النهج حتى يظل مسيطرا على الدوام على باديس»[1]، فننذّد الإلبيري قائلا :[2]

وإنـــي احْتـلْـلـتُ بِـغرنـاطة	فكنتُ أراهُـمْ بـها عابِـثيـنْ
وقد قسَّموُهـا وأعْمـــالـــها	فـمِنهُم بِـكلِّ مكـانٍ لـعيـنْ
وهـم يقْبضـون جِبـايـاتِهـا	وهم يخضِـمُون وهم يقْضِمُـونْ[3]
وهم يلبسُـون رفيـع الكُسـا	وأنـتم لأوضعِـها لابِسـونْ
وهم أُمناكُـمْ علـى سرَكُـمْ	وكيـف يـكون خؤُونٌ أمِينْ
ويأْكـلُ غيرهُـم دِرْهمـا	فيُقصى ويدْنُـون إذ يأكلـونْ
وقد ناهضُوكـم إلـى ربكـمْ	فمـا تمـنعون ولا تنـكـرونْ
وقد لابسـوكم[4] بأسحارهـم	فـلا تسْمعُـون ولاتُبصِـرونْ
وهم يذْبحُـون بأسْواقِـها	وأنتُـم لِأطـرافِهـا آكِلـونْ
ورخَّـم قـرْدهُـم دارهُ	وأجْرى إليـها نمِيـر العيُونْ[5]
فصـارتْ حوائِجُنـا عنْدهُ	ونحـن على بابِـه قائِمُـونْ
ويضْحكُ منَّا ومِن دِينـنا	فإنَّـا إلـى ربِّنـا راجِعُـونْ

---

[1] ريهنت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مصر 1999، ص 75.

[2] أبو إسحاق الإلبيري ،الديوان ، 110-111.

[3] **يقضمون ويخضمون:** الخضم؛ الأكل بأقصى الأضراس، القاضم الآكل بأدناها والشاعر يقصد أن اليهود يستولون على كل شيء بشتى الطرق(ينظر: ابن منظور لسان العرب ، مادة (نخا) 313:15.)

[4] **لابسوكم:** لابس الرجل الأمر؛ خالطه، ولابست فلانا عرفت باطنه (ينظر: ابن منظور لسان العرب، مادة (لبس) 204:06.

[5] **رخَّم:** رخم الدار جعلها من الرخام والرخام ؛حجر أبيض سهل رخو(ينظر: ابن منظور لسان العرب ،مادة (رخم) 234:12.)

ولـو قُلْـــت فـي مالِـــهِ إنَّهُ كمالِك كُنْت مِـن الصَّادِقــينْ

وفي الأبيات الأخيرة يحرض الإلبيري الأمير باديس وبربر صنهاجة والعرب إلى وجوب الفتك بابن النغريلة، واستئصال شوكة اليهود من غرناطة قائلا: [1]

فبــادِرْ إلــى ذبْحِـــه قُرْبـــة وضـحً بهِ فهُو كبْشٌ سمِيـنْ
ولا تَرْفع الضَغْط عنْ أهلـــهِ فقدْ كنـزُوا كـلَ علْقِ ثمِيـنْ
وفرِّق عِداهُـــم وخُـذْ مالـهُمْ فأنت أحـقٌ بِما يجْمعُـــونْ
ولا تحسبَـــن قتْلهُـــم غدْرة بل الـغدرُ فـي تَرْكِهم يعْبثُونْ
وقد نكثُوا عهْدنـــا عندهُـــم فكيف تُلامُ علـــى النَّاكثيـــنْ
وكيف تكونُ لهـــم ذِمَـــةٌ ونحنُ خُمولٌ وهم ظـــاهِرونْ
ونحنُ الأذِلَةُ مِنْ بيْنِهـــــمْ كأنَا أســأْنا وهـمْ مُحسِنـــونْ
فلا تَرْض فِينـــا بِأفْعالِهـــم فأنْت رهيـنٌ بِمـــا يفْعلـــونْ

ويختم أبو إسحاق الإلبيري قصيدته ببيت يثير الحماسة الدينية في نفوس مسلمي الأندلس يطمئن بنصر الله ويختم قائلا: [2]

وراقِـبْ إلهَـك في حِزبـهِ فَحِزبُ الإلـــهِ هُـم الغالبُـون

وهكذا لم يكن الشعر ترفا فكريا عند أبي إسحاق الإلبيري، وإنما رسالة صادقة توجه بها إلى الناس فأيقظ القلوب، وحرك الهِمم، إن قصيدته أحدثت انتصارا ساحقا [3] «كانت كالزيت الذي صُب على النار فالتهب أوارها واستعر لظاها ، ولم يكن أمام الأمير باديس الزيري إلا أن يأمر باعتقال وزيره اليهودي... فاعتقل وقتل وصُفي نفوذ أسرته، كما صُفي نفوذ اليهود دفعة واحدة في غرناطة، وكان ذلك في شهر صفر 459هـ».[4]

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان ، 110-112.

[2] المصدر نفسه ، ص 112.

[3] ايميليو غارسيه غومس مع شعراء الأندلس والمتنبي ترجمة أحمد الطاهر مكي،دار الفكر العربي ،القاهرة ، مصر ط1، 1393، 1974، ص97.

[4] محمد حسن قجة ، دراسات أندلسية، ص159

وإن كان أبو إسحاق قد اشتهر بأعماله الزهدية، فإن قصيدته هذه قد رفعت به إلى مصاف الشهرة العالمية ،«والحق أن القصيدة تستحق ماحظيت به من شهرة ولا نعرف إلا في القليل النادر، أن أبياتا من الشعر لعبت دورا سياسيا مباشرا في التاريخ السياسي لأمة من الأمم، ودفعت في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق، وشحذت السيوف للقتل كالدور إلي لعبته هذه القصيدة »[1]

ومن جوانب التوفيق في نونية الإلبيري الإستعانة بالمعاني الدينية الإسلامية هذا ما بلغ ذروته في البيت الأخير، الذي يُخلف في السامع أثرا قويا، يظل يرن في الآذان طويلا، محققا الغاية التي رمى إليها هذا النص، الذي يتفجر بالقوة والغضب والحيوية والصدق. [2]

ولعلّ أشدّ مظهر أثار نقمة الشعراء يومئذ ،هو تسلط اليهود على الناس وقيامهم بحكم الجماعات الإسلامية وجمع الضرائب،[3] قال ابن الجد في ذلك:[4] (الوافر)

تحّكمَتِ اليَهُودُ على الفُروجِ وتاهَتْ بالبِغَـــــال والسُّروجِ
وقامتِ دولةُ الأنْذالِ فينَـــا وصَارَ الحُكْمُ فيها للعُلـــــوجِ
فقلْ للأَعورِ الدَّجّالِ هـــذا زمانُك إنْ عَزَمْت عَلَى الخُروجِ

المطلب الثاني :هجاء النّصارى

جاء هجاء النصارى مبثوثا في قصائد المدح الطوال، الموجّهة للحكام والقادة المسلمين إثر انتصارهم في حروبهم ضد النّصارى ولقد جاء هجاء النصارى قليلا في الشعر الأندلسي، يرتبط غالبا بالمدح، واقتطفنا أبياتا في هجاء "ابن حفصون"

---

[1] إيميليو غارسيه غومس، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ص97.

[2] محمد زكريا عنان، تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 1999، (د، ط)، ص 130.

[3] ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1997، ص 118.

[4] ابن بسام، الذخيرة، 1/2: 562.

من قصيدة طويلة لابن عبد ربه[1] أنشدها بعد انتصار الأمير عبد الله بن محمد ، وكان ابن حفصون لما انكشف جيشه أمام جيش الأمير في حصن "بلاي" ، وسقط الحصن في يد الجيش المرواني ، ورحل الأمير إلى مقر ابن حفصون "ببشتر" فحاصره في بلده وحطم ماحول قلعته وكسر شوكة المارق ، ثم ظهر له العودة بجيشه بعد أن تعب الجند فلما فصل الجيش، طمع ابن حفصون فلحق بجيش الأمير، ليصيب منه في شعاب الطريق الوعر وناوشهم ، غير أن الأمير ونفرا من قواده رتبوا عودة الجيش آمنا، وقتلوا من فئة ابن حفصون مقتلة عظيمة، وجيء بخمس مئة رأس من رؤوسهم إلى قرطبة قال في هجائه: (الكامل) [2]

لمـَّـــــا جفلْنَ من بلَاي عشيَّـــة أقْوتْ معَاهِدُهَا على الإدْلاجِ
فكأنما جاسَت خلال دِيـــــارهـــم أُسْدُ العَرين خلت بسرب نعاجِ
ونجا ابن حفْصُون ومن يكن الرّدى والسّيف طالَبهُ وليس بـــنَاجِ
في ليلـــة أسْـــــرت به فكأنّمـــــا خيلت لَديْـــــه لَيلَة المِعراجِ
مازال يَلقحُ كلّ حـــــرْب حائـِــــل فالآن أنْتَجهَـــــا بشرِّ نِتاجِ
فإذا ســــــألتَهُم مَوالِـــي منْ هُـــم قالـوا: مَوالِـــي كُلَّ ليـلٍ دَاجِ
سَدَّت فِجاج الخَافِقِيـــــنَ عليْهُـــم فكأنّما خلق بغيـــــر فِجـــاجِ [3]
نَكَصَت ظَلَالتُهم على أعْقابِهـــــا وانْصاعَ كُفرهُم علَـى الأدْراجِ

---

[1] ابن عبد ربه: (246-328/860-940 م): أديب صاحب كتاب العقد الفريد ، من أهل قرطبة كان شاعرا مذكورا له شعر كثير، منه ما سماه بالممحصات وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد، نقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب، كان له في عصره شهرة ذائعة. (ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء،1: 201 / الحميدي جذوة المقتبس، ص 103).

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، الديوان، تح: محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط 1، 1399 ،1979، ص 40،41.

[3] **فجج:** الفجُّ ،الطريق الواسع بين جبلين ،وهو أوسع من الشِّعَبْ ،وجمعه فجاج ، (ينظر، ابن منظور ، لسان العرب مادة (فجج) ، 2: 338.)

وكان ألفونسو السادس قد اضطره الخور للفرار، فتسنّم قنن الجبال الشاهقة والأوعار، إلى أن جَنَّه ثوبُ الظلام، فنجا ودخل طليطلة [1] مع شرذمة من أتباعه قليلة وبقية من طائفة له مخذولة مغلولة، [2] فوصف ذلك كلّه الشاعر عبد الجليل بن وهبون[3] فرمى ألفونسو السادس بالنزق والعجب والغرور، وبأنه قليل الخبرة والدراية بشؤون الحرب والبطولة، وأن لنساء النصارى ستسألنه عن آبائهن ورجالهن وأبنائهن وأخوانهن الذين شاركوا معه في المعارك فقال: (الوافر) [4]

فأيْنَ العُجْبُ يا أذْفونش هلاَّ تَجنَّبتَ المَشيخة يـــا غُلام
سَتسْألكَ النّساءُ ولا رجـــالُ فتُخبر ما وراءكَ يا عصامُ؟

ونكأت ألسنة الهجاء بألفونسو السادس، تعيّرهُ بالجبن والإدبار من المعارك، حيث يتخذ من جنح الليل وقتا للإختباء والفرار، ووصف ابن حمديس[5] ذلك قائلا[6]: (الطويل)

أرَى الفُنش ولَّى يَومَ لاقى فَوارِسا مَغافرهُم لأُثوا عليها العمائمـــا
يَلُومُ صَليبَ العُود وهُو يَلُومُـــــه ومنْ يَغْوَ لا يُعدَم عَلى الغيّ لائِم

---

[1] **طليطلة:** مركز لجميع بلاد الأندلس، عظيمة القطر كثيرة البشر، حضية لها أسوار حسنة وهي أزلية تقع على ضفة النهر الكبير، ووجد أهل الإسلام فيها ذخائر تفوق الوصف عند افتتاح الأندلس. (ينظر: الحميري، الروض المعطار ص 131)

[2] ينظر، ابن بسام، الذخيرة، 1/2: 246.

[3] **ابن وهبون:** أبو محمّد عبد المجيد بن وهبون مرسي اشتهر أمره في اشبيلية ولقي من أهلها وعلمائها من بني عباد قبولا ورعاية كانت وفاته في حدود 484 هـ (ينظر ابن بسام، الذخيرة، 1/2: 198).

[4] ابن بسام، الذخيرة، 1/2: 246.

[5] **ابن حمديس:** (ت نحو 527هـ/1133م): عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي، شاعر مبدع ولد وتعلم في جزيرة صقلية، ورحل إلى الأندلس سنة 471 هـ، فمدح المعتمد بن عباد وانتقل إلى إفريقية سنة 484هـ، فمدح صاحبها يحي بن تميم الصنهاجي، توفي بجزيرة ميورقة، له ديوان شعر.(ينظر:الزركلي،الأعلام 3: 274).

[6] ابن حمديس، الديوان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 426.

وفي قصيدة أخرى يذم الشاعر ابن حمديس ألفونسو السادس ويعيره بالتستر في الظلام والخوف والفرار قائلا: [1] (الوافر)

ومُعترِكٍ تلقَّى الفُنشُ فيـــــهِ غَريماً مُهلكـــاً نَفسَ الغَريمِ
تستَّر بالظَّلام وَفرَّ خوفـــــاً بِروعِ شقّ مسَامِـــع ظلـــيمِ
وذاقَ بيُوسُفَ ذي الناس بُؤْسا فمرَّرَ عِندهُ حُلوَ النَّعـــــيمِ
وقد نهَشَتْهُ حِيلتُ العَوالِـــــي سَلُوا اللَّيل السلم عن السَّليم
ثنَى تَوحِيدُك التّثليـــــثَ مِنه يعضُّ على يدّي فَزِعَ كَظِيم
رآكَ وأنتَ مُبتَسِم كضَـــــارٍ تَثَائَبَ عَن نَوَاجِذه شَتِـــيمُ
غداةَ أتَى بصُلبَـــان أضَلَّت عُلوجًا أبْرَمُوا كَيدَ البَرِيـــم
كأنَّهُم شَياطِيـــــنٌ ولكـــنْ رَمَيْتَـــــهم بِمحْرقَة النُّجومِ

وأمام نشوة الإنتصار على جيوش النصارى، سَلّ الشعراء ألسنتهم الحداد يعيرون العجم بالهزائم النكراء، التي ألحقها بهم المسلمون، فليبسونهم ألوانا من الذل والهوان كالإدبار من المعارك والفرار والجبن والخور، وفي ذلك يقول ابن وهبون[2]: (البسيط)

أتُنْكِر العُجم أنّ العُرْب سَادَتُها وتَشْهَد البِيضُ والخَطيّة السُّمْـــرُ
فما تُعارضُ دُون الشُّكر كُفرهُم عادَتْ بَـــوَادِر فيهم تلكم البـــدَرُ
وهبْ من كلّ دِينار لهم بَطلُ كخَالص التّبْر مَسْبُوك ومُخْتبـــرُ
فلْيقْبَلُوها ألُوفا من أُسُود وَغَـى تزَكُّوا على السّبك لا جُبْن ولا خَوَرُ
ولْيَرقبُوا من أميرِ المُسلمين ومن مُؤيّد الدِّين ليْلاً ما لَهُ سَحـــــــرُ
لم يهْشموا الثّغراء عاشَت أكفُّهم لو يعقِلونَ ولكنْ تِلكُـــم الثَّغـــرُ
وليسَ مَا غيَّروا إلاَّ أنْفُسَهُـــم كأنّما نَبَهوُا إذا نامَـــتْ الغِيـــرُ

---

[1] المصدر السابق، ص 437.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 1/2: 255.

ومن القصائد التي يمتزج فيها مدح حكام وقادة المسلمين وجيوشهم بهجاء النصارى لامية بن بقي إذ يقول[1]:(البسيط)

أقْبَلت بالجَيشِ مَلمُوماً كتَائِبه كأنَّكَ البَدْرُ تَحْت العَارِض الهَطِل

إلى أن يقول يذم النصارى لارتدادهم على أعقابهم: [2]

يا مَعْشَر الرُّوم قدْ شَالَتْ نَعامَتُكم أما منَ الحِين أو منْ شِدّة الفَشلِ

يا وَيْلكُم مَعشراً بلْ ويْلُ أمَّتِكُـــم فإنَّهـــا وَلدَت للثّكل والهَبَـــلِ

ويواصل ابن وهبون هجاء للنصارى ، عندما قُتِّلُوا وضُربت أعناقهم وحُزَّت رؤوسهم وقد رفعوا على الأخشاب[3]:(الوافر)

رأيتُ الضّرب تصليبا فصلبا وأنت على الصليب لا تنـــامُ

أنام رجـــالك الأشقون؟ كلاَّ وهل يحلُو بلا رأس منـــام؟

رفعناها بهم في كـــلِّ جذع كما ارتفعت على الأيك الحمام

سيبعدُ بعدها الظلماء لمَّـــا أتيح لهـــا بِجانِبها إكْتتـــام

والخلاصة أن هجاء النصارى في الشعر الأندلسي، لم يرد في قصائد مستقلة بذاتها وإنما كان مبثوثا في قصائد الفخر والمدح، التي أنشدها الشعراء بعد الإنتصارات التي حققها الحكام والقادة في الأندلس على جيوش النصارى.

المطلب الثالث :هجاء الصقالبة

يقول ابن سعيد في هجائهم: (السريع)[4]

أخْرجْ من قَصْر إمام الهدى كلّ فتى مُنبســـــط جائـِر

فمن رأينا منـهم قـَـال لا مِسَاسَ فِعل النَّاسِ بالسَّامِريّ

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 2/2: 620.

[2] المصدر نفسه، 2/2: 620.

[3] المصدر السابق، 1/2: 247.

[4] ابن عذارى، المغرب، 255:2

فخفَّ ظَهْر المَلِكِ المُرْتَضَى قدَ خفَّ مِن ثِقَلِهُم الظّــاهر

وسالَ ماءُ العِلمِ منْ وجْهِه مذْ زالَ منْ جَهْلِهُم الخَاثـــر

وعلى نحو ما مرّ بن من استقراء لشعر الهجاء السياسي في الأندلس، الذي ارتبط بهجاء الحكام ورجال الدولة من وزراء وولاة وعمال وحتى القضاة والفقهاء، فقد صوّر لنا مدى الإنحراف والظلم والفساد المتفشي في أجهزة الحكم ، في هجاء ينبع أحيانا من الذاتية ، ويكون هجاءً لاذعا وجارحا ، أما الثاني فهو هجاء لا تغذية الأحقاد السياسية بل يغذيه حب الوطن، لذلك تتبع الشعراء الهجّاؤون غفلات وزلات الحكام والوزراء والولاة والعمال.

وخلصنا إلى أن شعر الهجاء السياسي، كان يفتر حينا ويظهر وبقوة حينا آخر، فقد خفّ الهجاء السياسي في القرن الثالث للهجرة ، في ظل الخلافة الأموية أيام حكم الناصر وابنه المستنصر، وأيام سطوة المنصور بن أبي عامر، إلاّ أنه ظهر في بداية عهد الفتنة وفشا واستفحل في عصر ملوك الطوائف.

الفصل الثالث:

موضوعات الهجاء الاجتماعي

عاش المجتمع الأندلسي سنينا من العطاءات والتقلبات تتأرجح بين القوة والضعف وما يهم الباحث هو تسليط الضوء على المجتمع في فترة الضعف والتقهقر، خاصة إبان الحقب الصعبة، كأيام الفتنة المبيرة التي محت معالم الأندلس، وقضت على آمال الشعب أن يعيش في استقرار أرسى دعائمه ملوك وخلفاء عظام أمثال عبد الرحمن الناصر، الذي جعل عن الأندلس جوهرة تتصدر على قلب أوروبا، ولم تنكر المستشرقة الألمانية زغريد هونكا ذلك في كتابها شمس العرب تسطع من الغرب ذلك، ولا ننكر فترة حكم عبد الرحمن الأوسط والذي كانت تلقب بأيام العروس نظرا لازدهار وتطور المجتمع في جميع الميادين.

أما في عصور التفكك والإنقسام كعصر الفتنة المبيرة وعصر ملوك الطوائف فقد ظهرت فيهما العديد من الثورات والفتن ، وكانت الرعية هي الضحية الوحيدة ، فضاع مجد وحضارة الأندلس ، عندما قام الصراع بين أبناء الأمة أنفسهم ، المتغافلين عن خطر الصليبيين، الذين كانوا ينتهزون الفرصة للقضاء على دولة الإسلام في الأندلس.

لقد عاش المجتمع الأندلسي في ظل تلك الصراعات أوضاعا مزرية ، تقول في ذلك سامية الجباري، « في نفسية الأندلسي القلقة إزّاء الفساد الاجتماعي والانهيار الأخلاقي علا صوت بعض الشعراء ينتقدون هذه السياسة الظالمة.» [1]

جسد شعر الهجاء الاجتماعي نواحي الفساد والظلم في المجتمع وخباياه الكامنة بأعماقه، فقاموا بنقد سلبيات المجتمع وتبيين علة الفساد وأسبابه ، واتجه الهجاء مركزاً على الإنحراف، الذي سلك طريقه بعض رجال الدين كالقضاة والفقهاء والمتدينين وبعض رواة الحديث، وانتقد الهجاء الاجتماعي البشرية جمعاء عامة وخاصة من خلال تسليط الضوء على الأخلاق والطبائع، وذم الزمان والمكان والأهل والأقارب ، ولم يسلم حاملوا لواء الهجاء من الهجاء نفسه فانبرى الشعراء لهجاء بعضهم البعض.

[1] سامية جباري. الأدب والأخلاق في الأندلس ، ص 347-348.

المبحث الأول: هجاء رجال الدين

كان لرجال الدين مكانة خاصة في المجتمع الأندلسي فهم رجال الدين والدنيا، فمنهم الأئمة الخطباء والفقهاء والقضاة والمشاورون والمفتون والعدول، استمدّوا مكانتهم ونفوذهم من كونهم حفظة الدين وحملة الشريعة، [1] هاته الفئة من المجتمع لم تسلم من الهجاء فلقد أكثر الشعراء وراء منافعهم الخاصة واتهموهم بالتهاون في الأحكام، والترخّص في الحدود.

المطلب الأول :هجاء القضاة:

نال القضاة في الأندلس نصيبهم من الهجاء والنقد والسخرية اللاذعة، ولقد تعددت المثالب والنواقص التي طالتها ألسنة الشعراء ، فذموهم على أساس جورهم وجهلهم بالأحكام وعدم تحقيقهم لمبدأ العدالة ، لأن القاضي يعد رمزا للعدالة ، يفصل بين الحق والباطل ويمنع الظلم، وينشر العدل بين أفراد مجتمعه « العدالة وهي معتبرة في كل ولاية والعدالة أن يكون صادق اللهجة ظاهر الأمانة عفيفا عن المحارم متوقيا للمأثم بعيدا عن الرّيب مأمونا في الرّضا والغضب مستعملا لمروءة مثله في دينه ودنياه.» [2]

لقد تخصّص بعض الشعراء في هجاء القضاة ومنهم الشاعر يحي الغزال الذي خاض معركة ضارية ضد القضاة والفقهاء أيضا:« تناول الغزال في حكائياته موضوع شدة بعض القضاة في عصره وفساد ذمم بعض الشهود، إذ يشهدون زورا وبهتانا ولقد تعرض لذكر قاضيين من بلدته جيان ، هما يخامر بن عثمان الشعباني [3]

---

[1] ينظر: عصمت عبد اللطيف دنش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1408، 1988، ص 272.

[2] الماوردي الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي ، دار ابن قتيبة، الكويت، ط1 1409،1989، ص 89.

[3] **يخامر بن عثمان الشعباني:** ولاه عبد الرحمن الأوسط سنة 220 هـ، كان فيه جفاء لما قعد يحكم عامل الناس بخلق صعب ومذهب وعر، وصلابته جاوزت المقدار فلم تتحمل العامة من ذلك، حتى اضطر الأمير إلى عزله. (ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1: 149).

وأخوه معاذ[1]... ورسم لنا من خلال مشاهد حكائية طريفة صورا ناطقة بالحياة نابضة بالحركة لهذين القاضيين، أما الأول "يخامر" فقد كان شديدا في قضائه متنطعا في أحكامه، حتى استغلط أهل العلم قضاءه » [2]، فانبرى له يحي الغزال يهجوه ويصفه بالبله والجهل، كما أن الشاعر يجزم باستحالة قيام يخامر بأمور القضاء، فهو ليس أهلا لها، ووصفه عندما يخطأ في أحكامه بالسكران الذي لا يعي بالأعمال والأقوال التي تصدر منه، لذلك فهو عاجز تماما أن يحمل على عاتقه مهمة القضاء مثلما تعجز الذبابة عن حمل الصخور وكما تعجز السلاحف عن تجزية السفن ، لذلك يدعوه إلى إعتزال هذه المهنة قائلا :[3] (الطويل)

فَقلْتُ لهُ كلَّفتنِي فوقَ صنْعتِـــــــي كما قلّدَ فَضْل القضاءِ يُخامــرَا
فأصْبَحَتِ وقدْ حارتْ بهِ طُرقُ الهَوى يُكابدُ لُجيًّا من البحْرِ زاخِـــــرَا
فقلتُ لهُ لما اسْتَعْفيتَ منها قالَ لِـــي سَأفْضحُ ما قدْ كان منك مُغايرَا
فَقُلتُ لهُ رأسَ الفَضُوح إقامَـــــــــة علَيْنا كذا من غيرِ علمٍ مُكابـرَا
وخَبطُكَ في دِين الإلَه على عمًـــى خبَاطة سَكْرانَ تكلَّم سَـــــادراَ [4]
فلنْ تَحمِل الصَّخر الذُّباب ولنْ تَرى السَّلاحِف يُزْجينَ السَّفين مَواخِراَ

وفي مقطوعة هجائية أخرى يتهمه بالجهل وضعف العقل، فلا يفرق بين الشعر والقرآن، فكيف يشغل مثل هذا القاضي منصب القضاء، إذ يفتقر إلى العلم الذي يعد

---

[1] **معاذ:** هو أبو عبد الله بن عثمان الشعباني: أخو يخامر، كان قاضيا بقرطبة سنة 232هـ. ولاّهُ عبد الرحمن الأوسط، تولى منصب القضاء لمدة 17 شهرا ثم عزل بسبب تعجله في الأحكام (ينظر: ابن سعيد المغرب في حلى المغرب،1: 150)

[2] أسامة اختيار بنية المشهد الحكائي في شعر يحي بن حكم الغزال، مج 27، ع 3+4 مجلة جامعة دمشق ، 2011 ص 22.

[3] يحي الغزال، الديوان، ص 50.

[4] **السادر**: الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي بما صنع (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سدر) 4: 355.)

من أبرز أدوات القاضي وشروط القضاء:« لا يُوَلَّى القضاء إلّا فقيه عالم بالكتاب والسنة والآثار"[1] وكيف هو الحال بفقيه يفتقر إلى كل هذا: يقول الغزال (من المجتث): [2]

لقدْ سَمِعْتُ عَجِيباً من آبِداتِ يُخامِر
قرأَ علـــيهِ غُـلامٌ طه وسورة غافِــر
فقالَ منْ قالَ هذا؟ هذا لعَمرِي شاَعِر
أردْتُ صفْع قفَـاه فَخِفْتُ صَولَة جَائِر
أتَـــيتُ بتيــسٍ مُسْتعبِر مُتحاسـرُ
فقلتُ قومُوا اذْبحُوه فقالَ إنّي يخامــرُ

ولا زالت صواعق الهجاء تسقط على رأس القاضي يخامر، فقد استغل الشاعر ابن الشمر[3] غفلة القاضي، وألقى بين سحاءات يخامر بن عثمان التي كان ينادي بها الخصوم للقدوم إليه سحاءة مكتوبا عليها "يونس بن متى" و"المسيح بن مريم"، وخرجت السحاءة إلى يده، فأمر أن يدعى له بها فهتف الهاتف بخارج المجلس ولا مجيب، إلى أن صاح ابن الشِّمَّر: إن نزولها من أشراط الساعة، ثم تناول سحاءة كتب فيها[4] بيتين ليسخر من خفة عقله وختم هجائه بالدعاء عليه وتمنى له عدم السلامة حيًّا كان أو ميِّت قائلا [5]: (الطويل)

يُخامِر ما تَنفكُّ تَأْتي بفِضْحـــــه دعوْتَ ابن متَّى والمَسِيح بن مَريما
قفاك قفا جحْشٍ ووَجْهكَ مُظْلـــمٌ وعَقلُك ما يُسَاوِي من البَعْر دِرْهَمـا
فلاَ عِشْتَ مَوْدُوداً ولا رُحْتَ سَالمـاً ولا مُتَّ مفْقُوداً ولا مُتَّ مُسْـلمَـــا

---

[1] الماوردي، أدب القاضي، تح، حسين خلف الجبوري،ج1، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية 1409، 1989، ص 101.

[2] يحي الغزال، الديوان: 51-52.

[3] **ابن الشمر**: عبد الله بن الشمر من أهل وشقة يكنى ابا محمد كانت له عناية بالعلم ،كان متفننا في العلوم شاعرا جيد الشعر. (ينظر: ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس،1 : 309.)

[4] ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ص 201.

[5] ابن سعيد المغرب في حلى المغرب،1: 203.

وبعد رشق الغزال سهام الهجاء على القاضي يخامر، اتجه ليصوب نبال هجائه لأخيه معاذ الشعباني ، يتهمه بسوء التدبير في اختيار عدوله، فتهكم الغزال على عدول معاذ وبخاصة اثنان منهما وهما: أبو حفص، ويحي بن مالك فجعلهما من أهل القلاقل والفتن والتخريب، وأن تواجدهما في أي مكان يحلان به تحل به الفجائع، وأنهما نذيرا شؤم والطريف في هذا المشهد هو الحوار الذي دار بين الغزال وديكه، يعرض مشكله إجتماعية خطيرة تتجلى في فساد ذمم بعض الشهود في مجالس القضاء، يقول[1]: (الطويل)

أتاكَ أبُو حفْصٍ ويحْيَ بن مَالك فأهلاً وسهلًا بالـــــوَغَى والمَعَامِعِ
رجالٌ إذا صبُّوا عليكَ شَهـــادةً حكمَتِ فيكَ وقْع المُرهَفات القَواطِعِ
أقولُ لِديكِي إنْ رأيْتَ وُجُوهَهُـم تَعَزَّ فقدْ جاءتْك إْحدَى الفَجائْـــع
رثَى واستهَلَّت عندَ ذاك دُمُوعهُ وقال كثيـراً ما أفَاضُوا مَدامعِـــي

وفي مقطوعة هجائية أخرى يرسم لنا يحي الغزال القاضي أسوار بن عقبة [2] في صورة مخادع يتظاهر أمام الناس بالورع والتقوى والزهد، فيصدقه الناس، إلَّا أنه يدعي ذلك ليتمكن من الوصول لمبتغاه، مشبها إياه بالهرّ التي يتحقق الانقضاض على الفأر فيقول[3]: (المتقارب)

وتَحْسِبُّ من خبّهِ أنـَّكَ تراهُ عن النَّاس فِي غُربه
ومَا ذاكَ فيهِ فَلا تأْمنُوه لتَمَكِّنِـه الوَثبْـــــــــه
رأيتُ لهُ ناظْـــر هرّة تَراءى لهَا الفأرُ في ثُقبَه

---

[1] يحي الغزال، الديوان، ص 67-68.

[2] **أسوار بن عقبة:** هو أبو عقبة الأسوار بن عقبة النصري، استقدمه الأمير عبد الرحمن إلى قرطبة وولاه قضاء الجماعة بها، كان من أهل التحرّي والتواضع. (ينظر: ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ص 193).

[3] يحي الغزال، الديوان، ص 51-52.

وكانت ظاهرة احتجاب القضاة على الناس سببا ذريعا وقويا لهجائهم، وقد عبّر الشاعر أبو عبد الله بن أبي الخصال[1] عنها حينما وقف بباب أحدهم فحجب عنه فهجاه قائلا : (المتقارب): [2]

جئْناكَ للْحاجةِ المَمْطُول صَاحِبها وأنتَ تَنعَمُ والإخوانُ في بـــؤْس
وقدْ وقفْنا طويلاً عندَ بَابْكُـــــــم ثمَّ انْصرَفْنا على رأيٍ ابن عبْدُوسِ

وهو يشير إلى قول الوزير أبي عامر بن عبدوس ،في هجاء قاض يعرض بأخلاقه الذميمة ، أما النزق وخفة عقله فهي أقل شئنا من مجموع أخلاقه المشينة الفادحة:[3]

لناَ قاضٍ لهُ خلقٌ أقلُّ ذَميمِه النَّزَقُ
إذا جِئناهُ يَحْجُبنا فنَلْعَنُه ونَفْتَـــرِق

وجاء في الذخيرة أن الحسن بن الأستاذ، وكان يلقب بالمتنبي، ويغضب إذا سمع هذا اللقب، قد تولى خطة الأشراف ببطليوس، فقطع جراية جملة من الأضياف، فتعرض له أبو بكر الداني بالهجاء قائلا (مجزوء الرمل): [4]

مَعْشَرَ الأَضْيَافِ ضَجُّوا قَدْ أَتَى الدَّهْر بِآيَة
قَدْ أَتَاكُـــــم بِنَبِّـــي شَرْعُهُ قَطْعُ الجِرَايَة

---

[1] **أبو عبد الله بن أبي الخصال:** (465-540هـ/1074-1146): محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن أبي الخصال الغافقي أبو عبد الله وزيرا أندلسي شاعر وأديب، يلقب بذي الوزارتين. (ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء، 5: 261).

[2] **ابن أبي الخصال،** رسائل ابن أبي الخصال، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988 1408، ص 649 .

[3] علي بن ظافر الأسدي، بدائع البدائه ،تح عبد القادر مصطفى عطا، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1 2007، ص257 ،258.

(4) ابن اللبانة الداني، الديوان تح محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2008 ص147.

وقال اليكّي في هجاء قاضٍ جائر بمدينة مرسية، امتدّت يداه لأكل أموال اليتامى والمساجد بغير حق، لذلك خاطب أمير المرابطين وأشاد بفضله، وفضح سوء فعل القاضي قائلا :[1] (الطويل)

تَسَمَّعَ أميرُ المُؤمِنين لِنَبْـــــأَةٍ تَصُمُّ لَهَا الآذَانُ في كلِّ مَشْهــد
بِمرسِيةَ قاضٍ تَجَـــــاوَزَ حَدَّهُ وأَخْطَأَ وَجْهَ الرُّشْدِ في كل مقْصَدِ
يُطَالبُه الأيتامُ فـــــي جُلِّ مالهم ويطْلُبُه فــي حقِّهِ كُلُّ مَسْجِـــــدِ
فَمَا ابيضَّتْ كَفَّاكَ بِالعَدْلِ لَمْ تَزَلِ تُسَوِّدُهُ بِالجُور كفٌّ ابن أسْـــوَد

وهجا الأبيض ابن حمدين[2] قاضي قرطبة بقوله:[3]

يُرِيدُ ابن حمْدين أنْ يعْتفِي وجَدْواه أنْأَى من الكَوْكَب
إذا ذُكِر الجُودُ حَكَّ اسْتهُ ليُثبتَ دعْواه في تَغْلبِ

وعن جور القضاة على الضعاف من الخلق، وتسلطهم على رقابهم وحلمهم ورفقهم بأصحاب المراكز المرموقة ، وقبولهم للرشوة وتهاونهم بثقل الأمانة التي يحملونها وهي العدل، يقول ابن الزقاقٍ[4] معرضا بهم (الكامل):[5]

قاضٍ يجورُ علَى الضَّعيفِ وربَّما لقيَ القَويّ بمِثْلِ حِلْمِ الأَحْنَف
لَعبتْ به الرّشَـــا لَعب الرَّشـــَا بفُؤادِ خفَّاق الجَوانِح مُـــدنّف

---

[1] المقري، نفح الطيب، 3: 535./ ابن سعيد ،المغرب في حلى المغرب ،270:2.

[2] **ابن حمدين:** أبو عبيد الله بن علي بن حمدين الأندلسي المالكي ،قاضي الجماعة،صاحب فنون ومعارف وتصانيف ولي القضاء ليوسف بن تاشفين ،كان يحط على الامام ابي حامد الغزالي في طريقة التصوف، وألف في الرد عليه (ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،422:19.)

[3] ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، 128:2.

[4] **ابن الزقاق:** هو أبو الحين علي بن عطية بن مطرف بن سلمة المعروف بابن الزقاق ولد في بلنسية في فترة عصيبة، درس على أيدي شيوخ أجلاء، ثم أخذ في قول الشعر واشتهر أمره، غير أنه لم يعمِّر طويلا، توفي سنة 528 (ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، 2: 20).

[5] ابن الزقاق، الديوان، تح، عفيفة محمد ديراني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1964، ص 295.

وكلف عبد الرحمن بن مغاور الشاطبي[1] بهجاء قاض يدعى "ابن بيش" فاتهمه بتعطيل الحدود وتزييف الأحكام، وتناقضه في إصدار أحكامه : [2](الخفيف)

لا تظُنُّوا ابنَ بِيش في قضاياهُ يَرتَشِـــي
إنّما الشَّيخ هلَّهلَ فهو يَصحُو ويَنْتشِـي
فتَرى الحُكمَ غدوةً وتَرى النَّقْض بالعَشِيّ

وقال في ذمه عندما رآه متهاونا في إصدار الأحكام الشرعية المتخصصة في الخمر والفحشاء[3]: (البسيط)

قال ابن بِيش المَشْهُور مَوضِعُهُ قَوْلاً يُعَابُ على آخرِ الأبـــدِ
الخَمْرُ والزَّمْرُ والفَحْشَاءُ أجْمَعُهَا حِلٌّ وبِلٌّ وتَبقَى خُطَّتي بيدي

وفي تحليل القاضي لأمور نهانا إليه عنها الشرع وترخصه في إقامة الحدود قال الشاعر في هجائه :[4](السريع)

الحمدُ للهِ بلَغْنـــــــا المُنَـــى لا حَدَّ في الخمْر ولا في الغِنا
قد حلّلّ القاضِي لناَ فِي ذاَ وذا وإن شَكرنـــــــاهُ أحلّ الزِّنـــا

وقال الأعمى المخزومي في هجاء القاضي أبو محمد عاشرا[5]، يتهمه بالفساد (المتقارب): [6]

تأمَّلتُ تِسعَة رهطٍ الفسادِ وألفيتُ عاشراً عاشِرَهم

---

[1]عبد الله بن مغاور(502–ت 587) هو عبد الرحمن بن مغاور بن حكم مغاور السلمي من أهل شاطبة، كان بليغا مفوها مدركا له حظ وافر من قرض الشعر وله مشاركة في الفقه .(ينظر: ابن ادريس، زاد المسافر، ص، 38.)

[2] الادريسي، زاد المسافر ،ص39.

[3] المصدر نفسه ، ص،39.

[4] المصدر السابق، ص، 39.

[5] عاشر بن محمد بن عامر بن أبو محمد فقيه عارف مُوثق وُلي قضاء مرسية (ينظر: الإدريسي، زاد المسافر ص، 77).

[6] المصدر نفسه، ص، 76.

المطلب الثاني :هجاء الفقهاء

الفقيه رمز للإسلام وهو الحامل للواء الشريعة الإسلامية، وكثيراً ما يُجِلُّ المسلمون الفقيه لأنهم يروا فيه الإنسان المثالي من خلال حلمه وعلمه بأمور الدين. « ومن الناحية الخلقية كان ينبغي أن يكون عاملاً بما يحفظ ويعلم محافظا على سمتٍ خلقي أهم خصائصه الزّهد في ترف الحياة ورفع الهمة عن السعي وراء الرّزق والمناصب »[1]

ونظراً لفساد المعايير الخلقية والدينية لبعض الفقهاء في الأندلس، إنبرى لهم شعراء وسلطوا عليهم شواظ الهجاء عليهم، لأنهم تركوا مهمّتهم السَّامية وهي حمل لواء الدين الإسلامي والأمم بالمعروف والنهي عن المنكر. لقد حارب الشعراء ظاهرة استغلال الفقهاء مناصبهم من أجل مصالحهم الشخصية وعكوفهم على جمع الأموال، وتحصيل الثروات الطائلة، بالإضافة إلى تهاونهم بأمور الدين كقبول الرشوة، ورياءهم، وجهلهم من خلال تحليلهم لما حرّم الله.

في هذه المقطوعة عذل شديد لبعض الفقهاء الذين يشك الشاعر في مصادر غناهم ويشير بأصابع الإتهام إليهم ،ويطلب منهم تحري الرزق الحلال وعدم إستغلال نفوذهم المعنوي وعدم التهاون بالأمور، فيقول[2]: (الخفيف):

لسْتَ تلقَى الفَقيهَ إلاّ غَنِيّـــــا ... ليْتَ شِعْري مِن أيْن يَسْتَغْنُونَا
تَقْطعُ البَرَّ والبِحارَ طِلابَ الرّزْ ... قِ والقومُ هاهُـــــــنا قاعِدُونا
إنّ للقومِ مضْربا غابَ عنّـــــا ... لمْ يُصبْ قصْد وَجْهِه الرّاكِبوناَ

لقد تصدَّر الفقهاء قمة الهرم الاجتماعي، وتفيّأوا تحت ظلال الطبقة الارستقراطية الإقطاعية ، وهنا ما يؤكده إبراهيم بوتشيش في قوله:« ولا ريب في أن المال وملكية

---

[1] حسين مؤنس، شيوخ الأندلس في الأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة ، مصر، ط1 ،1963 ، ص 63.

[2] يحي الغزال، الديوان، ص 77.

الأرض أكسبتهم سلطة اجتماعية، بفضل ما حصلوا عليه من إقطاعات، وما أغدقه عليهم الأمراء من هبات ».[1]

ونؤكد على ذلك بقول حسين مؤنس:«الفقهاء الذين يسعون إلى رضا الحكام وينالون الجاه والوظائف عن طريق هذا الرّضا » [2] لذلك كان الغزال لا يكف عن مهاجمة الفقهاء والتندّر بنفاقهم، وتظاهرهم بالتقشف والعزوف عن الدنيا مع غناهم وحرصهم على جمع المال والتلذذ بمغريات الحياة الدنيا. [3]

وللقاضي منذر بن سعيد[4] مقطوعة في هجاء الفقهاء يذمُّ تقليدهم الأعمى وتقديسهم للأشخاص يدعوا إلى التعلّم والاجتهاد قائلا[5]: (الطويل)

غدِيرِي منْ قومٍ يقُولونَ كلّمـــــا طلبْتَ دَليلاً هكذَا قال مالـــكُ
وإن عُدْتَ قالوا هكَذا قالَ أشْهبٌ وقد كانَ لا يخْفى عَليهِ المَسالِك
فإن زِدتُ قالُوا مَجنُون مِثلـــهُ ومنْ لمْ يقُل ما قالَ فهُو آفِـــكُ
فإن قُلتَ قالَ اللهُ ضَجُّوا وأكْثَرُوا وقالُوا جميعاً أنتَ قرْن مُمَاحِـكُ
فإن قُلتَ قَد قالَ الرَّسُولُ فَقَوْلُهُم أَتَتْ مالكٌ في ترك ذاك المالـكُ

ويهجو الشاعر ابن شهيد حامل الفقه الذي لم يخلص عمله لله والدين ، ويرى أن الدين عنده مجرد حفظ مسائل دون تطبيق وإخلاص فيندد قائلا[6]: (الخفيف)

وناقـــلُ فقْهٍ لمْ يَر اللهَ قلْبـــــهُ يَظنُّ أنّ الدِّينَ حِفظ مَسائِـــلِ

---

[1] إبراهيم بوتشيش، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي، ص 141.

[2] حسين مؤنس، شيوخ الأندلس، ص 57.

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 335.

[4] **منذر بن سعيد:** (283-365 هـ/886-966م): منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القرطبي، أبو الحكم البلوطي، قاضي قضاة الأندلس، كان بصيرا بالجدل منحرفا إلى مذاهب أصحاب الكلام، ولي قضاء ماردة، ثم الثغور الشرقية، فقضاء الجماعة إلى أن توفي. (كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء، 5 :439).

[5] ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله في روايته وجمعه، ج 2، تح أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 1، المملكة العربية السعودية، 1414 ،1994، ص 1138.

[6] ابن شهيد الأندلسي ،الديوان ص 144

ونقف الآن أمام مقطوعة هجائية، لكنها تصدر من فقيه زاهد وهو أبو إسحاق الإلبيري، الذي واجه جامحاً ووحيداً الوزير اليهودي يوسف بن النغريلة، وقد فاضت بأبي إسحاق مشاعره، فنفاه باديس بضغط من وزيره اليهودي خارج غرناطة، فتركها واستقر في مدينة إلبيرة،[1] في زاوية تسمى رابطة العقاب[2].

وهناك نظم الفقيه شعراً في ذم زملائه الفقهاء الذين تخلوا عنه في محنته وآثروا صحبة ذوي النفوذ والسلطان[3] هجا أبو إسحاق الإلبيري الفقهاء الذين يتاجرون بعلمهم من أجل المال والسلطة، فهم ساكتون عن هفوات وزلات الحكام، ولقد آثر فقيهنا الزاهد الابتعاد والاغتراب أفضل له من مجاورة هؤلاء الفقهاء المنافقين، كما رأى أن مجاورة الذئاب المفترسة آمن له من مجاورتهم، ويقول في ذلك: (الوافر): [4]

ألاَ حَيِّ العُقابَ وقَاطِنيه ... وقُل أهْلاً به وبِزائِريـــــــهِ
حلَلْتُ بهِ فنَفَّس ما بِنفْسِي ... وأنَّسَنِي فمَا اسْتَوْحشْتُ فيهِ
وكمْ ذِيبٍ نُجَاوِرُه ولكِـــنْ ... رأيْتُ المَرْء يُؤْتَى مِن أَخِيه
وأيْأَسَنِي من الأيَّام أنـّـــي ... رأيْتُ الوَجْه يَزهَدُ في الوَجِيه
فآثَرْتُ البِعادَ على التَّدانِي ... لأنّي لمْ أجِدْ منْ أصْطَفِيــه

ومما يجب التسليم به أن هجاء الإلبيري للفقهاء لا يصدر عن دافع شخصي بحت بل سلوكات بعض الفقهاء المشينة ، هي التي دفعته وأرغمته على الهجاء، يصدر عن دافع موضوعي، وهو رؤيته تأييد الفقهاء للأمراء والحكام ولو كانوا على ظلاله « لقد كان الفقهاء يقدمون لكل حادث فتوى ولكل جريمة مبررا في خدمة الأقوى دائما» [5]

---

[1] الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص 69.

[2] **العقاب:** بكسر العين مكان يقع بالأندلس بين جيان وقلعة رباح (ينظر: الحميري ،الروض المعطار ،ص 137.)

[3] محمد حسن قجة، دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، ص 157.

[4] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 83، 84.

[5] أحمد الطاهر مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص، 51.

وأرجع ابن حيان فساد الأمر وطغيان الحكام في عصر الطوائف وتواطئهم مع الفقهاء للسكوت عن سوء أعمالهم بقوله:« لم تزل آفة الناس منذ خلقوا صنفين منهم كالملح فيه: الأمراء والفقهاء، فلما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم، وبفسادهم يُردون، فقد خصّ الله سبحانه وتعالى هذا القرن الذي نحنُ فيه من اعوجاج هذين الصنفين لدينا، بما لا كفاء له ولا مخلص منه فالأمراء القاسطون، قد نكبوا بهم عن نهج الطريق، ذياداً عن الجماعة وجريا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم، صموت عنهم، صدُف عمَّا أكّده الله عليهم من التبيين لهم، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم، أخذ بالثقبة في صدقهم، فما القول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها».[1]

وكان الفقهاء أكبر مساند لأمراء الطوائف في تبرير سياستهم وظلمهم للرعية وفي ذلك يقول ابن حزم الأندلسي:« لايغرنكم الفساق المنتسبون إلى الفقه واللابسون جلود الضان على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم».[2]

استعرت نار الهجاء في عصر المرابطين، فسلط الشعراء شواظ هجائهم على الفقهاء لأنهم هم والرعية نفسها قد لاحظوا البون الشاسع بينهم وبين الفقهاء، الذين عظم أمرهم وازداد ثراؤهم ، ويقول في ذلك المراكشي صاحب المعجب:« فعظم أمر الفقهاء وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم... فعظم أمر الفقهاء وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت أموالهم، واتسعت مكاسبهم ».[3]

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، 3: 254.

[2] ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم، تح إحسان عباس،ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ط2، 1987، ص173.

[3] المراكشي، المعجب، ص 130.

وفي المقطوعة الآتية يشن الشاعر الأبيض حربا شعواء على الفقهاء الذين استغلوا الدين ومنصبهم الروحي، من أجل الوصول إلى غاياتهم، لكنه قبل أن يلج موضوع الهجاء، قام بمدح للإمام مالك، ونعته بأجمل الصفات ومنها العلم والعدل وشبهه بالنور الذي أضاء عليهم دنياهم بعلمه، وبأنه قد ترك بعد وفاته أثرا طيبا بين المسلمين، ثم اتجه بلا هوادة صوب الفقهاء يذمهم، ويشبههم بالوحوش المفترسة التي تفتك بضحاياها دون رحمة قائلا (الكامل): [1]

قُل لِلإمامِ سَنا الأئمّة مَالكٍ[2] نورُ العُيونِ ونُزْهةِ الأسْمَـــاعِ
لله دَرُّك مِن إمامٍ ماجِـــــدٍ قدْ كُنت رَاعِينا فنِعمَ الرَّاعـــيِ
فمَضَيْتَ مَحْمود النَّقيبةِ طاهِراً وتَرَكْتَنَا قَنصاً لشرِّ سِبـــــاعِ
أكَلُوا بِكَ الدُّنيـــا وأنْت بِمعزلٍ طَاوي الحَشا مُتكفّت الأضْلاعِ
تشْكُوكَ دُنيـــا لمْ تزَلْ بِك بَرّةً ماذا رفَعْت بها مِن الأوْضــاعِ

آثر يوسف بن تاشفين الفقهاء « بلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما، لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من الفتح... وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت لذلك أموالهم واسعة واتسعت مكاسبهم».[3]

ويعرض بهم الشاعر ابن البني[4] ويرميهم بالنفاق والرّياء، والشّره في جميع الثروات والمال ويشبههم بالذئاب قائلا (الكامل): [5]

أهلَ الرِّياءِ لبسِتُم نامُوسَكـــمْ كالذّئبِ أدْلجَ فِي الظَّلامِ العـاتِـم

---

[1] المقري، نفح الطيب، 3: 448.

[2] هو الإمام مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة (ينظر: المراكشي، المعجب، ص 130).

[3] المراكشي، المعجب، ص 130.

[4] **ابن البني**: أبو جعفر بن البني رافع راية القريض. (ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 2: 868)

[5] المراكشي، المعجب: 130.

فمَلكْتُم الدُّنيـا بمَذهَب مَالــكٍ وقسَمْتُم الأمْوالَ بابنِ القاسِـــم[1]
وَركِبتُم شُهْب الدَّوابِ بأشْهبِ[2] وبِأصْبغَ[3] صَبغَت لكُم في العَالمِ

وابن سارة[4] أحدٌ ممن تعرض للفقهاء، يرى الفقهاء ذئابا في صورة البشر وقد شبههم بالذئاب، لاستعمالهم المكر والحيلة للإنقضاض على فرائسها، قائلا: (مجزوء الخفيف): [5]

يا ذِئاباً بدَتْ لنا في ثِيابٍ مُلوّنَـــة
أحَلاَلا رأَيْتُـــم أكْلنا في المُدوّنة[6]

ومثله ابن خفاجة يذمهم ويهجوهم لاستغلالهم مناصبهم مقابل منافع دنيوية من مال وجاه، ومركز اجتماعي وأصبحت كل الطرق مشروعة لهم لجمع المال، حتى أنهم لم يتورّعوا في سلب أموال المساجد والكنائس فيندّد قائلا[7]: (الكامل):

درَسُوا العُلُوم ليَمْلِكُوا بِجِدالِهم فيهَا صُدُورَ مَراتب ومَجالِس
وتَزَهَّدوا حتَّى أصَابُوا فُرْصة فِي أخذِ مالِ مساجد وكنائسِ

---

[1] **أبو القاسم:** هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم تلميذ الإمام مالك (ت 151هـ) (ينظر:الإدريسي، زاد المسافر، ص 72).

[2] أشهب بن عبد العزيز داود القيسي، فقيه كان صاحب الإمام مالك(145 ت 204 هـ) (ينظر: الإدريسي، زاد المسافر، ص 72).

[3] أصبغ :أبو القاسم أصبغ بن محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي، شيخ المالكية وعالمهم بقرطبة توفي سنة 505هـ (ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،312:19).

[4] ابن سارة: ابن سارة الشنتريني :من أهل شنترين تعيش بالوراقة ،وتجول في بلاد الأندلس، كما امتدح الولاة والرؤساء كان أديبا ماهرا وشاعرا مفلقا. (ينظر: ابن دحية المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص78)

[5] المقري، نفح الطيب 3: 408.

[6] **المدونة:** كتاب ألَّفهُ أبو سعيد التنوخي المشهور بابن سحنون في مذهب مالك، تلقى مسائله عن ابن القاسم من تلاميذ الإمام مالك ولقد ألفت لها شروح عديدة ومختصرات (ينظر: المقري نفح الطيب، 2: 881).

[7] ابن خفاجة، الديوان، تح: عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1415-1994، ص 138.

ويتوجه اليكي بهجائه إلى أحد الفقهاء مستهزءا به قائلا (الكامل): [1]

أعِدْ الوُضُوء إذا نَطَقْت بهِ مُتَذَّكراً قبل أن تَنْسَـــــــى
واحْفظ ثِيابكَ إنْ مَرَرْتَ به فالظّلُّ مِنه يُنَجِّسُ الشَّمس

ويتعرض كذلك إلى فقيه اجتمعت فيه كل الخصال الدنيئة حتى أن الهجاء قد طال زوجته فيقول (الطويل): [2]

ثَماني خِصالٍ في الفَقِيه وعِرسِهِ واثنَتاَن والتَّحقيقُ بالمرءِ ألْــيقُ
.... [3]
ويَكذبُ أحْياناً ويَحْلفُ حَانِثـــا ويَكفُر تَقليداً ويَزْنـــي ويَسْـرقُ
وعاشِـــرةٌ والذَّنبُ فيهـــا لأمِّهِ إذا ذُكرَت لمْ يبقَ للشَّتْم مَنطِقُ

وفي ذم طلبة علم الرواية والحديث الذين لم يتفكروا ولم يتدبروا في هذا العلم يقول الفقيه والقاضي منذر بن سعيد مشيرا إلى جهل الرواة بما حملوا من علم للحديث وعدم تفقههم وتدبرهم لما يحملون من علوم[4]: (الرجز)

إنْعَقْ بمَا شِئْتَ تَجِدْ أنْصَارا ورُمْ أسفـــاراً تَجِدْ حِمَـــارا
يَحْمِل ما وضَعت من أسْفارٍ يَحْمِلُهُ كَمِثْـــلِ الحِمـــــار
يَحملُ أسِفارا لهُ ومـــا دَرى إنْ كان ما فيهاَ صواباً وخَطا
إنْ سُئلوا قـالوا كذا رَوَينـــا ما إنْ كذَبْنا لا ولا اعْتَدَيْـــنا
كَبيرهُم يصغُر عندَ الحَفْـل لأنّـــــــــه قلَّد أهْل الجَهل

---

[1] ابن سعيد، المغرب، 2: 267.

[2] الإدريسي، زاد المسافر، ص 80-81 / ينظر: المغرب، 2: 267.

[3] أسقط البيت لبذائة ألفاظه.

[4] ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله في روايته وجمعه، 2: 1032.

المطلب الثالث: هجاءالمتسترين بالدين

وانتشرت بعض العادات المنحرفة كالتستر بالدين في العبادات ، وسخر أبو بكر بن مغاور منهم من المُلتحين المتسترين بالدين منهم يقبلون الرشوة، ويشهدون شهادة الزور إلى جانب أكلهم لأموال اليتامى، فينزلهم منزلة الشياطين قائلا [1]:(البسيط)

أنَّا إلى الله مـــا حلّ بالدِّيـــن مِن الطِّوال اللِّحَى البِيضِ الثَّعانِين
باعُوا رِضا اللهِ وابْتاعُوا مسَاخِطهُ وغيّرُوا الشَّـــرع باللهِ للدّيـــن
أضْحتْ شَهادتُهم بالـزُّور نَاطقةً إنَّ الشُّهودَ لأعْـــوانُ الشَّياطين

المطلب الرابع : هجاء الأئمة

طالت ألسنة الهجاء حتى الأئمة الذي يخطئون بعض الأحيان في قراءتهم، فقد خرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مرسية، وصلوا خلف إمام بمسجد قرية، فأخطأ في قراءته وسها في صلاته، فلما خرج أحدهم كتب على الحائط[2]: (مجزوء الكامل):

يا خَجْلتي لصَلاةِ صَلَّيتها خَلْفَ خَلَفِ

فلما خرج الثاني كتب تحته:

أغْضَى مِنها حيائِي من المُهيمِن طَرفي

ولما خرج الثالث كتب تحته:

فليسَ تُقْبَلُ مِنِّي لَوْ أنَّها ألفُ أَلفِ

[1] الإدريسي، زاد المسافر، ص 38.

[2] المقري، نفح الطيب، 4: 18.

وعلى ضوء ماسبق في هجاء رجال الدين بمختلف وظائفهم ، نلاحظ أن الشعراء الأندلسيين قد جالوا في مجتمعهم، فوقفوا على جوانب لم يستسيغوهها ورفضوا أن يقفوا اتجاهها صامتين، فقرّروا التعبير عنها، ولقد كشفت لنا النماذج السابقة للشعراء عن تفاعلهم مع المجتمع، فرصدوا كل الظواهر السلبية، وعبّروا عن رفضهم لها بذمها وانتقادها.

كما نلاحظ أن الهجاء قد نال من فئات اجتماعية متعدّدة ، أبرزها رجال الدين كالقضاة والفقهاء فقد أخذوا نصيب الأسد من الهجاء الاجتماعي، إذ رفض الشعراء تهاونهم بأمور الدين وتخبطهم في إصدار الأحكام، فشهروا بهم ونعوا عليهم ريائهم وخيانتهم، واختلاس الأموال والكسب السريع، من خلال استغلال منصبهم الديني والروحي لمآربهم الشخصية ، ونستطيع أن نستنبط عن تلك النماذج ، مدى القهر الأمل الذي عانى منه الشاعر عندما رأى إختلال كل القيم الدينية والأخلاقية لديهم.

بيد أنه لا يجب علينا أن نعمم هذا الحكم على كل رجال الدين بمختلف مستوياتهم وأن نصدر حكما عاماً عليهم، وفي ذلك يقول إحسان عباس:« غير أنه وُجد بعض من الفقهاء من ذوي اليقظة والحرص على مصالح الرّعية، ومن دعاة التآلف والتآزر كالفقيه عمر بن الحسن الهوزني الذي وقف جهده للتنبيه والحضّ على الجهاد والفقيه أبي الوليد الباجي الذي أخذ يدعو إلى التآزر بين أمراء الطوائف لما رأى فرقتهم وتنابذهم" [1].

المبحث الثاني: هجاء البشرية عامة وخاصة

هجاء البشرية جمعاء فمرده في معظمه ،إلى نقمة الشاعر على الناس وعلى المحيط الذي يظلمه، أويعود الى سوء حظ الشاعر من المجتمع ،أو إلى ازدراء العنصر البشري أو إلى مايقرب من ذلك. [2]

---

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب العربي عصر الطوائف والمرابطين، ص 31.

[2] إيميل ناصيف، أروع ماقيل في الهجاء، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1413-1992، ص 86)

كثرت شكوى الشعراء من الناس وأخلاقهم وطباعهم، حتى أن فشا الذم من الأهل والأقارب والأصحاب.[1] ووجه شعراء الأندلس هجائهم للناس لتغيّرهم وانسلاخهم من معالم الإنسانية، كما نقم الشعراء من الأصدقاء والأهل والأقارب، وقد نبه الشعراء من خلال هجائهم لظواهر اجتماعية، ليس من باب الهجاء فقط بل من باب العمل على التنبيه إليها وبيان خطرها على المجتمع، فالمجتمع لا يصلح إلا إذا صلح أفراده.

المطلب الأول هجاء البشر عامة:

في المقطوعة الآتية غرض واحد ، فيه لمحة خاصة من الشاعر يحي الغزال إلى جانب من جوانب الحياة ، فهو لايرى من الناس حوله إلا طامحا طامعا ، وضرب مثلا من الثعلب يطلب الدجاج والقط يريد الوثوب على الفأر ،كأن هذه الخصال صارت في كثير من الناس حوله نزلت منزلة الطباع ، وأراد أن يوضح لنا من خلال توظيفه لهذه الحيوانات أن العلاقة بين البشر تقوم على المفترس والضحية، أي أن القوي يأكل الضعيف: (الخفيف) [2]

ما أرَى هاهُنا منَ النّاس إلاّ ثَعلبا يَطْلُبُ الدَّجاجَ وذِيبا
أو شَبيهًا بالقطِّ ألْقى بِعيْنيـ ـهِ إلى فأرةٍ يُريدُ الوُثُوبـاَ

ويشارك ابن بقي[3] الغزال نفس النظرة، في أن الناس مثل الثعالب يستعملون المكر والمراوغة من أجل الوصول لأهدافهم، فيقول[4]: (الطويل)

وما أكْثَر الأقْوامِ إلاّ ثَعَـالِـبُ تَروغُ ولا يُحلَى لَديْها بطائـل
يردّون ذِهْني حَائراً في طِباعَهُم كأنَّهم من مشْكلاتُ المسَائِـل
أُصْغي إلى أقْوالِهُم فتُريبُنـــي صُدور لهُم أقْوَين مِثل المَنازِل

---

[1] محمد سامي الدّهان، الهجاء، ص 87.

[2] يحي الغزال، الديوان 32.

[3] **الأديب أبو بكر يحي بن بقي (...-540هـ/...1145م):** شاعر ووشاح سرقسطي النسب تأدب باشبيليا بوادي أسد تنقل في كثير من بلاد الأندلس إلتماسا للزرق. (الزركلي ، الأعلام ، 152:8).

[4] ابن بسام ، الذخيرة 635:1:/2

وفي بيت واحد وجه ابن عبد ربّه هجائه إلى الناس عامة، وربما مَرَّ بلحظة قنوط من مجتمعه ، فاستوحش من الناس جميعا قائلا [1]: (البسيط)

مُسْتوْحشاً منْ جَمِيع النَّاسِ كُلهُم كأنَّما النَّاس أقْذاءٌ على بَصَري

وللقاضي أبي بكر الزبيدي [2] مقطوعة يذم فيها ناس زمانه، لما رأى من غفلتهم عن الحق وضياع القيم الدينية لديهم، فأصبحوا نحاسا بعدما ذهب الإبريز منهم، فيشبههم بالسامريين قائلا: [3] (مجزوء الرمل)

أشْعِرنّ قلْبكَ ياســا لَيسَ هذا الناسُ ناساَ
ذهبَ الإبريزُ مِنهمُ فبَقوا بَعْد نحاسَـــــا
سامِرِيِّين يَقُولُـــــو نَ جَميعا لا مِسَاسـا

وقال ابن الحجام[4] في هجاء الفاسدة طباعهم من الناس،الذين يلحقون الأذى بغيرهم[5]: (الوافر)

صغارُ النّاس أكْثرهُم فساداً وليسَ لهُم لِصالحةٍ نُهوضُ
ألمْ ترَ في سِباع الطَّيرِ سِرًّا تُسالِمنا ويُؤذِينا البَعُـــوضُ

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، الديوان، ص 30.

[2] **أبوبكر الزبيدي (316-379هـ/928-989م):** محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاندلسي الإشبيلي عالم باللغة والأدب، ولد ونشأبإشبيلية، وولي القضاء بها وتوفي بها (ينظر: سلمان الجبوري، معجم الشعراء 2: 392-393).

[3] المقري: نفح الطيب، 3: 475-476.

[4] هو أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجام، كان في عصر ملوك الطوائف تعلم الحجامة، فأتقنها وتعلق بالآداب حتى صار آية (ينظر: ابن سعيد المغرب 2: 70).

[5] ابن سعيد المغرب 2: 70.

وفي إبيجرامية لاذعة يعبر السميسر شاعر عصر الطوائف عن قلقه وخوفه وإحساسه بالاغتراب في عالم البشر، الذين أنزلهم منزلة الشياطين لخبثهم ولؤمهم ومكرهم وأصبح هو بينهم كالطائر الحذر يتوجس منهم الخيفة والحذر، وكلما رآهم استعاذ برب العالمين منهم، قائلا[1]: (المتقارب)

رأيتُ بنِي آدمَ ليْس في جُموعِهم إلاّ الصّـــــوَر
فلمَّا رأيتُ جَميع الأَنامِ كَذلكَ صِرتُ كَطيْر حَذِر
فمَهْما بدَا منْهُم واحدٌ أقُل، قُلْ أعوذُ بربِّ البَشر

وبعد أن شبه السميسر نفسه بالطائر الحذر، في المقطوعة الآتية يشبه حاله وسط البشر، بحال سيدنا نوح عليه السلام وسط قومه الكفرة الفجرة ، الذين ألحقوا به ألوانا من الذل والهوان، يهديهم إلى سبل الهداية فلم يهتدوا، كذلك هو حال السميسر وسط قومه يشعر بالضياع والهوان والمذلة والانكسار، فينزل قومه مرة أخرى منزلة قوم نوح قائلا (الخفيف): [2]

ضِعْتُ في مَعْشرٍ كما ضَاعَ نوحٌ بينَ قومٍ قَد أصْبحُوا كفارَه
ضرَبُوهُ وما ضَربتُ ولكـــــــنْ جَعلُوني ممَّن يُنــافِرُ دارَه
فتأخَّرْتُ عنْ دِياري لِهوْنِـــــي والهُويْنا لمَنْ يُخَلّي دِيــارَه

لقد عبر السميسر بصدق عن حال الناس في عصر الطوائف، الذي اتسم بالفوضى وعدم الاستقرار وفي ذلك يقول فايز القيسي:« أدت الفتنة التي شهدتها الأندلس في مطلع القرن الخامس الهجري إلى انتقال المجتمع الأندلسي، من عصر اتسم بالإستقرار والأمن وثبات القيم الاجتماعية إلى عصر اتّسم بالاضطراب والفتن وانهيار المبادئ الأخلاقية

[1] السميسر، الديوان، ص 77.

[2] المصدر نفسه ، ص 96.

وانقلاب الأمور وانقلاب الجهلاء وغياب الفضلاء»[1]،ووجه الشعراء نقدهم للرعية منتقدين مفاسدهم ومآثمهم من مظاهر للظلال والمجون والفسق والفجور، ومن غريب ابن رزين[2] قوله[3]:(مجزوء الكامل)

أحسِسْ بمجلسِ مَعشرٍ ما فيهِ إلاَّ الطّنــزَ برُّ[4]
جُلسَاؤُه قومٌ ثِقـــــالٌ كُلُّهـــــمْ خُبثٌ وَشَـــرُّ
ما فِيهم إلاّ دَنّـــــي ءٌ أو غَبّـــيٌّ أو مُضِرُّ
أسدٌ على ثلب الكـرا م وإن وزنتهـــــم فدرٌ
هذا يغوث بل أضـل ل وذا يعوق وذاك كَسْرُ
ذاك المَحلُّ كوادِ عَو فٍ ليس يُلقى فيه حُـرُّ

ورأى أبو العباس أحمد بن قاسم أن يلزم بيته ويوصد بابه، لكي يتقي شر الفاسدين الأراذل [5] (الخفيف):

لَهجَ النّاسُ بالقَبيحِ وهامُـــوا فالْزمْ البَيت وأَغْلقِ الأَبـــوابَ
وإذا ما خَرجْتَ تَطْلبُ رِزقـــاً فأَكثِر الصّمتَ واضْمُم الأثْواب
فكثيرٌ منها تُجالس تلْقـــــى من عيُوب الوَرَى لَدَيه عُـــيابا
وإذا ما سَألْتهُ عن جمِيلٍ فيهم لمْ تجدْ لَديْـــــهِ جوابـــــــاَ
لقَى النّاسُ قبْلنا غرّة الدّهر ولمْ نلقَ منهُ إلاّ الذّنـــــــابَى

---

[1] فايز القيسي، دراسات في الأدب الأندلسي، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط1،1424 2003، ص 38.

[2] **ابن رزين:** هو عبد الملك بن رزين بن هذيل حسام الدولة بن خلف، ولي الحكم عن أبيه سنة 436هـ، توفي سنة 496هـ(ينظر:ابن خاقان قلائد العقيان 1: 157).

[3] ابن خاقان قلائد العقيان1:157 /ابن بسام الذخيرة، 1/3: 116.

[4] الطَّنْز: طنز يطنز طنزا :كلَّمه باستهزاء ،فهو طنَّاز ،وقال الجوهري :أظنه مولَّدا او معرّبا ، والطنز السخرية وتقول الأعراب قوم منطنزة إذا كان لا خير فيهم. ينظر، ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة طنز) 5: 369.)

[5] ابن بسام الذخيرة، 915:2/3، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1: 110.

المطلب الثاني: هجاء البشرية خاصة

1-هجاء الأهل والأصدقاء:

لم يقف الهجاء عند الناس العاديين، بل تعداهم إلى الأقارب والأهل والأصدقاء ويكشف الشعراء في هذا اللون من الهجاء عن جوانب الخلل أو القصور، في علاقة الأهل والأقارب والأصدقاء فيما بينهم، فهجو الأبناء، والزوجات والأصدقاء وأقارب السوء فجعلوا من هؤلاء جميعا مرمى لسهام نقدهم ، ولكن جعل ذلك الهجاء والنقد للتغيير سعيا وراء الإصلاح والتغيير.

1-1-هجاء الزوجات:

نالت الزوجات نصيبهن من الهجاء ، عندما اتصفن بالصفات القبيحة التي ينبذها المجتمع، كالخيانة والغدر والهجر، قال عبد الملك بن جهور[1] في زوجته وكان كارها لأخلاقها وله معها أخبار عجيبة ثم صار إلى مفارقتها، وكان بأخلاقها متبرما فرسمها في أبشع صورة قائلا : [2] (السريع)

من ذا يَفكُّ أسَاريـــــه ويَحُلُّ عُقدَ عُقاليـــه
من ذا يخلِّص مِن هَوى من حينه في الهَاويه
إنّـــــي بُليت بشرِّ من تحتَ السّماء العَاليه
إنّي دُهيتُ بِحيَّـــــةٍ قطَعتْ حِراكَ لسَانيه
لو كنتَ تُبْصرُها سَـــأل تَ الله مِنها العافيـه
ما أبْصَرتْـــــها مُقْلتي ما أبْصرتُها راضِـيه
تَمضي السُّنون وتَنقضِي وحَياتُها مُتمادِيـــــه
ولها أهل مُنتـــــــنٌ عوُر الوُجوه سَواسيه
لولا الحَياءُ بَصقْت في تلكَ الوجُوه البَاليـــه

---

[1] أحمد بن جهور شاعر أديب عاش إبان في الدولة العامرية (ينظر: الحميدي المقتبس، ص 119).

[2] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1401،1981، ص 140-141.

يـــا يومَ مَعرفَتي بهمْ يا زَنيُّ ابن الزّانـــيه
أنْهيتَني وغرّرْتنـــــي وقَعَدْتْ عنـــي نَاحيه
ما كانَ هذا منْك مني الودِّ القديم جَزائِيـــه

وفي مقطوعة أخرى يكشف ابن سارة عن عيوب أخلاق زوجته فهي قليلة الوفاء والإخلاص، متذمرة كثيرة الطلبات قائلا (الكامل): [1]

أمَّا الزَّمانُ فرَّقَّ لِي من طلّة كمَا تطلُّ دَمي بِسَيف نِفَاقِها
الذِّئْبة الطّلساءُ عنْد نِفاقِهـا والحَيُّة الرَّقْشاءُ عِند عِناقِهَـا

- **1-2- هجاء الأبناء:**

جاء في نفح الطيب أن الوزير أبا بكر بن الملح كان له ابن... فاسترسل مع الأدب إلى أن خرج من القول إلى الفعل وأتى بأشياء لا تليق بمثله[2] فتهتك في الخلاعة وتزوج بامرأة لا تليق بحاله وصار يضرب معها بالدفّ فكتب إليه أبوه (البسيط). [3]

يا سخْنةَ العيْن يا بُنيَّـــا لينَكَ لمْ تكـن بُنيَّـــا
أبْكَيْتَ عيْني أطَلتَ حُزْني أمَتَّ ذِكْري وكـــان حيًّا
حَطَطْتَ قدْري وكان أعْلى فـــي كلّ حالٍ من الثُّريَّا
أما كفَاكَ الزّنا ارْتكابـــا وشُرب مَشْمُولة الحميَّـا
حتَّى ضَربْت الدُّفوفَ جَهراً وقُلت للشرِّ جيئ إليَّـــا
فاليومَ أبْكيكَ ملء عيْنـــي إنْ كان يُغني البُكاء شيًّا

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 2/2: 844.

[2] المقري، نفح الطيب، 4: 139.

[3] المصدر نفسه، 4: 71.

وهجا أبو بكر المخزومي ابنه لما رأى أنه لا تبدو عليه أمارات النجابة، فجسمه مع مرور الزمن يزداد امتلاء، أما عقله فيزداد نقصا نُصح فلم ينتصح، وعنف ولم يزدجر فهو ضعيف الهمة، لا يطمح إلاّ إلى الأكل والسلح: [1] (الكامل)

الْحق أَبْلَــج لَيْسَ أَنْت وَحقّ من أَحْيَا بك الأجْلاف مِمَّن يُفلِحُ
لَا تَهتَدي بفضيلةٍ لَا تَرْعـــوى بمَلامَةٍ لَا أَنْت مِمَّن يَصْلُح
يزْدَادُ عَقلكَ مَا كَبُرتَ تَناقُصـــا وتَلجُ فِي صَمم إِذا مَا تُنْصحُ
أكلٌ وسلحٌ كلّ حِين لَا تـــــرى لِسواهُما مَا دُمْت حَيّا تَطمَحُ
أسْخنْت عيْن الْمَجْد يَا ابْن عَميرَة وَلَـــقَد تَقَرُّ عُيونه لَو تُذبَحُ

وهجا الأديب أحمد الداني[2] أخاه الوزير في مملكة دانية بغرائب تجاوز فيها ملح العتاب إلى قذع السّباب منها قوله(مجزوء الرمل): [3]

جارَ ذا الدَّهْرُ علينْا وكذا الدَّهرُ يَجُورُ
كانَ شُرطِيّا أبُـــونا وأخي اليَوم وزيــر
أنا مأبُونٌ صغيـــــر وهو مَأبُون كَبيــر

-1-3- هجاء الأقارب:

هجاء الأهل والأقارب يعبّر عن فوضى اجتماعية اتّسمت بتفكك العلاقات وانهيار الصلات والوشائج بين الناس حتى غدى الغدر والكذب والنفاق والخيانة والحسد من شيم الزمان وأهله. [4]

---

[1] ابن سعيد، المغرب، 1: 229.

[2] هو أبو جعفر أحمد بن الداني من أدباء عصر الطوائف المعدودين وله إحسان كثير، منظوم ومنثور بين قلب ذكي ولسان غير بكي، شهد له بفضل براعة، وتقدم في هذه الصناعة (ينظر: ابن بسام، الذخيرة، 2/3: 757/ابن سعيد المغرب 2: 404).

[3] ابن بسـام، الذخيرة، 2/3: 758.

[4] فايز القيسي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 38-39.

وقال أبو الوليد (الكامل): [1]

وإذا الزّمانُ رمَى إليكَ مُسالمًا وآمنتهُ فاحْذر من الإخْـــــوان

وسَجيّتي ما قد عَلمْتُ وربّمـا صَدَعَ الحُسامُ منَ النّجيعِ القَاني

أنشد ابن جابر الواد آشي عن شيخه المحدث أبي محمد بن هارون القرطبي لجدّته سعدونة (المجتث): [2]

آخِ الرّجال الأبــا عِدّ والأقاربَ لا تُساعِدُ

إنّ الأقَاربَ كالعَقا رِبْ أو أشدُّ من العَقاربْ

وقال السميسر في قرابة السوء (مخلع البسيط) : [3]

أقاربُ السُّوءِ داءُ سُوء فاحْمِل أذاهُم تَعِش حَميـدا

فمن تَكُن قُرحةٌ بِفيــهِ يَصْبر علَى مَصّهِ الصَّديدا

وقال أبو محمد بن هود الجذامي[4] في ذم أهله "آل هود" بعد أن تخلوا عنه، وقطعوا أواصل الدم والقرابة، فشبه أهله باليد وشبه نفسه بالأصبع الذي قاموا باستئصاله عندما تخلوا عنه وقطعوا أواصل القرابة والدم قال هاجيا (الطويل): [5]

ظَلَلْتُم جَميعًا آلَ هودٍ عنِ الهُدى وضَيَّعتُم الرَّأي المُوفَّق أجْمَعا

وشِنْتُم يَمين المُلك بي فَقطَعتُم بِأيديكُم منها وبالغدْر أُصْبُـعا

---

[1] ابن بسام، الذخيـرة: 2/3: 613.

[2] المقري، نفح الطـيب، 4: 167.

[3] السميسر، الديوان، ص 19.

[4] محمد بن هود الجذامي ذو الوزارتين، هو أحد نجباء الأدباء من أهل بيته وملوك سرقسطة اختص بالمتوكل عمر بن محمد بن الأفطس، فولاه مدينة الأشبونة من أعماله، ثم صرفه عنها، وصدر محمود السيرة معروف النزاهة (ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، 2:165.)

[5] ابن الأبار، الحلة السيراء ، تح حسين مؤنس، ج 2، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط2، 1963،1985 ص 165.

2- هجاء الأصدقاء:

عندما تفتقد الصداقة المصداقية والوفاء، الذين يعتبرا عماد وجودها، فإن قيمة الصداقة تتضائل ويختفي بريقها ويحل محلها النفاق ، الذي يعتبر من الآفات التي تتهدد كافة القيم الأخلاقية، لذلك شن الهجاء حملة قاسية على المنافقين من الأصدقاء.

قال ابن حمديس في حقيقة من يعده من خيرة الأصدقاء لكنه يضمر العداوة والحقد[1]: (الطويل)

بأيّ وفِيّ في زَمانِكَ تَخْتَـصُّ فيَغلُوا غُلوّا في يديك لهُ رَخَـصُ
وكمْ من عدُوٍّ كامِنٍ في مُصادقٍ ومَوضع آمن فيـهِ يَحتَـرسُ اللّصُّ
وكم فرسٍ في الحُسنِ أكْملَ خُلقه فلمّا عدَا في الشّأوِ أدْركهُ النُّقـصُ
كذاكَ خليلُ المرءِ يدعُو اختِبـارَه إلى ما يكونُ الزُّهد فيهِ أو الحِرْصُ

قال عمر بن الشهيد التجيبي[2] في ذم الصداقة المزيفة، محذرا من الإغترار بطلاوة القول، وما فيه من غش وخداع وقد شبهها بالنوار الذي لا فائدة فيه، ولو ترجمت الألسنة حقيقة ما في قلوب بعض الناس لفضحت ماخفي من أمرهم ، فكلامهم قائم على زائف القول (البسيط): [3]

في صُحبةِ النّاس في ذا الدّهر مُعتبر لا عينٌ تُونق منهـــــــا لا ولا أثرُ
ليْسَت تَشيخُ ولا يُؤدّى بها هَـــــرمٌ لكنّها في شَبـــــابِ السّن تُحتَضرُ
إذا حَبتْ بينَهم أطفـــــالٌ ودّهُـم لمْ يترك البَغْـــــي حابيهُن يغتـــرّ
كأنّها شَررٌ سامٌّ علـــــــى لَهـبٍ يَعدُو الحمُود عليهـــــا حين ينْتشِر

---

[1] ابن حمديس ، الديوان ، ص 289.

[2] **عمر الشهيد التجيبي**: (429-484هـ/1038-1091 م): محمد بن معن بن صمادح أبو يحي التجيبي الأندلسي وتلقب بالمعتصم الواثق بفضل الله كان كريما حليما عالماً بالأدب والأخبار شاعر مقربا للأدباء. (ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء، 5: 270).

[3] الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص 302. /المقري، نفح الطيب، 1: 302.

كأنّ ميثاقُهمْ ميثاق غانِيَـــــــةٍ تُعطيكَ منه الرِّضى ما يَسْلب الضّجر
فلا يَغُرنَّك مـــــن قولٍ طَلاوَتُه فإنّما هي نـــــوّارٌ ولا ثَمَـــــــرُ
لو يُنفقُ النّاسُ ممَّـــا في قُلوبِهُم في سُوق دعْواهم للصّدق مـا تَجَروا
لكنّهن نُقــود القَولِ جَارِيـــــــةٌ على مَقاديرِ مـــا يقْضى به الوَطَرُ
يُغْضى المُحنّك أو يُغضَى لحِنْكتِه وبيْن ذاك وهـــذا ينفذُ الـــــعُمْرُ
تَسابقَ النّـــــاس إعجاباً بأنْفُسهم إلـــــى مَدى دُونهُ الغاياتُ تَنْحسِرُ
فللتَّسَامي ضَبابٌ في صُدورِهُـمُ وللتَّكبُّر فـــــي آذانِهـــــم نَعَرُ

وذم المعتصم بالله يحي بن محمد بن معن التجيبي صديقا ، كشفت له الأيام أنه ليس أهلا للصداقة ، بل هو سبب لكل المصائب التي تحل عليه، فزهد في صداقته وعبر قائلا (الطويل): [1].

وزَهَّدني في النّـــــاس مَعْرفَتِي بهم وطُولُ اخْتِباري صاحباً بعدَ صَاحبْ
فلمْ تُرِني الأيَّام خِلًّا تُسَرُّ في مَبَادِيه إلاّ سَاءنِي فـــــــي العَواقِـــب
ولا كنت أرْجُوه لكَشْف مُهمَّـــــــة من الدّهر إلاّ كان إحْدَى المَصائِـب

قال الكاتب أبو جعفر بن سعدة[2] وهو معتقل أبيات إلى صديق كان يَمُتُّ إليه بذمام وكان به كثير من الإلمام، قصَّر به في أمر كلَّفه وأغبَّهُ وأخلفه (الكامل): [3]

ماذا التّصامُم يا أبـــــا العبّاس قلْ هلْ في قَضاءِ لُبانتي مـن بَأس؟
أمْ عاقَ عندك عائِق عنْها فَجِيء بالغَدْر فيهـــا وانْصرف لليـــــأسِ
وارْغبُ بنفسك عن مَحلّ مُقصّر إنّ المُقَصِّر سـاقطٌ فـــي النَّـــاسِ
ضَيَّعْتَ مَأْرُبةَ الصَّديق تَناسِيـــاً ما الحُرُّ بالنّاسِـــي ولا المُتناَسِـي

---

[1] ابن خاقان، قلائد العقيان، 1: 152.

[2] جعفر بن مسعدة: هو أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن مسعدة العامري غرناطي كان من جلة الفقهاء، ونبهاء النبلاء، بارع في الأدب، وله رواية في الحديث، وله منظوم ومنشور. (ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، 1: 571).

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، 2/2: 579.

مَحَتْ مَعالمٌ من وفَـــائِك فَغَدتْ مَـعدُودَة فـــي الأَربَـــــع الأدْراسِ
وحَكيْت في الطّبع الزّمانِ تقلّبــا وتَنَكُّرَا فلَبئْس بُرْدِ الكاسِـــــــــــي

وقال الشاعر أبو تمام غالب الملقب بالحجام (السريع): [1]

لِي صَاحبٌ لا كَان مِن صَاحبٍ فإنَّه في كَبدِي جَرْحَـــه
يحكى إذا أبْصرَ لِـي زَلَّـــــــة ذُبابةٌ تَضْرب في قَرحَه

وقال عبد الله هارون الأصبحي[2] يكشف عن حقيقة وزيف من يآخي ، إذ كان يَعِدُّه ويحسبه كالشهد في حلاوته، إلّا أنه فجع في سريرته ، التي تحمل في طياتها أمرّ وأفضع الأخلاق، فللملح والسكر نفس اللون ، ولكننا نعرف الفرق بينهما بعد التجربة ، وكذلك هو حال البشر: [3] (الكامل)

كمْ منْ أخٍ قدْ كُنتُ أحْسِبُ شَهْدة حتّى بُلِوْتُ المُرَّ منْ أخْلاقِه
كالمِلْحِ يُحْسَبُ سُكَّرا في لَوْنِـه ومِجَسّه ويَحُول عندَ مَذاقِـهِ

[1] ابن بسام، الذخيرة، 2/3: 839.– ابن سعيد المغرب 41:2

[2]عبد الله هارون الاصبحي من اهل لاردة من الثغور فقيه اديب شاعر زاهد متصاون من أهل العلم (ينظر: الضبي بغية الملتمس،2: 456.)

[3]الضبي، بغية الملتمس، 2: 456/ الحميدي، جذوة المقتبس، ص 266/ المقري، النفح 5: 403/ الأصفهاني الخريدة 2: 145.

المبحث الثالث :هجاء بعض المظاهر اللاأخلاقية

إشتهر العرب منذ العصر الجاهلي بمراعاتهم للأخلاق الحميدة فمدحوها وذموا كل خلق سيء ، وجاء الإسلام عزّز ودعا إلى التمسك بمكارم الأخلاق ، لذلك نفر المسلمون من سيء الأخلاق ورديئها ، ومن المظاهر الاجتماعية التي يأباها الذوق وينفر منها المجتمع ، الانحلال الخلقي والتنكر، والنفاق والحسد والرياء والكذب والجبن والبخل ولقد انبرى شعراء الأندلس كغيرهم من شعراء العرب عبر مَرّ العصور يصورون هذه المظاهر في المجتمع.

المطلب الأول :هجاء البخلاء

هجا الشعراء كلَّ بخيل، ورسموا له صورا عديدة [1] وقد مرَّ بنا أن أهل الأندلس قد عرفوا بالاحتياط خوفا من ذلّ السؤال، وأنّهم عرفوا كذلك بمقتهم الشديد للتسول[2] وقام شعراء الأندلس برصد ظاهرة البخل ، وانبروا لها بالذم.

قام ابن عبد ربه بهجاء البخلاء وعاب عليهم هذه الخلة السيئة ، التي نهى عنها الله عز وجل ، وكان في تصويره لأوضاع البخلاء موفقا (السريع): [3]

منْ وَجْهِه نَحْسٌ ومِن قُرْبه رِجْسٌ ومنْ عِرفانِه شُـــــــؤمٌ
لا تَهْتَضِم إن بِتَّ ضَيفـــاً لـهُ فخُبزُه في الجَوف هَاضومُ
تُكلّمهُ الألْحـــــاظُ من رقـــة فهو بلحْظِ العَين مَكلُـــومٌ

وقال أيضا (السريع): [4]

لا يُفطِرُ الصَّائِم من أكْلِهِ لكنَّهُ صَومٌ لمنْ أفْطـــراَ

---

[1] محمد سامي الدهان، الهجاء، ص 48.

[2] ينظر: المقري، نفح الطيب، 1: 223.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، الديوان، ص 159-160.

[4] المصدر نفسه، ص 86.

في وجْهِهِ من لُؤْمه شَاهِد يكْفِي بهِ الشَّاهد أنْ يُخْبَرَا
لم تعْرف المَعروفُ أفْعالهُ قطْ كما لمْ يُنْكرِ المُنْكَــرا

يرى ابن عبد ربه أن البخلاء قساة كالحجارة أمام العطاء والكرم، لا يأتي منهم الخير أبدا بل هم أشد قسوة من الحجارة لأن من الحجارة ما يتفجر منه الماء كما ورد في القرآن الكريم، قال في هجائهم :[1](الطويل)

أبا صَالحٍ أين الكِرامُ بِـــــأسْرهِّم أفِدْني كَريما فالكَريـــمُ رضـــاءُ
أحقًّا يقُول النّاسُ في جُود حَاتــم[2] وابن سِنانَ[3] كان فيهِ سَخـــاءُ
عَذيري من خَلفٍ تخَلّـــفَ مِنهُم غبَاء ولُؤمٌ فاضحٌ وجفـــــــاءُ
حِجارة بُخل ماتَجُــود وربَّـــــما تَفجَّر من صمّ الحِجارة مَـــاءُ
ولَو أنَّ مُوسى يَضْربْ بالعَصـــا لما انْبَجَسَتْ من ضَربه البُخلاءُ
بقاءُ لِئام النَّاس مَـــوتٌ عليهُـم كما أنَّ موْت الأَكْرمِين بقَـــاء
عزيزٌ عليهُم أن تَجــودَ أكُفُّهُـــم عليهمْ من الله العَزيز عَفـــــاءُ

وفي صورة أخرى للبخلاء قدمها ابن عبد ربه في قالب ساخر يزري بهم يؤكد فيها على إصرارهم وتشبثهم بالبخل، الذي تمكن منهم ، وغدى صفة ملازمة لهم حتى غدو أسوء خلف لخير سلف ،وضرب لنا مثلا للخلف كحاتم الطائي وهرم بن سنان اللذين يعدهم العرب رمزا للعطاء والجود،إلا أن الجود والعطاء عند البخلاء ضرب

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، الديوان ، ص15-16.

[2] **حاتم الطائي (....-46هـ/....578م):** حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني فارس وشاعر جاهلي ،يضرب به المثل في الجود (ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء ،2: 3-4)

[3] **هرم بن سنان بن أبي حارثة المرّي:** كان من أشهر أجواد زمانه في الجاهليَّة، سعى مع الحارث بن عوف للصلح بين عبس وذبيان، فأعلنا أنهما يتحملان ديات القتلى حتى تضع الحرب أوزارها بين القبيلتين المتناحريتن (ينظر: الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 86:1/ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ص 307).

من المستحيل، ولو أن موسى عليه السلام ضرب بعصاه عليهم، لما انفجر منهم الكرم والعطاء، الذي انفجر من الحجارة.

وفي مقطوعة أخرى يهجو ابن عبد ربه ذلك البخيل الذي يمنع نائله فهو لا يهتز للمدح ولا للذم، فيقول: (الخفيف): [1]

جعلَ الله رِزقَ كـــــلّ عدوّ لي بكفّ بعضِ منْ لا أُسَمِّي
كَفٌ من لا يُهُزُّ عطفيه يوما لمديح ولا يبالـــي بـــــذمّ
يتلقَّى الرَّجاءَ مِنه بِوجـــــه راشِح الخدِّ والجَبيـــــن بِسُمِّ

وفي مشهد يزري يحي الغزال ببخيل إسمه خالد ، قام الأخير بمدحه وأمل في أن ينال منه الأماني ، لكنه لم يحظ إلاَّ بدرهم، استخرجه البخيل بشق النفس، يعتريه ألم شديد ودموع غزار حاله كالإنسان الذي يقتلع ضرسا ، يقول[2]: (الطويل)

قَصدْتُ بمدحي جاهِداً نَحو خالدٍ أُؤمّلُ من جَدواه فوْق مُنـائِي
فلم يُعطِني من مَالهِ غيْـر دِرهمٍ تَكلِّفهُ بعد انْقطاعِ رَجائـــي
كمَا اقْتلعَ الحجّامُ ضِرسًا صَحِيحة إذا اسْتُخْرجَت مِن شِدةٍ ببكاءِ

وقال هارون الرّمادي[3]: (المتقارب)

فليسَ كمَن إنْ تَسَلْهُم عَطاءً يُمُدُّوا أكفّهم للعطاءِ
إذا جئْتَهُم بالمَدِيح انْـــزَوُوا كأنّك تَأتيهمُ بالهِجاءِ

---

[1] ابن عبد ربه، الديوان ، ص 163.

[2] يحي الغزال، الديوان، ص 27.

[3] الكتاني" أبو عبد الله محمد بن الطبيب" التشبيهات، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 254.

وقال مؤمن بن سعيد[1] (الطويل): [2]

ألا رُبَّ مَن أنْشَدْتُه فيه مِدْحَتي وأَطْرقَ حتى قُلت قدْ ماتَ أو بَدَا
تَناومَ عن مَدْحي كأني سَقيتُـهُ بِمدحي إذا أنْشَدْتُـهُ المَدح مُرَقّـدَا

وقال ابن شهيد في ذمّ الناس الذين جعلوا أنفسهم عبيدا للمال: (الطويل): [3]

رَأيتُ عَبيدَ المَال دَانوا بِمنْعـهِ كمَا دانَ بالإفْضال كلُّ فتًى حُرَّ
ففيمَ ولستُ العبدَ أمنَعُ ما حَوَتْ يَميني كما حاولتُ خوفا من الفقر

وقال السميسر يهجُو أبا الحسن علي العامري (الكامل): [4]

جادَ عنْ بُخلٍ عليّ تلك في العالمِ نُدْرهْ
فَهي كالنّارِ اعْتَرتْها عَصرَ إبراهيـم قِرّهْ
جادَ نَزْراً فَقَبِلـــــنا دِرهم السَّـاقِط بدرهْ
عَجِب النَّاسُ وقَالُوا كيْف نِيلَتْ مِنهُ ذرهْ
هلْ رأيْتُم بعْد مُوسى أحداً فجَّر صَخـْرهْ

وقال ابن خفاجة في ذمّ بخيل لئيم(الكامل): [5]

ما إنْ دَرَى ذاكَ اللَّئيمُ وقد شَكا مِن نَيْلِ مُمْتدح ورُمْح جوادِ
هلْ يشْكي وَجعًا مِن ســـــرَّة بالسّين أمُ صُرَّةٍ بالصّـــادِ

---

[1] **مؤمن بن سعيد (...-267هـ /...-881 م)**: فحل من فحول شعراء قرطبة في عصره كان يهاجي ثمانية عشر شاعرا فيعلوهم، رحل إلى المشرق فلقي ابن تمام، وروي عنه، مات في سجن قرطبة (ينظر: سلمان كامل الجبوري معجم الشعراء، 497:5).

[2] الكتاني، التشبيهات ص 254.

[3] المصدر نفسه، ص 254.

[4] السميسر، الديوان، ص 67.

[5] ابن خفاجة، الديـوان، ص 86.

المطلب الثاني: هجاء الخوان والأكلة والمتطفلين

تستحق هذه الفئة من المجتمع أن يصبّ عليها الشعراء هجائهم لأنهم كالطفيليات يُقحمون أنفسهم دون سابق دعوة واستئذان في هجوم مباغت على موائد الطعام قال محمّد بن فرج، يسخر منهم ومن لؤمهم:[1] (الكامل)

نحرَ الضّفادِع فِي الضّيع ولم يَدَعْ للنّملِ دارِجةً وللقمْـــــــــل
وَضعَ الطّعامَ ولوْ عليهِ ذُبابـــــةٌ نزَلتْ لتُكْمل شَبعةً لــم تُكْمَل
وكأنّما خُرطتْ صِحافُ طَعامِـــه من دقّة وجِفانُـــه من خَردل
وكأنّ صَفحتهُ على أضْيافـــــــهِ في البُعد والإيطاءِ فترة مُرسلِ

وقال ابن وهيب[2]: (المتقارب)

ومَائدةٍ جِسْمُهـــــا لطفُه يَدلُّ على صَفقَة خَاسِرة
فتلكَ لنا قَد عُدَّت نُقْطــةً ونَحنُ عليهَا نُرَى دَائرة

وقال ابن أبي عيسى القاضي في أكول[3]: (المتقارب)

يَحِنُّ إلى طَيِّباتِ الطَّعامِ حَنينَ الرَّضيعِ إلَى الوَالدة
وأرْكانُ لقْمَتِه سِتَّـــــــةٌ كأنَّ لهُ أُصْبُعـــــاً زَائِدة

وقال عبد الله بن فرج في طفيلي[4]: (الكامل)

أَفْديكَ مْن متوجِّد غَضْبـــان حتّى يَلوحُ لهُ ضَبابُ دُخّان
يقْتادُه شَمُّ القَتارِ بأَنْفِـــــــه مِثل اقتيادِ النّجم للحَيــران
وعَلا الدّخان بشَنتَ بُوله مُرْبِيا يُنْسِيه أيْن مَطابُخ الإخْوان
فَترَى الأمامين حَول رِكابـــه كالخَيلِ صائمة ليومِ رِهَان

---

[1] الكتاني، التشبيهات، ص 254.
[2] المصدر نفســه ، ص 255.
[3] المصدر السابق ، ص 255.
[4] المصدر نفســه ، ص 256.

المطلب الثالث:هجاء المنافقين

ذكر الله عزّ وجل المنافقين في كتابه العزيز وفضحهم في قوله: " **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**"[1] فالمنافق كاذب يبدي عكس ما يضمر من حقد وكره وتمنيه لزوال النعم، ولقد صوّب الشعراء الأندلسيون هجائهم على المنافقين الذين يظهرون التودّد والمحبة، إلاّ أن في باطنهم ناراً محرقة، وحقدا يشبه السُّم الزعاف قال ابن أبي الخصال يكشف تصرفات بعض المنافقين[2]: (الكامل)

ومُنافقٌ يُبدي انْفعَال مُنافقٍ مُتبسّمًا وضَمِيرهُ مُتجهِّـــــمُ
حَاكاكَ مُتكتِّماً بما فِي نفسهِ وبطينُ ذهنكَ مُخرِج ما يَكتمُ
وتُريدُ عَدلاً من سجِّيةِ جَائِرٍ ومتى أفادَ الشَّهْدَ يوماً أرْقــمُ

وهجا ذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج اللورقي[3] أحد إخوانه فنعا عنه إضماره للسوء وخداعه وزيف سريرته قائلا (الوافر): [4]

أخٌ لِي كُنْتُ آمَنُهُ غُروراً يُسَرُّ بما أُساءُ بِه سُروراَ
هُو السُّمُّ الزُّعافُ لشَارِبِيه وإنْ أبْدى الرَّأْيَ المَشُوراَ

---

[1] سورة المنافقين، الآية: 01.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 2/3: 797.

[3] جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافري المعروف بابن الحاج ذو الوزارتين من أهل لورقة يعد في رؤساء الأدب كان شاعرا وناثرا، كان حيا سنة 494هـ، (ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، 2، 101).

[4] المقري، نفح الطيب، 5: 403/ العماد الأصفهاني، الخريدة، 2: 145.

وقال عبد الجليل بن وهبون يذم خلة النفاق والكذب، ويدعو الى التحلي بالصدق والإستقامة، ذلك لما رآه من نفاق استشرى بين الناس، فشبههم باليعاسيب، يبدون الحقد والضغينة فقال:[1]

وقدْ أرَى في النَّاس صُورًا مَاثِلة أشْملهَـــــا بين تَحْقـيق وتكْذيــبِ
لمَّا مَـــــلأت يَدي لأُخْبِــرهُم نَفضْت كفِّي بِأشْبَـــــاه اليَعـاسِيــب
بِيضٌ وُجوُههُم سُود ضَمائِرُهمْ فمَا حصَلتُ على عَربٍ ولا نُـــــوبٍ
الصِّدْق أوْلى لمنْ يُبْدي ضَغِينَتَهُ لا تَجْعَل الصّدقَ في نَعْتِ الأَصَاحيبِ

المطلب الرابع هجاء المرائين :

يعالج الشاعر في هذه الأبيات مسألة الرياء من خلال شخصية رجلٍ مُراءٍ، يخدع الناس بتظاهره بالورع والتقوى، وتظهر سخرية الغزال وقدرته على تناول الأمور الإجتماعية يريدُ أنه خلب الناس باصطناع أحوال أهل الصلاح والخير والسكون والوقار وبأحوال ذي الصلاح والورع ، على أنه في حقيقته مخادع من أهل الرياء، فيهجوه قائلا **(مجزوء الرمل):** [2]

وَمُراءٍ أخذَ النّـــــا سَ بسَمْتِ[3] وقُطُـوب[4]
وخُشوعٍ يُشبهُ السُّـقـ مَ وضَعْف في الدَّبِيب[5]

---

[1] ابن بسام ، الذخيرة ،1/2: 495،496.

[2] يحي الغزال، الديوان: 35.

[3] **السَّمت:** حسن النحو في مذهب الدين، والفعل سمت يسمت، أي حسن القصد والمذهب في دينه ودنياه (ينظر: ابن منظور، لسان العرب ،مادة (سمت) 2: 46.)

[4] **قطب:** قطب الشيء يقطبه قطبا، جمعه، والقطوب تَزوِّي مابين العينين عند العبوس أي قطب وعبس وكلح، (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطب) 1: 680.)

[5] **الدبيب:** دبَّ النمل وغيره من الحيوان على الأرض، يدبُّ دبيبا: مشى على هينته، ودب الشيخ إذا مشى مشيا رويدا (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دبب) 1: 369.)

قلتُ: هلْ تَألمُ شيئاً؟ قال: أثْـــقالَ الذُّنـوبْ
قُلتُ لا تُعْنَ بشَـــيْء أنتَ فـــي قَالبِ ذِيـبْ
إنّما تَبِني عَلى الوَثْب بهِ فـــي حِين الوُثوب
ليسَ من يخْفى عَليه مِنك هـــذا بِلبيـــبْ

المطلب الخامس: هجاء الحُسَّاد

ذم ديننا الحنيف الحسد ونهى عنه ، وأنزل الله عز وجل في كتابه العزيز الحكيم سورة الفلق تُحصن المؤمن من شر الحسود، الذي يتمنى دائما زوال النعم على الآخرين ومن الشعراء الذين تناولوا هذه الظاهرة الخطيرة السميسر، الذي اتخذ من الحسود مرمى لسهام هجائه اللاذع، حيث صرح بأنه لايعبأ به بل هو متغافل عنه، وقد تركه يشقى بنار الحسد التي سرعان ماتتحول إلى داء خطير يحرق ويتلف كبد الحسود فيقول[1]: (مجزوء الخفيف):

حاسِدي لِـــي مُعذَّبٌ يَتقلَّى من الحَسَـــدِ
وأنَـــا عَنْه غَافِـــلٌ لا وَجَدْتُ الذي يجدِ
دعْه يَشْقــى بِدائِـــهِ دَاؤُه عِلَّـــــةُ الكَبدِ
طَارَ ذِكْري ولـمْ يَطِرْ ذِكرُهُ، فَهـــو يَتَّقد

ورسم أحد الشعراء المهجو في صورة مزرية نظرا للحال التي يؤول إليها الحسود فمن صفاته أنه يخفي أنينه، وهو دائم الكآبة والحزن[2]: (الطويل):

حَسودٌ كَئيبُ القَلبِ يُخْفي أنِينهُ ويُضْحي كَئِيبَ البَال عِندِي حَزينه
يلُومُ عَلى أنْ ظَلتُ للعِلْم طَالباً أَجْمعُ منْ عنْد الرُّواة فُنُونَـــــه

---

[1] السميسر، الديوان، ص 83.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 1/3: 390.

وأكْتُبُ أبْكارَ الكَلامِ وعُونَـــهُ وأحْفظُ ممّا أسْتفيدُ عُيُونـــــــــه
فيا حَاسِدي دَعْنِي أُغالُ بِقيمَتي فقِيمةُ كل النَّاس مَـــــا يُحسُّونَه

ورسم لنا ابن الحجّام صورة رائعة في ذم الحسود وشبه الحسد بالصدأ الذي يصيب المرآة فيشوه جمال أي صورة تنعكس عليها[1]: (الكامل):

نظَر الحسُودُ فازْدَرى لي هَيئَة والفَضْلُ فيّ لا يَزالُ مُبيّناً

المطلب السادس: هجاء المشغولين بعيوب الآخرين

ذم يحي الغزال ظاهرة إجتماعية سيئة، وهي ظاهرة إنشغال بعض الناس بعيوب الآخرين، وتغافلهم عن عيوبهم وسقطاتهم، ولقد شبه الشاعر ألسنتهم بالأفاعي لما لها من أثر في نفث سمومها على الآخرين فقال[2]: (الكامل)

الـــنَّاسُ خَلْقٌ وَاحدٌ مُتَشَابـه لكنَّهـــا تَتَخالَفُ الأَعْمـــال
ويُقال حقٌّ في الرَّجُل وبَاطـلٌ أيُّ إمْرِئ إلاَّ وفيه يُقَـــــالُ
لسْنَا نَرى مَن ليسَ فِـي غَمِيزِه أيُّ الرِّجالِ القَائِل الفَعَّـــالُ؟
ولِكلِّ إنسانٍ بِمـــا فـي نَفْسه منْ عَيْبه عنْ غيْر أَشْغـــالُ
يَسْتثْقل اللَّمم الخَفيفَ لغَيـــرِهِ وعليهِ من أمْثـــالِ ذاكَ حِبالُ
وينامُ عن دُنيـاهُ نَوْمةَ قَانِـــع بِنعيم دُنيـــاهُ وذاكَ خَيَـــالُ
ورأيتُ ألْسنَة الرّجال أفَاعِـــيا طَوْراً تَثُورُ وتَارة تَفْتـــــــالُ
فإذا سَلِمْت مِن المَقالة غيْر ما تَجْني فأنتَ الأَسْعدُ المِفْضالُ

[1] المقري، نفح الطيب، 3: 418.

[2] يحي الغزال، الديوان، ص 123.

المطلب السابع:ذم الكذب والتكبر

وقال ابن عبد ربه في المماطلة وإخلاف الوعد فقد كتب الى رجل بعدة في صحيفة ومطله ،فتعجب من الناس المماطلين والمخلفين بوعدهم قائلا[1]: (البسيط)

صَحِيفةٌ كُتبَتْ ليْت بِهـــا وعَسى عُنوانُها رَاحـة الرَّاجِـي إذا يَئِـــسا
وعْدٌ لهُ هاجِسٌ في القَلبِ قَد بَرمَت أحْشاءُ صَدْري بهِ من طُول ماهَجَسا
يَراعةٌ غَرَّني مِنهـــا وَمِيضُ سَنَى حتّى مَدَدْت إليها الكَفَّ مُقتَبســـــا
فصَادَفتُ حَجرًا لـوْ كُنتَ تَضْربُـه مِن لُؤْمهِ بعَصا مُوسى لمَا انْبجَســا
كـأنَّما صِيغَ من بُخْلٍ ومن كَذبٍ فكانَ ذاكَ لهُ روحـــا وذا نفَســـا
كلبٌ يَهِـرُّ إذا مَاجاء زائِـــــرُه حتّى إذا ماجَـاء مَهـدِي تُحفـةً نَبَسـا

ذم الإلبيري في هذه المقطوعة الإنسان الكاذب المخلف للوعد، ورأى أن هذا الجرم يتنافى مع الأخلاق الفاضلة، وقد شبه إخلافه بالوعد بالسحاب، الذي يظهر أنه سحاب يحمل المطر الغزير، إلا أنه سرعان ماينقشع ، فيخيب الأمل من نزول المطر فعبر قائلا[2]: (البسيط)

أيَا قوْس خرّاطٍ يُشيرُ ولا يَرمـــــي وياسَيْف رِعْدِيدٍ يرض ولايُدْمي
تعلَّمتَ خَلفَ الوَعْد من برق خُلّب[3] فَبَرقُك لا يُثري ولكنَّه يُعْمِـي

---

[1] ابن عبد ربه، الديوان، ص 92.

[2] أبو اسحاق الإلبيري، الديوان، ص .123

[3] البرق الخلب :السحاب الذي لاغيث فيه ،لأنه خادع يومض حتى تطمع بمطره ،ثم يخلفك (ينظر:ابن منظور لسان العرب (مادة :خلب):1:364.

وقال أحد الشعراء في ذم التكبر والخيلاء مشبها إياه بزرقاء اليمامة، وإن كان يضرب بها المثل في بعد النظر وحدته، فللمهجو بعد النظر في كل بدعة وظلالة، أما عن مسلك الحق فهو أمرد لايبصر سُبله: (الطويل) [1]

وذِي نَخْوة يَخْتالُ ثاني عِطْفــهِ فلولَا تَناهِي لُؤْمهِ قلتُ أصْيدُ

لهُ نظرةُ الزّرقاء[2] في كلّ بِدْعةٍ لكنَّه عنْ مَسْلكِ الحقّ أمْــردُ

وقال أبو جعفر بن سعدة في ذم شهادة الزور[3]: (الوافر):

أيا للنّاِس من أمْرٍ عُجــابٍ ولا عَجبٌ لِشَرٍّ يستطيرُ

فإنَّا جَميعاً فَوضى كَـسَرْحٍ بلَا راعٍ وذُؤبانٍ تُغيــرُ

حَضَرنا مَجْلسَ الوَالي أُناساً لَنشْهدَ والدَّوائرُ قدْ تدُور

فلمّا أنْ قَصصْنَا ما عَلِمنــا طُلبنَا بالزّيادَة وهِي زُور

فخلَّصْنا الشّهادة فامْتحنــاَ أعاذَ اللهُ منْ حُكْم يَجوُر

ومن خلال النماذج السابقة، نلحظ أن شعر الهجاء الإجتماعي قد واصل مسيره مسلطا الضوء على البشرية عامة وخاصة، فذم البشرية التي فسدت أخلاقها وطباعها لأنها تجردت من معالم الإنسانية، فرسمها في أقبح الصور، وطال الهجاء الأبناء بذم طباعهم المذمومة، وهجا الأقارب لظلمهم ، حتى الزوجات أخذن نصيبهن من الهجاء خاصة إذا اتصفن باللؤم والغدر ونكران العشير. وسلط الشعراء هجائهم على الأخلاق الرديئة لما لها من أبعاد أخلاقية خطيرة على المجتمع فذموا البخل واللؤم والكذب والنفاق والرّياء والحسد، وخيانة عهد الصداقة، وذموا المنشغلين بعيوب الآخرين.

---

[1] ابن بسام الذخيرة 796:2/3.

[4] الزرقاء : إمرأة من بني جديس من أهل اليمامة ، مضرب المثل في حدة النظر وجودة البصر، يقال لها زرقاء اليمامة وزرقاء جو لزرقة عينيها ،قالوا أنها كانت تبصر الشيء عن مسيرة ثلاثة أيام (ينظر: الزركلي، الأعلام،45:3

[3] ابن خاقان، قلائد العقيان، 2: 580.

المبحث الرابع: ذمّ الزمان والمكان

المطلب الأول: ذم الزمان :

اقترن بنقمة الشعراء على الناس نقمة أخرى وهي ذم الزمان، فهو الذي يعلي من راية اللّئام، ويحطّ ويُنكّل بالكرام، ولابن شهيد مقطوعة في ذم الدنيا فيرمقها بعين ونفس متشائمة قائلا: [1] (الخفيف)

ولوْ أنّ الـــــدّنيا كَريمةُ نجرٍ لم تكُن طَعمةً لفَرْس الكِلاب
وإذا ما نَظرْتُ ما حازَ غَيْري قَلَّ عمَّا حَمِلْتُه في ثِيـــابِي
جيفةٌ أنْتَنتْ فَطَـــار لَـــــها من بَني دَهْرِهاَ فِراخ الذِّئـابِ

ولابن عبد ربه مقطوعات في ذم الدنيا فهو يرى أن الخير قد انعدم فيها، فرمقها بعين ساخطة ونفس متشائمة. حتى أنه أنزل أبنائها في صورة كلاب، قائلا: (الخفيف) [2]

ودَهْرٍ سَادَت العُبدانُ فيهِ وعَـاثَتْ في جَوانِبهِ الذّئـاب
وأيّامٌ خَلَتْ من كلّ خَيْـــر ودُنُيـا قدْ توزَّعَها الكِـــلاب
كِلابٌ لو سَألتَهُم تُرابـــــاً لقالوا : عِندنا انْقطَعَ التُّراب
يُعاقِبُ من أَسَاءَ القَوْل فِيهم وإنْ يُحسن فليسَ لـهُ ثَوابُ

وتبدو الدنيا في عين أبي محمد بن صارة حقيرة لا قيمة لها. فيذمها ويذم ناسها المتكالبين عليها قائلا: (الوافر) [3]

بنُو الدُّنياَ بِجهْلٍ عَظَّمُوهـــا فعَزّتْ عِندهُم وهِي الحَقِـيرة
يُهارشُ بعضَهُم بعضاً علَيها مُهارشَة الكِلاب عَلى العَقيرَة

---

[1] ابن شهيد، الديوان، ص 86.

[2] ابن عبد ربه، الديوان، ص 25

[3] المقري، نفح الطيب، 4: 117.

ويرى أبو الحسين بن الحاج أن الأيام لا تأتيه إلاّ بالنّكد وأنّ الحظ في الدنيا مخصص للئام فقط: (الطويل) [1]

كفَى حُزناً أنّ المَشَارعَ جَمَّة وعِندِي إلَيها عِلَّـة وأوامُ

ومنْ نكدِ الأيَّـــام أنْ يُعدَم الغنُّي وأنّ المُكْثِرينَ لِئامُ

ولأبي إسحاق الخفاجي نفس النظرة للدنيا فهي لئيمة وجائرة تحط الكرام وتعلي من قيمة السفلة اللئام: (الكامل) [2]

ما للزّمانِ يجُورُ في أبْنائِه حُكمًا ويَرمُقهُم بعينِ العَائِب

فيَحطُّ عُلوّهُم ويَرفعُ سُفلهُم فكأّنهُم قلمٌ بيُمنَى كَـــاتِبٍ

وقال الوزير الفقيه الحافظ القاضي أبو حمد بن عطية في ذم الزمان(مجزوء الكامل): [3]

داءٌ الزّمانُ وأهْلُـــه داءٌ يَعزُّ لـــهُ العِـــلاج

اطّلَعتُ في ظَلَمَائِـه ودًّا كما سَطعَ السِّـــراجُ

لصَاحِبِهِ أعْيا ثـــقا فِي منْ قنَاعَتِهُم إعْوِجَاج

كالدُّرِّ ما لمْ تَخْتبَرْهُم فإذا اخْتبَرْت فَهُم زُجَـاج

---

[1] المصدر السابق، 3: 463.

[2] ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، 94.

[3] العماد الأصفهاني، الخريدة، 2 :495-496.

المطلب الثاني:هجاء المكان "هجاء المدن والقرى وبعض المرافق الإجتماعية":

2-1 هجاء المدن:

هجاء المدن من الاتجاهات الجديدة في الهجاء والتي ظهرت في القرن الثاني الهجرة، والأمثلة على هذا النوع من الهجاء كثيرة [1] وكان ظهور هذا الاتجاه في الهجاء الأندلسي امتدادا لوجوده في الشعر المشرقي، كما كان ظهوره مرتبطا بواقع الشعراء وحياتهم الاجتماعية، فقد فرضت عليهم ظروف العيش أن يتنقلوا من مدينة إلى أخرى وكان الشاعر أحيانا يَمُرُّ بظروف عيش قاسية في مدينة من المدن فيصوب إليها سهام هجائه. [2]

يهجو السميسر المريّة [3] ويلحق بها صفات مذمومة قائلا (الخفيف): [4]

بئسَ دَار المَريّة اليَومَ داراً ليسَ فيهَا لسَاكِنهَا ما يُحِبُّ
بلْدةٌ لا ثِمارَ إلّا بِريـــــحٍ ربّما قَد تَهُبُّ أو لا تَهُـــبُّ

ويعود لهجائها مرة أخرى فيرسمها في صورة مقززة تثيرُ النفور، لقد شبهها بطست من الذهب يخطف الأنظار بلونه الذهبي، إلّا أنه لا يحتوي على الماء، بل هو مملوء بالدّم وهي إشارة الى عدم مطباقة الخارج للباطن: (المجتث): [5]

قالُوا المريّة فيها نَظافَــة قُلتُ إيـــــــــهٍ
كأنَّهـــــــا طِستُ[6] تبرٍ ويَبْصُق الدَّم فيهِ

---

[1] محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص 430.

[2] فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 149.

[3] **المرية:** : مدينة كبيرة من مشاهير مدن الأندلس، ومن أعمال كورة إلبيرة، تقع بين مدينتي مالقة ومرسية على حافة بحر الزقاق (البحر المتوسط) مقابلة وادي آش Guadix (ينظر: مريم قاسم طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح، ص16).

[4] السميسر، الديوان، ص 16.

[5] المصدر السابق، ص 20.

[6] **الطست:** من آنية الصفر (ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ،مادة (طست) 2: 58.)

ويستمر السميسر في توجيه وخزاته الناقدة واللاذعة في هجاء المدن، ففي المقطوعة الآتية ، يصف بلنسية خارجيا وداخليا، ويرى أن خارجها الجميل لا يطابق جوهرها، فيقول (المتقارب): [1]

بَلنَسيّة[2] بلدةٌ جنّةٌ وفِيهَا عُيوبٌ متَى تُختَبر
فخارِجُها زَهْرٌ كُلُّه ودَاخِلُهـــا بِركٌ من قَذَرْ

ولا زال السميسر يرسم لنا لوحاته الهجائية للمدن، فيهجو مدينة بلنسية قائلا (المتقارب): [3]

ضاقَتْ بَلْنسيّة بـــي وزادَ عنّي غُموضِي
رقَصَ البَرَاغيثُ فيها عَلى غِناءِ البَعوُض

ويعلق حافظ المغربي عن إبيجراميات السميسر في هجاء المدن قائلا:« يكشف عن دلالات سيكولوجية ثابتة ومتجذرة في نفس السميسر نحو مكان لم يرتح إليه بوصفه دالا ورمزا للاغتراب الخوف التوجّس الموت» [4]، كما يرى أن هجاء السميسر للمدن شاهد على الرؤية الحزينة التي تكشف عن ألم دفين، حيث لم يجد الشاعر الأمن والسكن الصحبة الصفاء والتواصل... إن السميسر لم ير في المرية إلّا بئس الديار، ويقف المسكوت عنه شاهدا على الرؤية النفسية الحزينة التي تكشف عن ألم دفين ثاو. [5]

ومن أطول القصائد التي قيلت في هجاء المدن ، قصيدة لأبي عامر الأصيلي يهجو فيها مجموعة من المدن الأندلسية، ونستقرئ من خلال هجائه لها شعوره بالإحباط لأنه لم يصب مراده من خلال طوافه بهذه المدن، لذلك ألحق بهذه المدن صفات ذميمة

---

[1] السميسر، الديوان ، ص 96.

[2] **بلنسية:** تقع في شرق الاندلس وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس عامرة القطر كثيرة التجارات لها أربعة أبواب ، جامعة لخيرات البر والبحر ولها أقاليم عديدة (ينظر: الحميري الروض المعطار ص47)

[3] السميسر، الديوان، ص 97.

[4] حافظ المغربي، شعر السميسر الأندلسي صوت المعارضة والأداة، ص 146.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 146.

كما طال هجاؤه سكانها فرماهم بالجبن والبخل وبالخزي والعار، وقد لهج لسانه بالدعاء عليها قائلا: (الوافر): [1]

أباجَة[2] لا وقـاك الله شرًّا ... فأهْلُك أهْلُ مفْسَدَة شِـــرارُ

أشَلبٌ[3] لا جَزاكِ الله خَيراً ... فلا خيْر لدَيْك ولا خـيــارُ

أشَنتَمَريــّة[4] قُبــّحْـت داراً ... كؤُوسُ المُخْزياتِ بِها تُدارُ

أشَلْطِيش[5] ألا غَرقٌ وشِيكٌ ... تَموجُ على ثَراكِ به البِحـارُ

أأونَبة[6] تَعدّتْك الغَــوادِي ... ولا هَطلتْ بِساحتِك القِطـارُ

أُلبلَة[7] كُنتِ صَالحَة ولكِن ... أتَى ابن حَليفة وأتَى الشّنـارُ

بلادٌ عُرّيَتْ منْ كل خــيْرٍ ... فمَلبَسُ أهلهَا مَقتٌ[8] وعـارٌ

غَلطْتُ فزُرْتُها فَرأَيتُ قوْماً ... مَنازلُهم وإن عُمّرَتْ قِفَــارُ

تَرُدُّ عليّ أشْعاري ويَجْفى ... رَسولِي والنَّباهَة لِي شِعــارُ

شَتَوْتُ بِها على كُرْهٍ فغَطَّى ... علَى جَدِّي وَمَعرِفتي الغُبـارُ

---

[1] ينظر: ابن بسام، الذخيرة، 2/3: 801.

[2] **باجة:** من أقدم المدن الأندلسية، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة لها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة. (ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 36).

[3] **شلب:** مدينة لها بسائط فسيحة، عليها سور حصين، ولها غلات وجنات، وأهلها سكان قراها عرب من اليمن وغيرها. (ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 106).

[4] **شنتمرية:** مدينة في الأندلس من مدن أكشونية، مدينة متوسطة القدر، حسنة التربة كثيرة الأعناب والتين، بها دار صناعة الأساطيل. (ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 114-115).

[5] **شلطيس:** تقع بالقرب من لبلة وهي مدينة لا سور لها، وبها دار صناعة الحديد تغلب عليها المجوس مرات ويحيط بها البحر من كل ناحية. (ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 110).

[6] **أونبة:** من مدن جبل العيون بالأندلس وهي مدينة ممتنعة بين جبال ضيقة المسالك. وهي قديمة لها آثار للأوّل وهي مدينة برية بحرية. (ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 35).

[7] **لبلة:** مدينة قديمة تقع غرب الأندلس فيها آثار للأوّل قوسطة القدر ولها سور منيع وبها أسواق وتجارات. (ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 165-166).

[8] **مقت:** المقت ،أشدُّ الإبغاض ،مقته مقتا ،أبغضه فهو ممقوت . (ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ،مادة (مقت) 2: 90.)

ويرى الأديب النحوي أبو إسحاق إبراهيم أن حمص[1] دارٌ للبؤس ولا مكان فيها للرّاحة قائلا (المجتث): [2]

يا حمصُ لا زِلْتِ داراً لكلِّ بُؤْسٍ وسَاحَة
ما فيك مَوْضِعُ رَاحَةٍ إلّا ومَا فيهِ رَاحَة

ويهجو أبو الفتح بن فاخر مدينة رندة [3] لوحشة إنتابته بها، فهجاها بأبشع المناظر قائلا:(مجزوء الكامل) [4]

قُبحاً لرُنْدةَ مِثلمَـــا قَبُحْتْ مٌطَالعَةُ الذُّنُـوب
بلَدٌ عَليهْ وَحْشـــــة ما إنْ يفارقُه القُطُــوبُ
ما حلَّها أحَدٌ فَيَـنْ وِي بعدُ بَيْنَ أن يــؤُوب
لمْ آتِها عنْد الضُّحى إلّا وَخُيّلَ لي الـــغُروبُ
أفقٌ أغَمٌّ وسَاحَـــــةٌ تَمْلأُ القُلُوب من الكُروبِ

ويُسقط الأعمى المخزومي لَعناتِه على أهل مرسية [5] يذمّهم، لفساد أخلاقهم وانحطاطها قائلا :(مجزوء الطويل): [6]

على أهْلِ مُرْسِيةَ لَعْنَـــةٌ تَعمُّ الدِّيَارِ وأَرْبَابِـــــــها
فمَا غلقتْ قطْ مذْ فُتِحْتْ علَى فَاضِل الطَّبع أبْوابُها
كِلابٌ تَهرُّ إلى شاعِـــرٍ وتَكْشِف للشَّرِّ أنْيابَـــــها

---

[1] **حمص: إشبيبيا:** مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة ثمانون ميلا، وهي مدينة قديمة أزلية، لها أسوار حصينة وخلقها كثير.تقع غرب قرطبة وشرق لبلة وهي من أعظم المدن وأكبرها قاعدة في الأندلس مدينة الأدب والطرب عظيمة الشان ولها مدن كثيرة وقرى متصفة، وهي عروس بلاد الأندلس، حازت البحر والبر والزرع وكثرة الثمار. (ينظر: الحميري نزهة الأنظار، ص 23/، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس تح عبد القادر بوباية، ص 114).

[2] المقري، نفح الطيب، 3: 452.

[3] **رندة:** من مدن بالأندلس وهي مدينة قديمة بها آثار كثيرة. (ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 79).

[4] ابن سعيد، المغرب 1: 334.

[5] **مرسية:** هي قاعدة تدمير بناها عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دارا للعمال وقراراً للقواد. بها خيرات كثيرة، ومعادن فضة غزيرة، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم. (ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 183).

[6] الإدريسي، زاد المسافر، ص 76.

عبّرت النماذج السابقة في هجاء المدن والقرى والمرافق الإجتماعية عن سوء علاقة الشاعر بالمكان وبأهله ، وعدم تكيفه معهم ، ونخلص أن هناك أسباب متعددة ، كعدم نيل الشاعر ما يريد ، أو في تصوير لعلاقة الشاعر بأهل المدينة أو المكان وليس المكان بحدّ ذاته، وأشار بعض علماء الاجتماع:« إن انسحاب الفرد من المحيط الإجتماعي قد يعود إلى انعدام تكامل الفرد مع المجتمع، بحيث يصل الأمر ببعض الأفراد إلى أن يجدوا أنفسهم عاجزين عن الاستجابة أو الخضوع لأي سلطة غير تلك التي تصدر من أنفسهم.» [1]

2-2-ذم القرى:

واتجه الشعراء من هجاء المدن الى هجاء القرى ، ومن أمثلة ذلك ماقاله الشاعر أبو جعفر بن عاصم في هجاء شاطبة [2] قائلا: [3] (مخلع البسيط)

شاطِبةُ الشّرقِ شَرُّ دارٍ ليْسَ لسَاكِنِـــها فَلاحُ
السَّكبُ من شَأنِهم ولكِن أكثَرُ مَسْكوبِهم سُلاحُ
لهم بِه في الكَنيف حِفظٌ وهُو بِأسْتاهُـــم مُباحُ

وتبقى هذه القرية محلاً للهجاء يقول أبو عبد الله بن ياسين الشاطبي(مخلع البسيط): [4]

شاطِبة قريةٌ ضَنِينـــــــة ليسَت لمَن أَمَّها مُعِيـــنَة
تَهْتضِم الطّيبَ اهْتضامـًا وتَأنفُ الدَّهْر أنْ تُعيـــنَه
والخُبثُ المَحْضُ تصْطَفيه ضِداً لمّا جاءَ في المَدينَة

---

[1] فايز القيسي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 58-59.

[2] **شاطبة:** هي على مسافة 556 كلم من بلنسية لها موقع بديع إلى الشمال بحذاء جبل برنسيا كان الرومان يقولون لها سياتيس soetalis، يضرب فيها المثال في الحسن والمنعة (ينظر: شكيب أرسلان، الحلل الأندلسية. في الأخبار والآثار الأندلسية، 3: 109).

[3] الإدريسي، زاد المسافر، ص 36.

[4] المصدر نفسه ، ص36

وفي قصيدة طويلة في ذم القرى وساكنيها، نجد أن هذا النوع من الهجاء، لا يصدر عن شاعر بل يصدر من بعض الأئمة الفقهاء ، الذين يعيّنون لخدمة المساجد في القرى والبوادي، وكثيراً ما وجدوا صعوبة في التعامل مع أهلها، مما جعلهم يتهربون من العمل هناك، وقد سجّل أحدهم ما لاقاه وقاساه في القرية التي عُين فيها فهجاها وهجا أهلها قائلا (الطويل): [1]

أُعبّرُ عمَّا كُنتُ فِي السِّر أكْتمُ ... فإنَّ لسَانَ الحَالِ عنِّي يُتَرْجُمُ
بَدَوْتُ وكُنْتُ قِدمًا أَعْرِفُ حَاضِرا ... وسكْنَى البَوادِي لا يُحِلُّ ويُحَرُّمُ
تَكلَّفْتُ سُكْنَاهَا، وكَـــان ضَرُورَة ... وَفِي بَاطِني أمْرٌ بهِ الله أعْلَـــمُ
ثَوَيْتُ بها ما بَين قَومٍ بُيُوتُهُـــم ... كُهوفٌ، وشِعَـــــابٌ، وبَيْت مُهَدَّمٌ
حُفاةٌ عُراةٌ لا يَحْلُ جِوارهُـــــم ... وإنْ تُخْبِرهم، ليْس فِـــي القَوْم مُسْلمُ
حَقيقٌ عَلى مَن كانَ مَثواهُ بيْنهُم ... يُلامُ، ويُجلى فِـــــي البِلادِ، ويَشْتُم
خِيارُهُم الأَشْرارُ مِنهم، فإنْ يَكــن ... لفِرعونَ كُفْرُهُم، هُـــــــم مِنه أقْدَم
دَلَلْت عَليهم، خيّبَ الله سَعْيهُـــم ... فلا عَالِـــــمٌ مِنهُم، ولا مُتَـــعَلّـــم
رياضَتُهم لا تُسْتطَـــاع وإنّمـــا ... يُحرّضُهم سَوطٌ وسِجنٌ ومَـــــغْرمُ
طَواغِيتٌ، والطّغاة فيهـم قَديمَـــة ... إذا مَا دُعوا للخَيْرِ عن قَصْده عَمُوا
ظَننْتُ بهمْ ظنّا، وجدْتُ خِلافَـــهُ ... فَلا عَالِـــــم مِنهُـــم عليْـه يُسَلّـــمُ
كُسَالى عَن التَّوفِيق صُمٌّ عنِ الهُدى ... وهُم فِـــــي ضلالٍ غافلُون ونُـوَّمُ
لبَاسُهم الزّنارُ، والسُّحـــتُ أكْلُهـــم ... صَبيّ بِزنّـــــــار، وشَيْخٌ مُسلـــم
مساجِدُهم لا تَعْمَـــــر بِصلاتِهـــم ... ويُـعْجِبهُم مِنهـــــا الذي يـتَهَدّم
نَسوا الله في الدُّنيا فأعْمـــى قُلوبَهُم ... ووَلّـــــى عليهُم مَن يجُور وَيظْـلمُ

---

[1] مخطوط الخزانة بالرباط رقم 1725، نقلا عن عصمت عبد اللطيف دنش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط1، 1408، 1988، ص 309.

ضِيافَتهُم مَعروفَـــــةٌ لقدُومهـــــم دَجاجٌ وبيضٌ والمُدامٌ المُـــحرّمُ
عوائِدُهُم تَركُ الصّـــلاة، وعِندهـــم بأمْرِ النّساءِ الفاجِرات تَـــهّمُـمٌ
فَقِيهُهُمْ ما يَعْتـــنُـــون بِـــأَمْـرِه وإن جاءَ زَفـّان يُعزُّ ويُكَـــرَّمُ
قَرِينُهم الشّيطانُ حَضَّهُـــم عَلـــى رُكوبِ المَعاصي، فهُو إثْم وآثِمُ
شُيوخُ القُرى لا يُنصِفُـــون إمَامَهُم وفي أُجْرة الشّرْط يَجدُّ ويَحْتـــمُ
هم الغافلُون الظّالمُـون نُفوسَهُـــم فما خُلقَتْ إلّا إليْهُـم جهنَّـــمُ
وعَهْدهُم غدْر، ووُدّهُـــــم قِلـــى وأكبرُهم سِنّـا مُسيء ومُظلـــمُ
لأَنفُسهُم لا يَملكُـــــون شَفاعـــةً فويْلٌ لهَم ممّـا جَنَوْهُ وأظْلَـــمُ
يقيناً لقَد حـــقّ العَـــذابُ عليهُـــم ولكن ربّ العَرش يَعفُـو ويُكرِمُ
فهذا خِطابِـــي للأئمّـــةِ بالقُـــرَى خطابُ نصيحٍ، والمُوَفّقُ يَفْهمُ

2-3 هجاء بعض المرافق الاجتماعية:

هجاء الحمّامات:

يهجو القاضي أبو الحسن مختار الرعيني [1] ظاهرة اجتماعية ، وهي الحمامات التي يدخلها الشريف والوضيع، فتضيع فيها المنازل والرتب، وما في هذا تكبُّر وغرور من القاضي، سوى أن في ذلك فحشا، وسوء أخلاق، يتسامى عنه أهل التقوى، قام بالهجاء لما دخل حماماً، فجلس بإزائه عامي أساء الأدب ، فقال: (الطويل) [2]

ألا لُعِنَ الحَمَّامُ داراً فإنَّـــــهُ سواءٌ بِه ذُو العِلم والجَهلِ في القَدْرِ
تَضِيعُ بِه الآدابُ حتّى كأنّها مَصابيحٌ لم تُنفقْ على طلعَة الفَجرِ

[1] القاضي الرعيني :كان جامعا لفنون العلم والمعرفة واستقضى بالمرية فاحسن السيرة توفي سنة 435هـ ،كان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون . (ينظر: ابن سعيد المغرب2:207.)

[2] المقري، نفح الطيب، 3: 381.

قال أبو جعفر بن سعيد (مجزوء الكامل): [1]

يارُبّ حَمّامٍ لَعْنا بِمـــــا أبْدى إلَيْنا كُلّ حمَّـــــــامٍ
أفُقٌ لهُ قَطْرٌ حَميمٌ كمَـا أَصمت سِهامٌ مِن يَدي رَامي
يَخْرق سُحُبا للدّخان الّذي لاحَ لِغيْمِ العَارضِ الهَامِـــي
وقيّمٍ يَجْذِبُنِي جَذبَـــــةً وتارَةً يكْسِر إبْهَـــــــامِي
ويجمع الأوساخ من لؤمه في عضدي قصدا لإعلامي
وازْدحَم الأنْـذالُ فيهِ وقد ضَجُّوا ضَجيجاً دونَ إفْهـام
وجُملة الأمْر دَخلْنا بَني سَـــــام وعُدنا كَبني حَام[2]

ونستقرئ من النماذج السابقة من ذمّ الزمان والمكان الذي تعددت فيه رؤى الشعراء فهجاء الدهر والزمان كان نابعا من رؤى تشاؤمية للشعراء ، خاصة إذا أعلى الزمان من قدر الجهلاء ، وحطّ من قيمة الأفاضل من الناس، أما هجاء المكان فقد تعددت دوافعه واختلفت، فمن الشعراء من كان هجاؤه نابعا عن إحساسه بالإغتراب في مكان يتجاهله ويزري به، أو أنه يهجو المكان عندما يرصد بعض المظاهر المشينة ، كاتساخ المدن وعدم نظافتها أو بذائة أخلاق ساكنيها، أما الجانب الآخر في هجاء المدن، فيرجع إلى خيبة أمل الشاعر، خاصة إذا كان طوافا جوّالا بين المدن، يطلب الرزق والعطاء فلا يجد نائلا ، فيخيب ظنه، لذلك يصب جام غضبه عليها، فيرشق المدن بسهام هجائه ويصبّ كل لعناته عليها وعلى قاطنيها.

---

[1] المقري، نفح الطيب، 4: 182.

[2] سام وحام : ابنا نوح عليه السلام ،سام أبو العرب وفارس والروم ،وحام أبو السودان (ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ 1: 61.)

المبحث الخامس: هجاء أرباب المهن والحرف

المطلب الأول:هجاء المنجمين والفلاسفة والمشتغلين بالفلك

حدّثنا المقري عن الصورة العامة للفلسفة والتنجيم في الأندلس :« كل العلوم لها عندهم حظ اعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنه كما قيل: فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت العامة اسم زنديق وقيّدت عليه أنفاسه، فإن زلَّ في شبهة رموه بالحجارة ، أو حرّقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان، تقربا إلى قلوب العامة، وكثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إن وجدت» [1]

1-1-هجاء الفلاسفة:

قال أحد الشعراء في هجاء الفيلسوف مالك بن وهب[2] وعدَّهُ السبب الوحيد في فساد دولة علي بن تاشفين قائلا: [3] (الخفيف)

دولةٌ لابن تَاشَفينَ عَلِـــيّ طُهِّرتْ منْ كُـلّ عَيْـبِ

غير أنَّ الشّيْطانَ دَسَّ إليْها مِنْ خَبایاهُ مَالكَ بن وَهْبِ

1-2-هجاء المشتغلين بالفلك والحساب:

دخل ابن عبد ربه ذات يوم على الوزير جهور، وكان القحط قد ألحَّ والغيث قد إحتبس واغتنم الناس بذلك، وتحدّث المنجمون بتأخر الغيث مدة طويلة، ومن هؤلاء ابن عذراء وأصحابه، فقال ابن عبد ربه هذا من أمور الله المغيبة، ورجا الله أن يخلف

---

[1] المقري، نفح الطيب، 1: 221.

[1] مالك بن وهب كان من أهل الفلسفة ، وهو فيلسوف المغرب ،ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيليا علي بن يوسف بن تاشفين وصيره جليسه (ينظر: المقري، نفح الطيب 3:479.)

[3] المقري نفح الطيب ، 3:479

حساب المنجمين، فما كان قليل حتى نزل المطر ليلا، فأفاق ابن عبد ربه وقرب المصباح ودعا بالدواة والقلم وكتب الوزير[1] قصيدة يعظم فيها قدرة الله ويذم المنجمين قائلا[2]: (السريع)

ما قدَّرَ اللّهُ هُـــــو الغَالبُ ليسَ الّذي يَحسبُهُ الــحاسِبُ
قدْ صَدَّقَ اللّهُ رجـــاءَ الورَى وما رجاءٌ عندَهُ خائـــــبُ
وأنزلَ الغيثَ علـــــى راغبٍ رحمتهُ إذا قنـطَ الـــــراغبُ
قُلْ لابنِ عزرا[3]السّخيفِ الحِجا زَرَى عليكَ الكَوْكَبُ الـثّـاقِبُ
ما يَعلمُ الشاهدُ من حُكمَـــنا كيفَ بـــأمرٍ حُكمُهُ غائــبُ ؟
وقلْ لعباسٍ[4] وأشياعِـــــهِ كيف تَـــرَى قَولُكُمُ الكاذبُ
خَانكُمُ كِيوانُ فـــــي قَوسهِ وغرَّكُم فِـــي لوْنهِ الــكَاتبُ
فكلُّكُمْ يكذِبُ فـــــي عِلمهِ وعِلمكمْ فـــي أصْلــهِ كاذبُ
ما أنتمُ شـــــيءٌ ولا علمُكمْ " قد ضعفَ المطلوبُ والطالبُ"
تُغالِبونَ اللهَ فِـــــي حكمهِ واللّهُ لا يَغلِبـــهُ غَـــــالبُ

وقال ابن عبد ربه أيضا في مهاجمة الفلكيين والمشتغلين بالحساب[5]: (الهزج)

أينَ الزّيجُ والقَانُـــونُ والأَركَندُ والكَمَـــــه
وأيـــن السِّندهِندُ البُطْ لُ والجدْول هل ثمّة؟
سِوى الإفْك علـــى الله تَعالى مُنْتشِر الرّمــه

---

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، ط 2، بيروت، لبنان، ص 122.

[2] ابن عبد ربه، الديوان، ص 30-31.

[3] ابن عزرا وورد في بعض المراجع باسم ابن عذراء: وهو من المنجمين في الاندلس(ينظر:احسان عباس، عصر سيادة قرطبة ، ص176.)

[4] **عباس بن فرناس:** (ت نحو 273هـ-887م) مخترع أندلسي من أهل قرطبة من موالي بني أمية، كان فيلسوفا شاعرا له علم بالفلك، اتهم في عقيدته، وهو أوّل من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة في الأندلس وصنع الميقاتة لمعرفة الأوقات. (ينظر: الزركلي، الأعلام، 3: 264 / المقري، نفح الطيب، 3: 374).

[5] ابن عبد ربه، الديوان، 157-158.

إذا كـــانَ أخُو النّجم يَرى الغَيْبَ بمَا ضَمَّه
إلَى مـــا يَطلب الرّزْق طِلاب العَاجِز الهِمَّة
وهذي الأرْض قد وارَتْ كُنُوزا عِدَّة جمَّـــــة
فلَا والله مَـــــا للّهِ خَلقٌ يَحتَـــوي عِلمَه

وهجا الأبيض الفلكيين ونعتهم بالكلاب، وأنهم متهاونون في دينهم قائلا (المتقارب):[1]

بِقُرطُبـــةَ اليَومَ قَوم كِلابٌ يقُولونَ بالفَلكِ التّـــاسِع
إذا سَمِعوا الذِّكر قامُوا كُسالَى قِيامَ الخَريدَة في السَّابِع

2-3-هجاء المنجمين :

تصدى ابن حمديس للمنجمين، الذين يدّعون علم الغيب وماينشرونه من مفاسد اجتماعية تمس الدين والعقيدة، فهم ينشرون الضلال والبهتان والأباطيل لأنهم يبتعدون ويبعدون المُغترّين بهم عن الهداية، وشبّههم بمسيلمة الكذاب ، الذي ارتد عن الدين وطفق ينشر الأكاذيب والإفك، قائلا(الطويل):[2]

لقدْ ظلّ عُبَّاد النُّجومِ وما اهْتَـدُوا بِبَعثِ رسُـول للأنَـــــــــام ذَكّـر
وكم مرَّ في الدّنيا لَهم مِن مُمَخْرقٍ مِن النّاس مَطْويّ الضّلُوعِ على غَمْر
إذا جَالَ في عِلم الغُيوب حَسِبتَه مُسَيلِمَـــة الكذَّاب قَـــــام من القَبْر
أباطيلٌ تَجْري بالحَقائِق بيْنهُـــم من الكَذب مِنهم لا عن السّبع الزّهْـر
ومَيْلٍ إليْها بالظُّنُون وإنَّمـــــــا يَنكبُّ عنْها كلّ يَقظان ذُو حِجـــرٍ
وما الشُّهُب إلا كالمَصابِيح تَلتظّى معَ اللّيل للسَّارِي وتَخْمُد فـي الفَجْر
فيَا أيُّها المُغترُّ بالنَّجم قُل لنَـــا أتَعلمُ سرًّا فـــــــيهِ من ربِّه يَسْري

---

[1] الإدريسي، زاد المسافر، ص 72.

[2] ابن حمديس، الديوان : 224،225.

وبينكُما بَوْن بَعيد فمَـــــــا الّذي تَقوَّلهُ الغفر اخْتِلافـــــــاً عن الغَفرِ

المطلب الثاني:هجاء حرفة الوراقة

كان الفقر والعيش في خصاصة من الظواهر الاجتماعية البارزة في حياة الكتاب الذين يعانون من العطلة ، ولا سيما أن حرفة الكتابة هي المصدر الوحيد الذي كان يعتمد عليه هؤلاء الكتاب في توفير أسباب العيش وسبل الحياة الكريمة ،وهو عمل يقوم على ارتباطهم الملوك أو وزرائهم الذين يسيطرون على موارد الثقافة. [1]

قال الشاعر ابن سارة الشنتريني لما سكن اشبيليا وتعيش بالوراقة لكنه لم يجْنِ من هذه الحرفة، إلاّ النكد والحرمان[2] فهجا هذه الحرفة ، لأنها لا تدرُّ على صاحبها المال الوفير(الكامل): [3]

أمَّا الوِراقَةُ فَهي أنْكدُ حِرفةٍ أغْصانُها وثِمارُها الحِرمَــانُ
شَبَّهْتُ صَاحِبَها بإبْرةِ خائِطٍ تَكْسُو العُرَاة وجِسْمُها عُرْيانُ

المطلب الثالث:هجاء الكتاب

قال ابن شهيد في هجاء الكُتّاب مشككا في مصداقيتهم وتزويرهم، فهو من خلال هذا الهجاء ينعى عليهم موت ضمائرهم ، وعدم إخلاصهم في العمل: (الطويل) [4]

ورُبَّت كُتاَّبٍ إذَا قِيلَ زَوّرُوا بكَتْ من تأنّيهُم صُدُورُ الرّسائلِ

وقال ابن هانئ الأندلسي، يهجو الوهراني كاتب الأمير جعفر، يرميه بجلافة اللفظ وخطل الرأي وفساد التأليف والتنظيم ، ويرميه بتهمة خطيرة هي تحريف القرآن

---

[1] ينظر: فايز القيسي، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 46.
[2] الادريسي، زاد المسافر، ص 65.
[3] المصدر السابق، ص 65/ ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص 78.
[4] ابن شهيد، الديوان ، ص 144.

وفي البيتين الأخيرين تحذير من الشاعر للوهراني، من أنه لن يكف عن ذمه ، حتى وإن تستر عنه خوف الهجاء، فان الشاعر سيزوره حتى في أحلامه، فأي حيلة لمدافعة خيال الشاعر الذي سيأتيه حتى في منامه فيقول: (الخفيف): [1]

إنّ أيّامَ دهْرِنـــا سَخِفـــــاتِ وهِي أعْوانُ كُلّ وغْدٍ سَخـــــيفِ
زمَنٌ أنتَ يـــاأبا الجَعْر فِـــيه لسْت مِن تالِدٍ ولا من طَريـــــفِ
إنّ دهـــــراً سَمَوْتَ فيهِ عُلـــوَّ الوَضِيع الخطوب وغد الـصروف
إنّ رأْيـــــــا تُديرُه لمعـنـــى بِضلالِ الإِمْضـــــــاءِ والتّوقِيـف
كاذِبُ الزَّعم مُستحيلُ المَعانـي فاسدُ النَّظْم فاسِـــدُ التّـــــأْلِيف
لم أُحاربْ نور الهُدى بالدَّياجي وحُروف القُـــــرآن بـــالتَّحْريف
مثْلُ هذا العَميد بالجِّبت والطَّا غوتِ[2] منهُم والهَـــائِم المَشغُوف
ما اسْتضافَ الهِجاء حتَّى تأنّاكَ أيا جعفرا بغيْـــــر مُضـيفِ
إن تستَّرتَ عنْ عِيانِي فما حِيلةُ عيْنيْـــك فـي الخَيـــالِ المُطيفِ

وقال عقيل بن نصر[3] وقد حضر مجلسا فيه من الكتاب، فاختلف ما بينه وبينهم في شيء من الآداب إلى أن أفضى ذلك إلى السُّباب فقال يذمهم(الكامل): [4]

قلبَ الزّمانُ فبَان بالآدَابِ ومَحَا رُسُومَ مَحاسِن الكُتَّاب
وأتَى بِكُتَّابٍ لوْ اسْتَخَبرتَهُم لرَدَدْتهُم طُرًّا إلى الكُتَّـــابِ [5]

---

[1] ابن هانئ الأندلسي ،الديوان ص 106-107.

[2] **الجبت:** كل ماعبد من دون الله ، وقيل هي كلمة تقع على الصَّنم والكاهن الساحر، والطاغوت هو الشيطان . (ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (جبت) 2: 21.)

[3] **عقيل بن نصر:** أديب شاعر، له أغانٍ يجري فيها مجرى الموصلي ومنها انه حضر مجلس فيه أحداث من الكتاب فاختلف ما بينه وبينهم من الآداب إلى أن أفضى ذلك بهم إلى السباب.(ينظر: الحميدي جذوة المقتبس،ص323.)

[4] ابن بسام، الذخيرة، 2/1: 572.

[5] وقال الحميدي وأنشدنا بعض الأدباء على غير هذا الوجه، ولم يُعَلمْ قائلها:

تعس الزمانُ لقد أتَى بعجابِ ومحا رُسُومَ الفضل والآداب
وأتى بكتابٍ لو انبسطت يدي فيهم لرددتـــم إلى الكُتّـــابِ
لا يعرفون إذا الكتابة فَصِّلَتْ ما بين عُنَّابٍ إلـــى عُتَّاب.(ينظر: الحميدي جذوة المقتبس،ص323.)

المطلب الرابع: هجاء المغنيين

مال الأندلسيون إلى ألوان من المتعة، وصنوف من اللهو، كالشراب والغناء والرّقص والموسيقى[1]، ونفقت سوق الفن الموسيقى، وذاع أمره بين الناس ذيوعاً واسعاً وكانت فرق الموسيقيين والمغنيين أمراً شائعا في قصور الخلفاء على مرّ العصور[2] وكان معظم الأثرياء المعتكفين على الموسيقى، ينفقون في سبيل ذلك الأموال الطائلة. [3]

أما نجم الغناء وبلا منازع فقد كان زرياب، الذي احتلَّ مكانة مرموقة وأصبح شخصية اجتماعية من الطراز الأوّل، فرضت على المجتمع ذوقها ونظريّتها في الثياب وتناول الطعام وطبيعة الغناء، [4] لقد نال هذا المغني من الحظوة والمكانة لدى السلطان ما لم ينله أحد، ومن شعر الفقيه أبي مروان عبد الملك[5]، وقد شاع إن السلطان عبد الرحمن الأوسط غنَّى زريابا فأعطاه ألف دينار، فقال متعجبا من كل هذا العطاء للمغني، وهو الفقيه العالم الذي لم ينل بفضل علمه، ما ناله هذا المغني بصوته وموسيقاه قائلا: [6] (السريع).

مُلَّاكُ أمْري الّذي أرْتَجى هَيِّنٌ على الرَّحمن في قُدرتِه
ألفٌ من الشُّقر وأقْلِلْ بها لعالِمٍ أرْبى علَـى بُغيَتِـــــه
يأْخُذها زرياب في دُفعةٍ وَصَنَعتِي أشْرفُ مِن صَنْعتِه

---

[1] ينظر: أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص: 50.

[2] ينظر: آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 55.

[3] عبد الحليم عويس، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، ص 19.

[4] ينظر: محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، ص 64.

[5] هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي الإلبيري، فقيه يضرب به المثل حجّ وعاد إلى الأندلس بعلم جمٍّ، جلَّ قدره عند السلطان المرواني عبد الرحمن الأوسط، توفي سنة 239 هـ. (ينظر: ابن سعيد، المغرب ، 2: 96).

[6] ابن سعيد، المغرب ، 2: 176

وكان الغزال ومؤمن بن سعيد مسلطين على هجاء زرياب، وربما كان ذلك غيرة لما ناله من مكانة عند السلطان [1] ومما قاله مؤمن بن سعيد في هجاء زرياب(الطويل): [2]

شَكَوْتُ إليها الشَّوقَ لمَّا تحمَّـلوا شكايَةَ مَحْزُون من البَيْن جَـازِعِ
وقَالَتْ وكفُّ البَيْنِ تُمْري دُمُوعَها ونَارُ الهَوَى تَهْتَاجُ بَيْنَ الأضالِعِ
سَتَصْبرِ أَوْ تَبْكِي مِن الشَّوقِ مِثْلَما بَكَى الخزُّ مِنْ إبطَيْ بن نافـــعِ

وقال في هجائه أيضا[3]: (الوافر)

تَبَارَكَ مَنْ أَذَلَّ الخَزَّ حتّـــى تَمَعَّكَ فِـي أَفْوَاهِ الكِـــلَابِ
ومِمَّنْ جَعَلَ الغَوَالِي سَائِلَاتٍ عَلَى أَصْدَاعِ أَسْوَدَ كَالغُرابِ

ولهج لسان عبد الرحمن بن الشمّر بهجاء زرياب قائلا[4]:(الخفيف)

يا عليّ بن نافعْ يَا علـــــيّ أنتَ أنتَ المُهذَّبُ اللُّوذَعِـيُّ
أنتَ فِي الأَصْلِ حِينَ يُسْأَل هَاشِميٌّ وفي الهَوَى عَبْشَمِيٌّ

وطالت ألسنة الهجاء المغنيات بسبب رداءة أصواتهن، قال إسماعيل بن بدر في هجائهن: [5] (الطويل):

تَنفّسَ لمّا لاحَظ القَومُ خُبـــزه وقطّبَ لمّا لامَسَتْه الأَصابِـــعُ
فقلنا لهُ إنّا شِباعٌ فجُدْ لنَـــا بعودٍ فما فِي القوم غَيرُك جَائعُ
فأسْمعَنا دَرْداء صَلعاءَ رجَّعتْ بِصوْت لهَا تَسْتكُّ منْه المَسامِعُ
فوالله ما أدْري كِلابٌ تَهارشَتْ بِحُلقُومها أمْ نَقْنَقتْ به ضَفادعُ

---

[1] ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 176.

[2] الكتاني: التشبيهات،ص 284.

[3] المصدر نفسه، ص 285.

[4] المقري، نفح الطيب، 3: 130.

[5] الكتاني: التشبيهات: 556.

وقال غيره : (الطويل): [1]

وقَيْنه[2] تُدعى بتَفتيـــــر مُفرَّغةٌ فـــــي قـالبِ الـزُّور
تبدو بوجهٍ ما رآه إمـــرؤ إلاّ تمنـّى النفخ فـي الصّـور
كأنّها والعُود في حِجرِهـــا حَازيـــة تُنبِـــــئُ بمَـحذُور[3]
لكْعَـاء من أحْسن حالاتِها صَفعُ قفـــاها بالمَســـاويـــر[4]
وصَيدها الأعرادُ في خلوةٍ يُنسيك من صي دِ السّنـــانِيـر
تبًّا لها من قينة عَقلُـــــها أخَفُّ من ريِش العَصافيـــــر

وقال ابن أبي الخصال في هجاء رواقص قباح الوجوه(مخلع البسيط): [5]

جاء علِيٌّ بمُلهيـاتٍ لِلهمِّ والقُبْح جَامعاتٍ
لمْ يلتَفِتْ ناظِري إليْها إلَّا تذكَّرْتُ سَيِّئاتـي

وقال فيهن وبينهن واحدة أشبه منهن (المنسرح): [6]

وليلةٍ طُولها عليَّ سَنة باتَ بها الجَفْن نادِبا وسَنَه
بأربعٍ بينَهُنّ واحـــدةٌ كسَـيّئات وبينَـــها حسَنة

---

[1] المصدر السابق، ص 558.

[2] قينة: الأمة المغنية (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادة : قنن)، 351:13.)

[3] حازية تنبى بمحذور معناها أنها كاهنة تتنبأ بالغيب.(ينظر: الكتاني ،التشبيهات ،ص558.)

[4] المساوير جمع مسورة وهي المخدة المستديرة أو متكأ من أدم (المصدر نفسه ، ص 558).

[5] ابن بسام، الذخيرة 2/3: 795.

[6] المصدر نفسه، 2/3: 795.

المبحث الخامس :هجاء الشعراء

إنّ الباحث ليقف أمام حرب حمي وطيسها بين الشعراء الأندلسيين على مرّ العصور، وتحفظ لنا المصادر والمراجع الأندلسية أهاج كثيرة، نال فيها الشعراء من بعضهم البعض، تذكرنا بمعارك الهجاء الضارية، التي اشتد وطيسها في العصر الأموي بين فحول شعراء النقائض كجرير والفرزدق والأخطل.

المطلب الأول: طبقات الشعراء بالأندلس

لقد رصدنا ظاهرة تفاوت الشعراء في الأندلس من ناحية وضعهم الاجتماعي يجعلهم في ثلاث طبقات:

أ- طبقة الشعراء الذين بلغوا أعلى مناصب الدولة مثل ابن زيدون، وابن عمار وابن عبدون، وكان هؤلاء ينالون رواتب ضخمة، وبذلك يقفون في مستوى الطبقة الأرستقراطية العالية.

ب-**شعراء منتمون:** يلتزم الواحد منهم بلاط أحد الأمراء، وينتمي إليه ويأخذ منه رسماً شهريا أو سنويا.

ج-**الشعراء الجوّالون:** وهم الذين يطوفون على الأمراء مادحين متكسّبين بأشعارهم وهم أكثر عدداً من الطبقتين السابقتين، وربما بلغ الفقر بهؤلاء الطوّافين حدًّا بعيدا لاخفاقهم في استخراج الأرزاق بالمدح. [1]

وربما كان هذا التفاوت الطبقي السّبب الرئيس في إشتعال نار الهجاء بين الشعراء فإذا انتقلنا إلى القرن الثالث الهجري وجدنا مؤمن بن سعيد: « يهاجي ثمانية عشر شاعراً فيعلوهم وكانت آفته التهكم بالنّاس وتتبّع زلاتهم وتمزيق أعراضهم» [2]

---

[1] ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ،ص 66-67.

[2] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ، 1: 132.

المطلب الثاني : المشاكلات الهجائية بين الشعراء

نشأت بين الشاعر القلفاط وابن عبد ربه مهاجاة شديدة وصلت حدّ الإقذاع، وكان القلفاط يلقب ابن عبد ربه بطلاس، لأنه كان أطلس لا لحية له ويسمى كتابه العقد "حبل الثوم".[1]

واصل الشعراء نقدهم وهجائهم لبعضهم البعض يطعن كل منهم في شاعرية الآخر معتدِّين بأنفسهم. وكثر التهاجي بين الشعراء في القرن الخامس الهجري لهج به الشعراء والشاعرات أيضا، ومن ذلك هجاء المنفتل[2] لابن الفرّاء[3]، وقد طعن كل واحد منهما في شاعرية الآخر.

قال المنفتل في هجاء خصمه (مجزوء الرمل): [4]

لابْن مَيمُون قَريضٌ زَمْهرير البَرد فِيه
فإذا ما قال شِعراً نَفقَتْ سُوقُ أبيـه

فردّ عليه ابن الفرّاء قائلا (المجتث): [5]

إن كُنْتَ أَخْفَشَ عَيْنٍ فإنَّ قَلْبَـكَ أَعْمَـــى
فكيف تَنثرُ نَـــــثراً أمْ كيف تَنْظُم نَظْما؟

---

[1] ينظر: المقري ،نفح الطيب، 3: 294.

[2] المنفتل: أبو أحمد عبد العزيز اشتهر بالمنفتل من أعلام الأدب، في القرن الخامس الهجري (ينظر: ابن بسام الذخيرة، 2/1: 754.

[3] ابن الفرّاء: الأخفش بن ميمون، عرف بابن الفرّاء تأدب بقرطبة، ثم رجع إلى غرناطة (ينظر: ابن بسام الذخيرة 2/1: 760).

[4] ابن بسام، الذخيرة ،2/1: 760.

[5] ابن سعيد، المغرب 2: 184/ المقري، نفح الطيب، 3: 388.

وقال أبو الحسن على بن حفص الإشبيلي[1] يعرض بابن زيدون (الطويل): [2]

وينكّلُ عنها شاعرُ المِصْر كلّـه ألا فاضْحكنَّ من شاعرِ المِصْر واسْخَر
وإليك فاحْكُم بيْن نظمِي ونَظْمِـه بذهنِ ذكِـــيّ ثـــم قَدِّم وأخِّـــر
ولستَ كاسِيها مَدى الدّهـر حُلَّة بنَغمَة إنشـــــــــاءٍ ولا بِمُـــكَرّر
وما أنتَ مِمّن يُحمِد السَّيف عندهُ بِجودةِ صَقْـــــــل وهُو غَير مُذكَّر

واشتعلت نار الهجاء بين شاعرات الأندلس في هجاء بعضهن البعض، أو هجائهن الشعراء ومنهن ولادة بنت المستكفي[3]« لم تكن ولادة شاعرة غزل وحسب، وإنما كانت هجاءة مريرة الهجاء، وربَّما فاقت بعض الهجائين من الرجال فضلا عن النساء وهي أهجى من نزهون[4]، بل إنّني لا أتردّد في أن أجعلها فيما قالت من هجاء –على ندرته– أهجى من حمّاد عجرد وهو يهجو بشار بن برد، إنها أنشأت هجائها في ابن زيدون وما قالته في الهجاء، لا يزيدُ كلّ مرّة عن بيتين، ولكنها مثل لسعة السوط، بل كضربة السيف».[5]

---

[1] أبو الحسن علي بن حصن الاشبيلي: من مشاهير شعراء المعتضد كانت بينه وبين ابن زيدون منافسة قتله المعتضد بيده (ينظر: رايات المبرزين وغايات المميزين ، ص 51)

[2] ابن بسام، الذخيرة 1/2: 173.

[3] **ولادة (...–484هـ/...1091 م)**: بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر، وكانت تناضل الشعراء وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء، عمرت طويلا، ولم تتزوج قط (ينظر: المقري، نفح الطيب، 4: 207).

[4] **نزهون:** شاعرة من أهل المائة الخامسة عرفت بخفة الروح والانطباع الزائد وحفظ الشعر والأمثال (ينظر: نفح الطيب، 4: 294).

[5] مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط 5، 1983، ص 186.

خصت ولادة ابن زيدون بكل صفات وصور الفسق، ونعتته بأفضع الصفات اللاأخلاقية، بعد أن حدث جفاء بينهما، ويرى المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا أن هجاء ولادة لابن زيدون كان دفاعاً عن أنوثتها فهي تنتقم لنفسها من هذا الذي أحبَّته ولم يرع وُدّها [1] قالت ولادة في هجاءه تنعته بستة خلال فاسدة: (الوافر): [2]

ولُقِّبْتَ بالمسدَّس وهو نعت تفارق الحياةَ ولا تُفارق

فَلوطِيٌّ ومأْبُـــــونٌ وزانٍ وديوثٌ وقِرنانٌ وسَارقْ

ولقد تعرضت ولادة نفسها للهجاء من طرف تلميذتها مهجة بنت التّياني القرطبية[3] وقالت فيها هجاءً يندى له الجبين اتهتمتها بارتكاب الفاحشة، قائلة (السريع): [4]

ولاَّدةُ قد صِرتِ ولاَّدة من غير بعلٍ فضح الكاتمُ

حَكَت لنا مَريمَ لكنَّه نَخلة هذِه ذكـــــــر قَائمٌ

إلّا أن هذا النموذج من الهجاء لا يعتبر إلّا صورة لعاطفة الحقد والحسد وفي عصر المرابطين شكلت نزهون القلاعية جبهة للهجاء واحتلت بين الشاعرات المرتبة الأولى دون منافس:« وكانت نزهون من الجرأة وروح المنافسة ، بحيث تصطدم في الندوات، والتي كانت تحضرها بكبار الشعراء من الحضور، وكانت على رقة شعرها صاحبة طابع عدواني».[5]

---

[1] ينظر: آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 82.

[2] المقري، نفح الطيب، 4: 205.

[3] **مهجة بنت التيّاني:** صاحبة ولادة وعلّقت بها ولازمت تأديبها، ووقع بينها وبين ولادة وحشة،(المقري ، نفح الطيب 4: 293.)

[4] المقري ، نفح الطيب ، 4: 293.

[5] مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط 5، 1983،ص 161

وقد دارت بين نزهون والأعمى المخزومي حرب هجائية ضارية وتفاقم الأمر بينهما إلى أن تدخل الوزير أبو بكر بن سعيد الذي أقسم عليهما أن يكفَّا الهجاء مشتريا عرض نزهون من المخزومي. [1]

إلا أننا لا نعدّ هذه النماذج الشعرية صوراً للهجاء الاجتماعي الهادف، بل هو هجاء شخصي تذكيه نار الغيرة أو الحسد أو المنافسة، لأنه هجاء مفحش.

يقول مصطفى الشكعة:« هذه صورة شعرية لما كان يجري في تلك المجتمعات الأدبية وصورة أخرى لوجه آخر... وهو الهجاء المفحش الذي يذكرنا بهجاء بشار بن برد في ذكر العورات... والصورة تنبئ عن جانب من مجتمع مبتذل منحلٌ عهر في القول وبذاءة في الخطاب».[2]

وما يهمنا في هجاء هذه الفئة الاجتماعية –الشعراء– هو الوقوف على فاعليتها في المجتمع، لأن الشعر الإجتماعي هو بمثابة صورة عاكسة لأوضاع المجتمع، ومن هنا يطرح السؤال نفسه: هل اهتم الشعراء وبعيداً عن منازعاتهم بين بعضهم البعض، برصد أحوال وأوضاع المجتمع أم لا ؟ هل عبّروا عن آلام وآمال الرعية ؟

إلّا أن الباحث يقف عند فارس الهجاء وبلا منازع السميسر الذي ذمّ شعراء عصره في إبيجرامياته القاطعة كحدّ السيف، نعى عليهم موت ضمائرهم، لأنهم آثروا الخضوع والخنوع والتهافت على عتبات ملوك الطوائف مادحين، مع أنهم في مقام لا يصلح إلاّ للذم والهجاء. فيخاطب السميسر شعراء عصر الطوائف ويزري بهم قائلا (السريع): [3]

يَا شُعَرَاءُ العَصْرِ لا تَحسَبُوا شِعْرَكمْ مَذْ كَانَ مَحْسُوســـــًا
فإنَّمَـــــا حَيَّكُمْ مَيّـــــتٌ كَأنَّما مُحْييكُم عِيسَـــــــــى
إنَّ كَانَ مَنْظُومُكُمْ عِنْدَكُـــم سِحْرًا فَمَنْظُومي عَصَا مُوسَى

---

[1] المرجع السابق ، ص 163–164.

[2] المرجع نفسه ، مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ص 163.

[3] السمير، الديوان، ص 100.

نستشف من هذه المقطوعة الهجائية أن السميسر الإلبيري يدعو الشعراء إلى ظاهرة أدبية وهي ظاهرة الإلتزام بقضايا وطنهم سياسية كانت أو إجتماعية، ويدعوهم أن يعبّروا وبصدق عن قضايا وطنهم، بحيث يجب أن يكون شعرهم كالعدسة اللاقطة لكل أوضاع المجتمع.

قال عنه بنيوس الزاكي:« والظاهر أن السميسر وهو الشاعر الذي عاصر فترة قلقه من تاريخ الأندلس، قد عاش صراعا نفسيًّا حاداً ، بين أن يجاري شعراء عصره ممن ركنوا إلى الحياة الهنيئة اقتناصا لفرصة الثراء ، التي واتت بها الظروف وإيثاراً للسلامة من بطش ملوك الطوائف ووعيدهم ، وبين أن يُسخِّرَ شعره لتصوير أوضاع عصره الذي تردَّت فيه الأندلس بسبب ملوك كان همهم الأكبر... ثرواتهم ولو على حساب الرعية والحفاظ على عروشهم، ولو في عيشة دنيَّة ، وقد استقر قرار السميسر على أن يكون من الفريق الثاني، وأشعاره تنبئ أن صدره كان ممتلئاً غيضا، وحنقا على أوضاع عصره لقد اختار السميسر أن يناضل بالكلمة ، لا أن يكون من الأصوات الانهزامية» . [1]

وفي مقطوعة أخرى يزري السميسر بالشعراء ويرميهم بالفسق والجهل والحمق قائلا (السريع):[2]

أَنَا أُحِبُّ الشِّعْرَ لَكِنَّنـــــــي أَبْغُضُ أَهْلَ الشِّعْر بالفِطْرَةِ
فَلَسْتَ تَلــــقَى شاعــــــراً إلاّ وَفيه خلَّةٌ تُكْـــــــتـرَهُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ كُفْرًا تَكُنْ آفـــــةً تُلَازِمُ الظَّهْـــــــرَ والسُّرَّة
والعُجبُ والنُّوك إِلَى الجَهْل في أَكْثَرِهِم إِلَّا مع النُّـــــــدْرةِ

[1] بنيوس الزاكي، شعر السميسر، عالم الفكر مج 25، ع1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1996، ص 209.

[2] السميسر، الديوان، ص 96.

وقد أشار المقري في نفح الطيب إلى خصائص امتاز بها الشعراء والنحويون قائلا: « وإذا كان الشخص بالأندلسي نحوياً أو شاعراً ، فإنه يعظم في نفسه لا محالة، ويسخف ويُظهر العُجْبُ عادة قد جبلوا عليها».[1]

وجاءه الرّد الفاحم من الإمام أبي عبد الله الحميدي في قصيدة طويلة، يبطل قول الشعراء الذين تعرضوا لهجاء رواة الحديث الشريف، ويرميهم بالضلال والجهل قائلا:(الطويل): [2]

وإني إلـــــى إبطالِ قَولِك قاصِدُ ولِي من شَهاداتِ النُّصوص جُنود
فإن صدّ عن حُكم الشّهادةِ جَاهلٌ فإنَ كِتابَ الله فيهِ عتِـــــــيدُ
ولوْلا رُواةُ الدّينِ ضَاع وأَصْبحتْ مَعالمُه في الآخريـــــــــن تَبيدُ
هم حَفظُوا الآثار من كـلّ شُبهةٍ وغيرهُم عما اقْتنَـــــــــوه رُقود
وصحّ لأهْل النّقل منها احتجاجهم فلمْ يبقَ إلا عَانِـــــــــد وحقُود
وحَسْبهُم أن الصّحابـَــــة بلَّغُوا وعَنهُم رَوَوا لا يُستطاعُ جُحـــودُ
فمنْ حادَ عن هذا اليقينِ فمارقٌ مَريدُ لإظْهـــــارِ الشُّكـوكِ مُريدُ
ولكنْ إذا جاءَ الهُدى ودلـــيلهٌ فليسَ لمَـوجُود الضّلالِ وُجـــودٌ
وإن رامَ أعداءُ الدّيانةِ كَيْدهَـــا فكيدُهُم بالمُخزِيـــاتِ مَكـــــيدُ

وفي الأبيات الآتية يهجو الشاعر والفقيه الزّاهد أبو إسحاق الإلبيري شاعراً يدعى أبا بكر بن الحاج ، وكان قد هجا القاضي ابن توبة فأمر به القاضي، فضرب ضربا موجعاً وشهِّر به في الأسواق، قال أبو إسحاق الإلبيري قصيدته تقربا لولي نعمته ابن توبة وفيها حملة شنيعة على الشاعر المهجو ومن قوله فيها: (البسيط): [3]

السّوطُ أبلغُ مِن قَال ومن قِيـــل ومِن نُباحِ سَفيهٍ بالأبَاطـــــــيـــلِ

---

[1] المقري، نفح الطيب، 1: 222.
[2] المقري، نفح الطيب، 4: 338-339.
[3] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، 126.125.

مُرُّ المَذاق كحَرِّ الـــنّارِ أبْردَهُ بعقْل الـــمُتعَاطـــــي أيّ تَعطِيـل
رأَى مِن الطِّبّ ما بُقراطُ لـم يَرهُ في بُرءِ كلّ سَخيفِ العَدل مخْــذولِ
ضَئيلُ جِسم تَخاف الخَيلُ سَطْوتهُ أعْدى وأطْغى من التّمساحِ في النِّيلِ
يُرقِّصُ الـمَرْء تَرقِيصا بِلا طربٍ لوْ كانَ أثْقلَ أو أجسى منَ الفيـــل
عندَ السّخيفِ به خَبــرٌ وتَجربةٌ فقد رَمى تحْتهُ مَا عُدَّ بالـــــــقَول
وقدْ حَسَا منهُ إمْراق مُلفْلَفـــــة حِشَّته شرَّ الجَشا من شرِّ مَأكُـــول
وقد هجاهُ بهجْوٍ مُؤلمٍ وَجـــــعٍ لا يُشبه الشِّعر فـــــي نَظْم وتَفْصيل
فقلْ له إن جَرَى هَجْوٌ بِخاطرِهِ أُذْكُر قيَامـــــكَ مَحلُول السَّراويـــلِ
واذْكر طوافَكفي الأسْواق مُفْتَضِحا مُجَرّدًا خاشِعـــــــاً في ذُلِّ مَعْــزولِ

أما هجاء الشعراء كفئة إجتماعية لها وزنها في المجتمع ، فقد كانت الخصومة مصدرا هاما للهجاء ، إلّا أننا اعتبرناه هجاءً شخصيا ، يحمل بين طيّاته ألوانا من الغيرة والحسد والتنافس ، لأن فئة الشعراء نفسها إنقسمت إلى ثلاث طبقات، طبقة غنية وطبقة متوسطة وأخرى فقيرة ، فطعن الشعراء في شاعرية بعضهم البعض، بالإضافة إلى الهجاء الفاحش والسُّباب المحض الذي دار بينهم ، إلّا أننا اعتبرنا مقطوعة السميسر الوحيدة التي تندرج ضمن الهجاء الاجتماعي، لأنه نعى عليهم موت ضمائرهم، ولأنهم لم يؤدوا الأمانة المتمثلة في تصويرهم لواقع الحياة كماهي، فاختار أن يكون من الأصوات النضالية التي تناضل بالكلمة من أجل الوطن والمجتمع.

وعلى ضوء ما سبق من تحليلنا لنماذج الهجاء الإجتماعي ، الذي طاف بأرجاء المجتمع الأندلسي، يتحرى مواطن الضعف والوهن و يرصدها ، نخلص أن الهجاء الإجتماعي الأندلسي، قد مثل صوت المعارضة الإجتماعية ، التي جسدت ما يعانيه المجتمع من مشاكل كالطبقية واحتكار بعض فئات المجتمع للمناصب وتسلطها وجشعها في تحصيل الثروات ، مسببة بذلك هوة وخللا كبيرا بين طبقات المجتمع ، وعالج بعض

المظاهر الأخلاقية التي يجب على الفرد أن ينأى عنها ، لأن بقاء المجتمع وتطوره يقوم على تمسكه بفاضل الأخلاق .

ثم انتقل إلى ذم الزمان والمكان وذم بعض المهن والحرف، ثم عاد الشعراء بعد رصد كل هذه المظاهر الإجتماعية إلى هجاء بعضهم البعض، إلا أن الهجاء لديهم قد خضع لرؤى مختلفة، رؤى ذاتية وموضوعية ، ولكن مايهم الباحث هو تتبع الهجاء البناء الذي لايكون فقط من أجل إظهار السخط وتجسيد المثالب ، بل ما يهمنا هو ذلك الهجاء الذي يقوم على التنبيه عن الظواهر السلبية في المجتمع، فيذمّها ليبيّن مدى خطورتها على المجتمع في محاولة للحدّ منها.

الفصل الرابع:

التشكل الفني في شعر الهجاء السياسي والاجتماعي

تمهيد:

إن اللغة والأسلوب هما عماد الشعر، والأساس الذي يقوم عليه، حيث أن اللغة تعبر والأسلوب يبرز ما في اللغة من معاني ودلالات.

المبحث الأول:اللغة

تعد اللغة من أهم الأدوات التي يعتمدها الشعراء في التعبير عن حالاتهم النفسية ونقل لتجاربهم الشعرية، فهي عبارة عن مجموعة من الألفاظ التي يتخيرها الشاعر ليؤدي بها غرضا ما[1]، وهي من الوسائل التي تعين الإنسان على التكيّف الاجتماعي والوجداني والنفسي والحضاري واللغوي والعقدي فهي التي تحمل في مصطلحاتها وتراكيبها مضامين الحياة التي تتشكل مع العادات والتقاليد والديانة، وغير ذلك من أنماط الحياة. [2]

تميّز شعر الهجاء السياسي والاجتماعي بسهولة لغته، فقد استقطب الهجاء الألفاظ السهلة الواضحة البعيدة عن الغريب والحوشي، مبتعدا عن التكلف والصنعة، وأصبحت اللغة السهلة الواضحة، سمة غالبة على شعر الهجاء، ولجأ الشعراء إليها ليضمنوا لأشعارهم الشيوع والذيوع.

وقد عمد الشاعر السميسر إلى التعامل مع الألفاظ السهلة، التي تخلو من الغرابة والتعقيد في خطابه السياسي أو الاجتماعي، لأن الشاعر يخاطب عامة الشعب الأندلسي ليقترب من أفهامهم وليتمكن من التأثير فيهم وبث رسالته، التي يؤمن بها خاصة إذا تعلق

---

[1] حسين علي الدخيلي، دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، دار حامد للنشر، عمان ،الأردن، (د، ط)، (د، ت) ص56.

[2] محمد بركات، حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ط 1، 1992، 1412، ص 37.

الأمر بهجاء ملوك الطوائف، بلغة موحية ومعبرة عن خيانة وتواطؤ وتهاون ملوك الطوائف وخذلانهم للوطن وللرعية: "أسلمتم الإسلام، عصا النبي شققتم". [1]

وأبرز ما في خصائص شعر السميسر:«العفوية وصدق التعبير دونما تكلف أو تصنع ولقد جاءت معانيه بينه الوضوح في لغة سهلة، وأسلوب لا غموض فيه».[2]

كما وظّف ابن الجد ألفاظا وعبارات، جسدت ركون ملوك الطوائف إلى حياة الدعة وتفريطهم في واجباتهم نحو الرعية والوطن: "ناموا،ماشعروا،في كفه قدح، ما تمر بهم الآيات والسور"، [3] وبلغة معبرة وموحية يعبر الشاعر عن إستيائه، وحنقه من تصرفات بعض الملوك ومنهم المعتضد بن عباد، فوظف الشاعر أبو حفص الهوزني ألفاظ لم تدع مزيدا لمستزيد مثل عبارة "ضاق الذرع، استع الخرق" معبرا عن شدة سخطه واستيائه: [4]

أعبَّادُ ضاقَ الذَّرعُ واتَّسعَ الخَرْقُ ولا غربَ للدّين إذَا لمْ يكُن لهُ شرْقُ

وفي خطاب موجهة إلى بربر صنهاجة الكرام، ومسلمي غرناطة الأندلس، يستنكر الشاعر الزاهد أبو إسحاق الإلبيري أفعال اليهود ، التي يأباها الذوق العربي والإسلامي فوظَّف ألفاظا دلَّت على استعلاء وتسلط اليهود على أمور المسلمين، واستغلال نفوذهم لمصالحهم الشخصية، يقول في ذلك: " فعز اليهود، انتخوا ، نالوا مناهم ، وقد قسموها وأعمالها يقبضون جباياتها، وهم يخضمون، وهم يقضمون، انتخوا، تاهوا، ونالوا " [5] وقد عبرت هذه الألفاظ عن عبث اليهود بالسلطة واستغلالهم لمنصب الوزير اليهودي وتسلطهم بالأمور، فحازوا أموال المسلمين، وقسَّموها بينهم وتصَّرفوا فيها كيفما يشاؤون.

---

[1] ينظر: السميسر، الديوان، 118.

[2] محمود محمود العاصودي، شعراء أندلسيون، مطبعة مقداد، غزة، فلسطين، ط 1، 1413،2005، ص 105.

[3] ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 219:2.

[4] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 240:2.

[5] ينظر: أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 108،111.

وقد حفلت قصيدة الإلبيري بألفاظ وظفها الشاعر، قصد بها الوزير اليهودي ورهطه الكافرين ، وقد عبرت عن سوء أخلاقهم وخبث سرائرهم، فقال: "كافرا، الأرذلين المشركين السافلين، عليهم صَغار وذُل وهون، هم هجنة، فراخ الزنا، فاسق، بئس القرين، الفاسقين خاسئين، عابثين، خؤون، الناكثين".[1]

ومال بعض الشعراء إلى النزعة الشعبية في شعر الهجاء، واقتربوا من تراكيب العامة ومعانيهم، ومن أمثلة التعبيرات الشعبية قول حبلاص الرندي: [2]

لا تَفرحَنَّ بولايةٍ سوَّغتهَا فالثَّورُ يُعلفُ أشهرًا كيْ يُذْبحا

هذه السهولة التي أشرنا إليها ، لا تمنع من وجود بعض الألفاظ ، التي تميل إلى الغرابة والتعقيد، فلا يجب أن نعمم الحكم السابق – سهولة الألفاظ وبساطتها – على جلّ شعر الهجاء السياسي والإجتماعي في الأندلس، لأن بعض الشعراء كابن هانئ الأندلسي وابن درّاج القسطلي، وهارون الرمادي قد مالوا إلى إستخدام الأساليب الفخمة والبلاغة العالية ، وتوظيف ألفاظا من القاموس اللغوي القديم محاكاة لفحول الشعراء القدامى.

وإذا نظرنا إلى قصيدة ابن هانئ الأندلسي في هجاء بني مروان ، نجده قد مال إلى توظيف الغريب من الألفاظ في نَظمه، وكانت سمة غالبة على جل أشعاره:« كان ابن هانئ يكتب بأسلوب كبار الشعراء البلاغيين في المشرق السابقين منهم والمعاصرين وكان بالغ التأثر بشعر المتنبي ».[3]

---

[1] المصدر السابق، ص 108–112

[2] المقري، نفح الطيب، 133:4

[3] سلمى الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، 2 : 494.

لقد مال إلى إستخدام أسلوب فخم قوي السبك، وصيغ مجازية معقدة ، لغة الشعر التقليدي:« ولئن كان هناك بعض الصعوبة في شعر إبن هانئ الأندلسي، الذي رمى إلى تقليد المتنبي، فانصرف إلى الإغراب والإمعان في الخشونة والتعقيد» [1]

ومن الألفاظ الغريبة والحوشية التي وظفها إبن هانئ الأندلسي" إبذعرت، أثفية، اللّكع لذع ، شسع" . [2]

وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نحصر سمات اللغة الخاصة بالهجاء الأندلسي في مستويين:

- أولهما: أن اللغة قد اتسمت بالوضوح والبساطة، وهي سمة غالبة على جل شعر الهجاء
- وثانيهما: ميل بعض الشعراء إلى توظيف مفردات من القاموس اللغوي القديم ومحاكاة فحول الشعراء القدامى.

المبحث الثاني:الأسلوب

المطلب الأول:تعريف الأسلوب

1-1 الأسلوب لغة:

2-1 جاء في لسان العرب أن « كل طريق ممتد فهو أسلوب، ويقال الأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب، ويقال أيضا أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب والأسلوب بالضم الفن، يقال أخذ فلان في أساليب القول أي أفانين منه ».[3]

---

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم ، ص 803.

[2] ابن هانئ الأندلسي، الديوان، ص 190-191.

[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلب)، مج1، ص 473.

1-2- الأسلوب اصطلاحا:

الأسلوب عنصر من عناصر الأدب ، وهو الطابع الخاص الذي يطبع به الكاتب كتابته، والشاعر شعره والقاصّ قصّته، ومنهم من حدّده بأنه القالب الذي يصب فيه كل واحد من فكره وعاطفته ، والمنوال الذي تنسج فيه التراكيب، عرفه عبد العزيز عتيق بقوله: « هو المنهاج الذي ينهجه الأديب في الإفصاح عن فكر يختلج بذهنه أو عاطفته تعتمل في قلبه ، وعلى هذا فهو جملة ما يتذرّع به الأديب من الذرائع ، إلى تصوير فكره أو تصوير عاطفته». [1]

المطلب الثاني: الأسلوب الإنشائي وعوامله

3-1الأسلوب الإنشائي:

ينقسم إلى قسمين إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي، ويعني البلاغيون بالإنشاء الطلبي :ما يستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب، وبالإنشاء غير الطلبي ما لا يستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب، والبلاغيون لا يكادون يُلقون بالاً إلى هذا القسم الثاني لقلة المباحث المتعلقة به، ولأن أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، وأما النحويون فيوجهون عناية خاصة إلى معظم أنواع هذا القسم في مختلف أبواب النحو بل عقدوا لبعضه أبوابا خاصة. [2]

كما تنشّط الأساليب الإنشائية مراحل النّص، إذا دخلته وتعرب أكثر من غيرها من الأساليب، عن حاجة الباث إلى مساهمة المستقبل الذي يتحوّل من مستقبل مجرّد

---

[1] عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان، ط2، 1391، 1982 ص145.

[2] عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو،مكتبة الخانجي القاهرة مصر ، ط2، 1421،2001، ص 13.

إلى طرف مشارك.[1] وتقوم الأساليب الإنشائية،على أربعة عوامل رئيسية لا يستغنى عنها أو عن بعضها:

-**العامل الصوتي:** وهو من مقومات التراكيب الإنشائية، وخاصة منها الطلبية.

-**العامل النحوي:** أو الصرفي فالأساليب الإنشائية ترتكز على أدوات خاصة كالاستفهام أو القسم، أو صيغة الأمر أو صيغة التعجب "ما أفعله –أفعل به"

-**العامل المعنوي البلاغي:** فمن مقومات هذه الأساليب الترجمة عن الانطباعات العاطفية، دون المقرّرات العقلية ، فهي تعكس أزمة الشعور، وحيرة العقل أكثر من حقيقة العلم.

-**العامل النفسي:** المنطقي: فهذه الأساليب تتبئ بقيام حوار، وقد تفضي إليه النفس وبحسب ذلك تتلون معانيها ودلالاتها. [2]

المطلب الثالث:أسلوب الإستفهام

الإستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته وهي:"الهمزة، وهل، وما، ومن، ومتى، وأيان، وكيف.. وأين، وأنّى، وكم"،[3]والغرض الأصلي للإستفهام هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوما عند الطلب، إلّا أنه يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى نعرفها من خلال سياق الكلام. [4]

وظّف شعراء الهجاء صيغا عديدة من الاستفهام ، منها ماورد في قول السميسر: [5]

نادِ الملوكَ وقُل لهمْ ماذَا الّذي أحدثْتُم؟

---

[1] محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية ، تونس، (د، ط)، 1981 ص 250.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 250.

[3] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص78.

[4] ينظر: عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه إعرابه، مكتبة الغزالي، الشام سوريا ط1، 1421، 2000، ص 17.

[5] السميسر، الديـــوان، ص 114.

خرج الإستفهام الإنكاري في قوله: "ما الذي أحدثتم؟ " إلى اللّوم والتقريع والتوبيخ لأن الشاعر إستفهم عن شيء مستقبح حصوله، فملوك الطوائف أحدثوا أفعالا منكرة منها تهاونهم بأمور دينهم ووطنهم الأندلس، ولأن فترة حكمهم اتسمت بالفوضى وتدهور للوضع الاجتماعي والسياسي.

وفي صيغة إستفهامية أخرى ، عبرت عن تذمر الشاعر حسين بن الجد من شناعة أفعال ملوك الطوائف ، يتضح أن إستفهامه يخرج إلى غرض يحمل كل دلالات التعجب لما وصلت إليه حال ملوك الطوائف من إنحلال وضعف، فيتسائل قائلا : [1]

كيف يشعرُ من فِي كفِّه قدح؟ يحدُو بهِ ملهاة النَّاي والوَتَرُ

وورد الإستفهام في قول الشاعر ابراهيم بن ادريس الحسيني : [2]

أبَنِي أُميَّة أين أقْمَار الدُّجَى منكمْ وأينَ نُجومُـــــــهَا والكواكبُ؟

أيكونُ حيًّا منْ أميّة واحــدٌ ويسوسُ ضخمَ المُلكِ هذا الأحدبُ؟

يحمل الإستفهام في البيت الأول دلالة الحسرة والألم، لزوال ملك وحكم بني أمية الذين أفلت نجومهم ، كعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر،أماالاستفهام الثاني فيحمل كل دلالات الإنكار والتعجب والتحقير، لابن أبي عامر الذي اغتصب السلطة من الأمويين .

وورد الإستفهام بالأداة "كيف" كثيرا في قصيدة أبي إسحاق الإلبيري المناهضة لليهود في بنى تجاورية، و تضمن إنكارا لفعل يرى الشاعر أنه لا ينبغي أن يكون فيقول: [3]

فكيفَ اختفتْ عنكَ أعيَانُهمْ وفي الأرضِ تضربُ منها القُرونْ

وكيف تحبُّ فراخ الزّنـــــا؟ وهم بغَّضُوكَ إلـــــــــى العالمينْ

وكيف يتِمُّ لكَ المُرتقَـــــى إذا كُنتَ تبنـــــــي وهم يهدمُــونْ

---

[1] ابن الخطيــب، أعمال الأعلام، 2 : 119- 221.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب ،274:2.

[3] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان،109 ،112.

وكيف استَنمْت إلى فاسِقٍ وقارنتَـــــــه وهــو بِيس القريـنْ
وكيف انفَردت بتقريـــبِهم وهُم في البلادِ من المُبعديـــــــنْ
وكيف تكُون لهم ذمّـــةٌ ونَحن خُمـول وهُم ظَـــــاهِرون

ووردت صيغة الإستفهام أيضا في قول أبي عامر الأصيلي بأداة الاستفهام "أين":[1]

أيْن الفِـــرارُ ولا فِـــرارُ ومنْ لي بالقَـــــرارِ ولا قَرارُ

يحمل الإستفهام دلالات الحيرة والقلق، لأن الشاعر لم يجد مستقرا هادئا ولا هانئا يأوي إليه ، بعد أن تقاسم ملوك الطوائف الأندلس ، وتفشي الفوضى والمنازعات بينهم فظاهر الإستفهام حيرة وقلق، وباطنه إنكار لما حازه الملوك من قصور وثروات طائلة على حساب رعيَّتهم المضطهدة بالأتاوات والضرائب ، وعدم الإستقرار لكثرة الحروب التي دارت بين ملوك الطوائف أنفسهم.

ويخرج الإستفهام في المقطوعة التالية عن معناه الأصلي إلى غرض التهكم والسخرية في قول الوزير الكاتب أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعي: [2]

هبْكَ تدَّعِي وزيـــراً وزيرُ من أنت يا وزيرُ؟
والله ما للأمير معْنى فكيفَ من وزَّر الأميرُ؟

وفي صيغة إستفهامية أخرى تخرج إلى غرض السخرية والتعجب من كيفية النوال من بخيل، أزرى به السميسر في هجاءه ، حيث أنزل الأعطية إلى منزلة الذرة التي لا ترى بالعين المجردة ، فيقول: [3]

عَجِبَ النَّاسُ وقالوا؟ كيف نِيلتْ منْهُ ذرَّة؟
هل رأيتُم بعْدَ مُوسَى أحداً فجَّر صخْـــرة

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 2/3: 861.

[2] ابن عذارى،البيان المغرب،3:147./ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ،2:424.

[3] السميسر، الديوان، ص 67.

وورد الإستفهام بالأداة "كم" في قول أبي إسحاق الإلبيري: [1]

فكمْ منْ مُسْلِمٍ فاضِلٍ لأرْذَلِ قِرْدٍ من المُشرِكينْ

فالإستفهام هنا يخرج عن معناه الأصلي إلى الإستنكار، فالشاعر يستنكر خضوع المسلمين الفاضلين ليهودي خاسئ ، لأنه دونهم مرتبة دينا وخلقا. وقد نعته الإلبيري بالقرد فلم يجعله من المشركين ولم يرفعه إلى مرتبة أصحاب الكتاب.

وبنفس الصيغة يتسائل الإلبيري باستفهام يخرج إلى غرض التوبيخ والإنكار لما فعله الفقهاء به وتخليهم عنه ، وهو في أشد المحن، فرأى أن الذئاب الكثيرة ، التي تحيط به في رابطة العقاب، أسلم وأأمن من الفقهاء ، الذين حاكوا له الدسائس، قال: [2]

وكمْ ذِيبٍ نُجاورُه ولكنْ رأيتُ الذّئبَ أسْلمَ من فقِيهٍ

ويحمل الاستفهام دلالات السخريةوالاستهزاء والتهكم بالفلكيين والمنجمين، في قول ابن عبد ربه:[3]

أينَ الزّيجُ والقانونُ والأركنْدُ والكَمـــَــــه

وأين السِّندهند البطلُ أو الجَدولُ هل ثمَّـه؟

وفي قوله كذلك: [4]

قلْ لعبّاس وأشياعـهِ كيف ترى قولُــهُم الكَـاذِبُ

ويتساءل يحي الغزال عن مصدر ثراء الفقهاء قائلا: [5]

لسْتَ تلقَى الفَقِيهَ إلاّ غنيًّا ليتَ شِعْرِي من أينَ يسْتغنونا؟

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 108.

[2] المصدر نفسه ، ص84.

[3] ابن عبد ربه، الديوان، ص 159.

[4] المصدر نفسه ، ص 30-31.

[5] يحي الغزال، الديوان، ص 77.

ولأن يحي الغزال يعلم جيدا مصدر ثروة الفقهاء،لأنهم احتلوا أعلى الهرم الإجتماعي، ولأنهم نالوا الرفد والعطاء من ملوكهم ، الذين قرّبوهم إليهم لدوافع شخصية والإستفهام يخرج إلى التوبيخ والزجر، لأن بعض الفقهاء في الأندلس قد تهافتوا على جمع الثروات تهافت الفراش على النور، متناسين مهمتهم السامية الدينية والخُلقية.

كانت هذه بعض النماذج من الأسلوب الإنشائي بصيغة الإستفهام، وقد ورد منها الكثير في الهجاء الأندلسي، وفي ذلك دلالة على أن شعر الهجاء وجد مُتنفسا في الإستفهام وسيلة وتأكيدا لبعض المعاني الجوهرية.

المطلب الرابع :أسلوب الأمر

يعد أسلوب الأمر من الأساليب البلاغية التي تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن إستدعاء الفعل، ويؤدّى الأمر بأربع صيغ هي:« فعل الأمر، والمضارع المسبوق بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر».[1]

يرسل ابن عمار برسالة إلى مدينة بلنسية أن انتظري حتفك، ويبشرها بالدمار لأن والِيَها قد غدر بالشاعر، فدلّ أسلوب الأمر على التحفيز والتحريض وتجسد ذلك في قوله:[2]

بشِّر بَلنَسيَّة وكانَت جنَّـــة أن قد تدلَّتْ في سواءِ النَّارِ

ثُورُواعليهم متأوِّلِين وقلِّدُوا مُلكًا يقومُ على العدُوِّ بـــثَارِ

إشتمل البيتيان على ثلاثة أفعال أمر: "بشّر، ثوروا، قلدوا"، .ففعلا: بشِّرْ، ثُورُوا" يحملان معنى التحريض، وفعل "قلدوا" يدل على التحفيز.

قومُوا إلى الدّارِ الخبيثَة تلكَ الذَّخائِرُ منْ خبَايَا الدّارِ

---

[1] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 76.

[2] صلاح خالص، شعر ابن عمار، ص 287-288.

أما في قوله: [1]

قلْ للَوزِيرِ وليسَ أيُّ وزيرٍ أن تتَّبِع التَّدبيرَ بالتَّدْبِيرِ

في هذا البيت نلاحظ أن الشاعر قد وظف فعل الأمر "قل"، الذي لا يخلو من الإهانة والتقليل من شأن الوزير والنيل منه .

وورد الأمر في قصيدة أبي إسحاق الإلبيري ، الذي خرج عن معناه الأصلي إلى معنى يرمي من خلاله تحفيز وتحريض بربر صنهاجة للثورة ضد اليهود : [2]

ألاَ قلْ لصَنْهاجَةَ أجْمَعِينْ بُدُورُ النَّدِيِّ وأُسْدُ العَرِينْ

وردت أفعال الأمر متناثرة في قصيدة الإلبيري، تجسدت في قوله: [3]

تأمَّلْ بعينيكَ أقطَارهَا تجِدهُم بها كِلابًا خاسِئِينْ

وقوله كذلك: [4]

فبَادِر إلى ذبْحِه قُربةً وضحِّ بهِ فهُو كبْشٌ سَمينْ

إلى قوله: [5]

وفرّق عِداهُمْ وخُذْ مَالهُم فأنتَ أحقُّ بما يحمِلُـــونْ

نلاحظ في الأبيات السابقة للشاعر الإلبيري، أنه وظف أفعال الأمر ، وهذا يدل على إنفعال الشاعر، وتمثلت الأفعال في: " قل" مشحونا بدلالات التنبيه والإلتماس أما الأفعال:« تأمل، بادر، ضحّ، فرّق، خذ » لقد حملت معنى التحفيز والتحريض، كذلك وطلب المبادرة للإسراع" في القضاء على الوزير اليهودي ، الذي استغل منصبه على حساب المسلمين في الأندلس.

---

[1] المصدر السابق، ص 293.

[2] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان،ص 108.

[3] المصدر السابق، ص 110.

[4] المصدر نفسه، ص 112.

[5] المصدر السابق ، ص 112.

وراقِــب إلَهك في حِزبــِه فحــِزْبُ الإلهِ هُم الغَــالِبونْ[1]

وحمل الأمر دلالات اللّوم والتقريع والتوبيخ ، وتجسد ذلك في قول الحسين بن الجدّ في هجاء ملوك الطوائف: [2]

فقُلْ لمنْ نامَ أصْبَحتَ فانْتبه قضَى بكَ اللَّيلُ نحبَا وانقضَى السَّمر

رُدُّوا مواردكم قد أوردتم خنقا بها الأنـــام ولكن مالكـــم صَــدَرُ

نجد في البيت الأول أن فعلا الأمر: " قل ، إنتبه " قد تضمنا معنى لفت الإنتباه إلى الحقيقة المرّة ، التي تغافل ملوك الطوائف عن رؤيتها ، وهي ضياع الأندلس من بين أيديهم وهم منشغلون بزخارف ومغريات الحياة الدنيا ، أما البيت الموالي فقد تضمن فعل الأمر "رُدُّوا" الذي خرج إلى معنى اللّوم والتّقريع.

وقد تجسد معنى اللوم والتقريع في قول الشاعر ابن عصفور الخضرمي،عندما خاطب ملوك الطوائف قائلا: [3]

اسْتَشْعِرُوا سُوءَ عاقِبَتكُم فقدْ شمِلتْ جميعكُم مِحْنةٌ لا تنْقضِي أبدَا

ونجد في الهجاء أفعال أمر، خرجت إلى غرض السخرية والتحقير كقول القاضي منذر بن سعيد: [4]

إنْعَقْ بمَا شِئْتَ تَجِدْ أنْصارا ورُمْ أسْفارًا تجِدْ حِمَاراْ

تجسد فعل الأمر في "إنعق، رُم" يخرج إلى غرض السخرية والتحقير، حين استفز الفقيهَ غرور بعض حملة العلم خاصة علوم الدين التي لم يفقهوا فيها شيئا.

---

[1] المصدر السابق ، ص 112.

[2] لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 219-221.

[3] ابن عذارى، البيان المغرب، 110:3.

[4] ابن عبد البر النمري، جامع بيان العلم وفضله ، 2: 1032.

وكرّر الشاعر الزاهد أبو إسحاق الإلبيري فعل الأمر "أنكر" مرتين في قصيدته قائلا في هجاء من تطاول على القاضي ابن توبة : [1]

أُذْكُرْ طَوافَك في الأسواق مُفتضَحًا مُجرَّداً خاشِعًا في ذُلِّ معزولِ
واذْكرْ عُقُوبَة مَـــــا زوَّرْتَهُ سفهًا فـــــِي السَّادةِ الشُّمِّ البَهاليلِ

و خرج فعل الأمر" قل، خلوا" إلى معنى التهديد والوعيد، في قول ابن سعيد الجودي في هجاء أمراء بني أمية. [2]

قُل لعَبدِ الله يشْدُدْ فِي الهَربْ نجمُ الثَّائِر من وادِ القَصَبْ
يا بَنِي أُميَّة خَلُّوا مُلكنـــــــا إنَّما المُلْكُ لأبناءِ الـــعَربْ

وقد يخرج فعل الأمر إلى غرض التأسف والحسرة ، وهذا ما ورد في قول "القاضي أبو بكر الزبيدي" عند توظيفه لفعل " أشعرن" لما رأى بعض الناس، تجرّدوا من معالم الإنسانية:[3]

أشْعِـــرَنَّ قلبكَ يـاسَـــا ليسَ هذاَ النَّـــــاسُ نَاسَا

وعلى ضوء ما سبق نلاحظ أن فعل الأمر قد خرج من دلالته الأصلية ، ليعكس تجربة الشعراء الشعورية والنفسية ، وقد وظفوه ليكشفوا عن مشاعرهم وأفكارهم، فجاءت دلالات الأمر مشحونة بالتنبيه، التهديد، التحريض، الوعيد، التحفيز، السخرية والتحقير والتأسف والحسرة.

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، 126.

[2] ابن سعيد، المغرب 2: 105-106، ابن الخطيب ،أعمال الأعلام، 2: 284.

[3] المقري، نفح الطيب، 3: 475-476.

المطلب الخامس:أسلوب النهي

النهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة وهي المضارع مع لا الناهية[1] كقوله تعالى:﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [2]

كما ورد النهي في قول السميسر:"لا تنكروا"، وقد خرج عن معناه الأصلي إلى تفظيعه وتهويله لأفعال ملوك الطوائف، فيقول: [3]

لا تُنْكِرُوا شقَّ العَصَا فعصـــــــا النبيّ شقَقْتُمُ

واستخدم أبو إسحاق الإلبيري "النهي" في قصيدته المناهضة لليهود قائلا: [4]

فلا تتَّخذْ منهم خادمـــــًا وذرْهمْ إلى لعنةِ اللاَّعِنيــنْ

ولا تَرفع الضَّغْط عنْ أهلهِ فقدْ كنزُوا كلَّ علقٍ ثمـــينْ

فَلاَ ترْض فيهَا بِأفعالـــهِم فأنتَ رهينٌ بمـا يفعلـــونْ

وظف الشاعر النهي في ثلاثة مواضع : "لا تتخذ، لا ترفع، لا ترضى"

وورد النهي في قول يحي الغزال "لا تعن" وقد خرج غرضه البلاغي للذم والاحتقار وتجسد ذلك في قوله: [5]

قُلتُ لا تُعـْـنَ بشـــيءٍ أنتَ فـــِي قَالـِـــــــبِ ذِيـــبْ

وأتى الشاعر أبو حبلاص الرندي بالنهي للسخرية والإستهزاء بالمهجو قائلا : [6]

لا تَفْرحَنَّ بِوِلايةٍ سوَّغْتهَا فالثورُ يُعلفُ أشْهُرًا كيْ يُذْبَحَا

---

[1] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، 77.

[2] سورة الأعراف: الآية 56.

[3] السميسر، الديوان، ص 118.

[4] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 112.

[5] يحي الغزال، الديوان، ص 35.

[6] المقري، نفح الطيب، 4: 133.

وقد يفيد النهي التهديد في قول موسى بن الطائف: [1]

لا تَنْسَنِي منْ سُحْتِك المَكْسُوبِ واجْعلْ نَصِيبَكَ منهُ مثْل نَصيبِي

وفي قول عمر بن شهيد التجيبي : [2]

فلا يغرنَّك من قَولٍ طَلاوَتُه فإنّما هي نـُوار ليس له ثَمرُ

وقد يستدل على إختلاف المعاني باختلاف نغمات الأصوات ، وما يقترن بها من مظاهر دهشة أو تلهف لمطلوب يريدونه ، أو إنزعاج من أمر يكرهونه ، أو حركة تدل على ألم يعانونه. [3]

المطلب السادس : أسلوب النداء

من أنواع الإنشاء، وهو طلب الإقبال بحرف نائب مَناب أدعوا لفظا أو تقديرا [4] ولأسلوب النداء دور فعال في لفت الإنتباه، والتيقظ للأمور، وورد أسلوب النداء في قول إبراهيم بن إدريس الحسيني :[5]

أبَنِي أُميَّةَ أين أقمارُ الدُّجَـــى منْكُمُ وأيْنَ نُجُومُها والكَواكِبُ؟

وظف الشاعر أداة النداء "أ" التي تستعمل المنادى القريب قربا حسيا ومعنويا يدل على التحبب والتودّد. إلاّ أنه يخرج لمعنى آخر وهو "التحسر والتأسف" للحال التي آل لها بنو أمية بعد إنقضاض ابن أبي عامر على سلطانهم بالأندلس.

ومن النداء ماورد في قول السميسر مخاطبا لملوك الطوائف بلهجة غاضبة وساخطة قائلا: [6]

نادِ الملوكَ وقُل لهُمْ ماذا الّذي أحدثْتُمُ

---

[1] المقري، نفح الطيب: 3: 535.

[2] الحميدي، جذوة المقتبس، 1: 302/ المقري ، نفح الطيب ،1:302.

[3] عبد الرحمن حسن حبنكة، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، ص: 246.

[4] جلال الدين السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي)، شرح عقود الجمال في المعاني والبيان تحقيق إبراهيم محمد الحمداني، وأمين لقمان، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط 1، 2011، ص 148.

[5] ابن عذارى ، البيان المغرب2:274 / المقري، نفح الطيب، 1: 591.

[6] السميسر، الديوان، ص 118.

والنداء هنا جسد عاطفة والسخط الغضب والتبرم من أفعال ملوك الطوائف.

وفي التعجب والتأسف من أحوال بعض الناس قال السميسر: [1]

يا مُشفقاً منْ خمولِ قومٍ ليسَ لـهمْ عندنـا خَلَاقُ

ذَلُوا و طَالمَـا قدْ أذَلُّــوا دعْهمْ يذُوقُوا الذي أَذاقُوا

وورد النداء في قول ابن عصفور الحضرمي مخاطبا ملوك الطوائف:[2]

يا أُمّة هتكَتْ مَسْتور سَوءتِها ما كلُّ مَن ذلَّ أعْطى بالصّغار يداَ

يدل النداء على أن الخطاب عام، إلا أن الشاعر يوجههُ إلى كل ملوك الطوائف والنداء هنا، جاء لغرض إظهار مدى الغضب من أفعال الملوك المتخاذلين.

وينادي الوزير أبو بكر بن الملح ابنه متندما متحسرا، متمنيا أنه لو لم يكن إبنا له نظرا لسوء أفعاله واتباعه للمنكرات قائلا: [3]

يا سَخنةَ العينِ يا بُنيّ ليْتكَ لمْ تكُنْ بُنيــَّـا

يعبر الشاعر عما في نفسه من حالة التأسف والحزن التي تسبب له ابنه فيها.

«وفي التحسر، يستعمل النداء بمدّ الصوت تعبيرا عن تأوّهٍ داخلي في النفس ».[4]

واستعمل السميسر أداة النداء، "يا" التي تستعمل للبعيد: [5]

يا شُعراءَ العصرِ لا تَحْسبُوا شِعركُم مُذْ كان محْسُوسَا

ونرى أن الشاعر في مخاطبته للشعراء "يا شعراء العصر" وقد أنزلهم منزلة البعيد ويحمل هذا النداء كل دلالات التحقير والسخرية.

---

[1] المصدر السابق ، ص 108.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، 3: 110.

[3] المقري، نفح الطيب ، 4: 139.

[4] عبد الرحمن حسن حبنكة، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، ج1، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1416 1996، ص 247.

[5] السميسر، الديوان، ص 100.

واستعمل أبو إسحاق الإلبيري أداة "أ" في مناداته للأمير باديس بن حبوس وهي نداء القريب ، ليشير لذلك أنه حاضرٌ في ذهنه لا يغيب عن سائله قائلا: [1]

أباديـــسُ أنتَ امْرؤٌ حاذقٌ تُصِيبُ بضنّك نفْس اليقيــنِ

و يهدف من خلال توظيف النداء ، بث الشاعر لانزعاج يكرهه، وهو تسلط اليهود والأمير باديس في غفلة عما يفعلون.

ويوظف ابن صارة الشنتريني للنداء أداة " يا"، لكنه لا يصرّح مباشرة باسم المنادى بل صرّح بالنعت مباشرة "الذئاب" قائلا: [2]

يا ذئابًا بدتْ لنَا فِي ثيابٍ مُلوّنة

خرج النداء إلى دلالة تحقير أفعال أولئك الفقهاء ، الذين استغلوا منصبهم الروحي والديني لمصالحهم الشخصية.

وورد النداء في قول الأبيض جاء النداء بالأداة "يا" وأسلوب النداء هذا مليء بدلالات التحقير. [3]

يَا سائِلِي عن الزُّبيْر أيْن مسْكنُه هيهاتَ تطلبُ صُبحاً ما لهُ وضحُ

يَا ضيْعة الحْين لم يتركْ لهُ أبدًا أوْدى السَّماعُ بِبيْت المـَالِ والقدحُ

وفي التأسف والتعجب من أحوال بعض الأصدقاء ، قال أبو جعفر بن سعدة لصديقه أبا العباس وهو معتقل، وكان أبو جعفر كثير الإلمام به، فقد قصّر أبو عباس في أمر كلفه وأغبه وأخلفه فقال: [4]

ماذا التَّصامُم يا أبا العبَّاس قلْ هلْ في قضاءِ لُبانَتِي من باسِ؟

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 110.

[2] المقري، نفح الطيب ، 111:2 / 408:3.

[3] الإدريسي ، زاد المسافر:70.

[4] ابن خاقان، قلائد العقيان، 2: 579.

لجأ الشعراء إلى توظيف الأساليب الإنشائية الطلبية ، من" أمر، ونهي، واستفهام ونداء " محاولين بذلك تحقيق مكنونات ذاتية بطريقة إنفعالية ، فنلحظ أن شعراء الهجاء يأمرون وينهون أحيانا ، ويستفهمون وينادون أحيانا أخرى، وكان هذا التوظيف نتيجة المشاعر المتضاربة ، التي تنسجم مع طبيعة المواضيع التي تطرقوا إليها في شعر الهجاء.

المبحث الثالث: التكرار

المطلب الأول: التكرار وأغرضه

التكرار تعبير أدبي يعني تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير[1]،وتؤكّد نازك الملائكة أن التكرار قد عرف منذ الجاهلية قائلة:« والتكرار معروف للعرب منذ الجاهلية الأولى، وقد ورد في الشعر العربي بين الحين والآخر... ومن المؤكّد أن هذا الاتجاه نحو الأسلوب التعبيري ما زال في إطراد، ذلك أن أسلوب التكرار يحتوي على كلّ ما يتضمّنه أي أسلوب آخر من إمكانيات التعبير ».[2]

ويعتبر السبهاني أن التكرار من البُنى الأساسية في النص، فيقول:« يمثل التكرار أحد البنى الأساسية من بنيات النص الشعري وعنصرا من عناصر التوافق اللفظي في السياق الشعري، ويترك أثره الإيحائي على المستوى الدلالي والمستوى التركيبي على حدّ سواء، وتنبثق دلالته الشعرية من العلاقات التركيبية لتكوّن فسيحا لغويا يساهم في إثراء السياق اللغوي ».[3]

---

[1] محمد عبيد صالح السبهاني، الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 2012، ص 132.

[2] نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة ، بيروت، لبنان، ط1، 1962، ص230.

[3] محمد عبيد صالح السبهاني، الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي، ص 132.

في حين ترى نازك الملائكة أن للتكرار أثر كبير في إضاءة التجربة الشعرية والكشف عن ملامح قدرات الشاعر النفسية قائلة:« والتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلّم بها، وهو بهذا ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الذي يدرس الأثر ويُحلل نفسية كاتبه» [1]

أما محمد السبهاني فيرى أن التكرار، يكشف عن ملامح وقدرات الشاعر النفسية وطبيعة حياته، فهو ترديد لصدى الانفعال العاطفي والمونولوج الداخلي للشاعر، فيصبح هذا التكرار معادلا موضوعي للانفعال العاطفي، والتوازن الداخلي. [2]

وللتكرار أنواع عديدة منها تكرار الحروف، تكرار اللّفظ وتكرار الجملة:«التكرار طريق من طرق تأكيد المعنى وتكثيره وهو على ذلك سبيل من سبل المبالغة، وكما أنّ في زيادة الحرف والحرفين قوة للمعنى فكذلك لزيادة الكلمة والكلمة أو الجملة وهذه الزيادة تستوجب زيادة معنوية ».[3]

يخرج التكرار إلى أغراض بلاغية كثيرة ومعاني عديدة، يقول ابن الناظم:« التكرار إعادة اللفظ لتقرير معناه ويؤتى به لأغراض التنويه والتوبيخ » [4]

في حين يرى بسيوني عبد الفتاح فيود:« ويؤتى به لأغراض كثيرة منها إبراز المعنى وتقريره في النفس، ومن أغراض التكرار المبالغة في التحذير والتنفير».[5]

---

[1] نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص 242.

[2] محمد عبيد صالح السبهاني، الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي، ص 132.

[3] عبد الرحمن محمد الشهراني، التكرار مظاهره وأسراره، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، تحت إشراف: علي محمد حسن العماري، كلية اللغة العربية للدراسات العليا، فرع الأدب، المملكة العربية السعودية ، 1983، ص 30.

[4] إبن الناظم بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب ومطبعتها، مصر، (د ،ط)، (د، ت)، ص 232-233.

[5] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، ط4 ،1436 ،2015 ص 513-515.

وعن توظيف التكرار في شعر الهجاء، يرى ابن رشيق أنه مناسب للإزراء بالمهجو: « يقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة وشدة التوضيع بالمهجو ».[1]

المطلب الثاني:أنواع التكرار في الهجاء

وعند بحثنا عن صدى هذه الظاهرة لدى شعراء الهجاء ، ومدى قدرة السياق اللغوي على استقطاب هذه الظاهرة ، فإننا وقفنا على توظيف أنواع التكرار الآتية:

2-1 تكرار الكلمة:

وهو أبسط أنواع التكرار، ويشمل على تكرار وحدة لفظية واحدة [2] ، ومن أمثلة هذا النوع من التكرار ماورد في قول هارون الرّمادي: [3]

فليسَ كمنْ إن تسلْهُم عَطاءً يَمُدُّوا أيْديـــهُم للعطـــاءِ

وقول ابن عمار: [4]

سأكشفُ عِرضكَ شيئًا فشيئًا وأهْتِكُ سِتْرَك حالاً فحالاَ

وقول سعدونة: [5]

آخ الرّجـــــــال الأبـــا عِد والأقاربْ لا تساعدْ

إنّ الأقـــارِب كالعقـــــا رب أو أشدُّ من العقاربْ

تكررت لفظة "الأقارب" مرتين، و"العقارب" مرتين كذلك ، وأظهر هذا التكرار شدة الأذى الذي يلحقه الأقارب ببعضهم ، ليصل إلى أعلى مرتبات الألم ، فهو أشد من أذى العقارب.

---

[1] إبن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه 2: 76.

[2] نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص231

[3] الكتاني، التشبيهات، ص 254.

[4] صلاح خالص، شعر ابن عمار، ص 292.

[5] المقري ،نفح الطيب ،167:4.

وكرّر الوزير أبو بكر بن الملح لفظة "بُنيّ" مرتين، ليعبر عن شدة الوجع الذي تسبّب فيه إبنه ، ولا يخفى أن للتكرار في هذا المواضع كلها علاقة كبيرة بظروف قائله النفسية، فيقول:[1]

يا سَخْنةَ العيْنِ يا بُنيّا ليْتكَ لم تكُن بُنيّـــا

وينزع السميسر إلى أسلوب التكرار رغبة في تأكيده، وتحذيره من الأذى الذي يُلحقهُ رفاق وأقارب السوء: [2]

أقاربُ السُّوء داءُ سوءٍ فاحْمل أذاهُم تَعِشْ سعيداَ

وقوله أيضا: [3]

دعْهُ يَشْقَـــــى بِدائهِ فدَاؤُهُ عِلّـــةُ الـــــكَبِد

2-2- تكرار الألفاظ ذات الجذر الواحد:

ويقوم هذا التكرار على إشتقاق البنية الصرفية، إلى صيغ مختلفة للدلالة على معاني مختلفة [4]، ومن أمثلة ذلك ماورد في قول السميسر: [5]

حـــــَاسِدي لِي معذَّبٌ يتَقلّـــــى مِن الـــــحَسدِ

كرّر الشاعر لفظة "حاسدي" وظف الشاعر: "اسم الفاعل حاسدي التي اشتقها من فعل حَسَدَ، والذي اشتق منه كذلك اسم "الحَسَد".

في حين وظف أبوجعفر المصحفي الفعل المضارع "تخافني"، والفعل الماضي "أخافني" المشتقين من الفعل "خاف"، وتجسد غرض التكرار في المبالغة والتحذير والتنفير من ابن أبي عامر المنصور، حيث قال: [6]

---

[1] المصدر السابق، 4: 139.

[2] السميسر، الديوان، ص 19.

[3] المصدر نفسه، ص 83.

[4] نازك الملائكة، قضايا الأدب المعاصر، ص 239.

[5] السميسر، الديوان، ص 83.

[6] ابن الأبار. الحلة السيراء. 1: 267/ المقري، نفح الطيب ،1:422،421 /ابن عذارى البيان المغرب،3 :268

إنِّي أرَانِي واللُّيوثُ تخافُنِي فأخَافَنِي من بعْد ذاك الثَّعلبُ

ووظف الشاعر التكرار في قوله: [1]

فكيـــــفَ تنثُـــر نثراً وكيـــــفَ تَنظِمُ نَظْمـــــَا

وظف الشاعر التكرار من خلال إشتقاق الفعل "تنثر" الاسم "نظما" مع تكرار لأداة الإستفهام كيف، والغرض من هذا التكرار: التشكيك في شاعرية المهجو.

وتجسد التكرار في شعر السميسر في قوله: [2]

فإنّـــما حيُّكـمْ مـــيِّتٌ كأنَّمـــا مُحيِيكمُ عيـــــسَى

إذا كانَ مَنظُومكُمْ عندكمْ سِحْرا فمَنظُومِي عصَا مُوسى

إشتق الشاعر إسم المفعول "مُحييكم، والإسم" حيّكم، من كما وظف "منظومكم" ومنظومي على إشتقاق للبنية الصرفية، ويخرج التكرار إلى الوعيد والتهديد.

2-3-تكرار الأدوات والحروف:

قال ابن عبد ربه: [3]

أيْن الزّيجُ والقانونُ والأركند والكمـــــهْ؟

وأيْن السِّندهندُ البُطْ لُ والجدْولُ هل ثمَّه؟

نلحظ تكراره "أين" الإستفهامية مرتين متتاليتن، وكان لهذا التكرار أثره في التأكيد على فكرة الشاعر، التي ترمي إلى شدة التّنكيل بالمُنجّمين، كما نلحظ تكراره لحرف العطف "الواو" خمس مرات متوالية للربط بين الجمل الشعرية المتوالية لأجل تحقيق الإتساق والإنسجام بين معاني المقطوعة الشعرية.

كما ركّز الشاعر أبو إسحاق الإلبيري على توظيفه للتكرار، من خلال توظيف أداة الإستفهام "كيف" والتي كرّرها ست مرات، وخمس مرات متوالية في بنية تجاورية التي كان

---

[1] ابن سعيد، المغرب 2: 184/ المقري، نفح الطيب، 3: 388.

[2] السميسر، الديوان، ص 100.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، الديوان، 157.

لها أثرها الجمالي التعبيري في شد انتباه المتلقي ، وفي تأكيد لفكرة الشاعر التي تهدف إلى تحديد الإستفهام "بكيف" الذي خرج إلى التحذير والتنفير من اليهود ، وتجسد ذلك في قوله: [1]

فكيف اخْتفتْ عنك أعيانـُهم وفي الأرضِ تضرِبُ منها القرونْ
وكيــف تحــبٌ فِــراخ الزَّنـا وهــم بغَضُوك إلـى العــالمـِيـنْ
وكـيف يتـمَ لـك المُـرتـقـــى إذا كنــت تبــني وهم يهدمـــونْ
وكيــف استــنمْت إلى فاسـقٍ وقـارنْتـهُ وهـو بِـيس القـرِيـــنْ

وعلى ضوء ما سبق من توظيف الشعراء للتكرار، والذي كان له الأثر في التأكيد على أفكارهم التي يدعون إليها، بقصد تبليغ المهجو وتحسيسه بأماكن الزلل والخطأ.

المبحث الرابع: تجليات التناص في شعر الهجاء

التناص مصطلح ألسني نصي حديث، إتضح مفهومه في كتابات جوليا كريستيفا وهو بتعريف فيليب سولرس: « كل نّص يقع في مفترق نصوص عدّة فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها، وإحتدادا، وتكثيفا ونقلا وتعميقا» وبهذا يصبح التناص بتعبير رولان بارت:« جيولوجيا كتابات تعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها في نص مركزي يجمع بين الحاضر والغائب في نسيج متناغم مفتوح، قادر على الإفضاء بأسراره النصية لكل قراءة فعّالة».[2]

ومن أنواع التناص الواردة في الهجاء السياسي والاجتماعي، التناص الديني والتناص الأدبي.

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 109

[2] مصطفى السعدني، التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، (د، ط) 1991، ص 08.

المطلب الأول: التناص الديني

يعتبر القرآن الكريم المرجع الأول و النص السامي المقدس، الذي يلجأ إليه الشعراء فهو يفيض بالصياغة الجديدة و المعنى المبتكر، يصوّر تقلبات وخلجات النفوس، فصوره تغني عن أي تعبير آخر، فتوظيفه أو الإقتباس منه يتفاعل مع إبداع الشاعر، ليخلق تشكيلا فنيا خاصا متناسقا، تطرب له الأذن وتطمئن له القلوب. [1]

فالتناص الديني هو تداخل النص مع نصوص دينية معينة ، عن طريق الإقتباس والتضمين من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف ، ويعتبر القرآن الكريم كتاب المسلمين الأكبر، ودستور البشرية الأعظم ووحي السماء ، الذي نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد –صلى الله عليه و سلم– فكان أعظم معجزة لأعظم نبيّ.

وأقل ما يوصف به هذا الكتاب أنه مثبت العقول ومداوي القلوب المريضة، يروي النفوس العطشى، ويندّي الجوانح الظّمأى، ويهدي النفوس الضّالة ويحي الضمائر ويجلّي صدأ الأرواح ويزيل ما ران على الأفئدة... بالبراهين الواضحة والآيات البيّنة ويحقق لمن إهتدى بهديه وسار على ضوئه سعادة الدنيا والآخرة . [2]

تجليات التناص القرآني في شعر الهجاء:

ظهرت ملامح التناص الديني بصورة جلية في شعر الهجاء الأندلسي، حيث يعد القرآن الكريم مصدرا أساسيا مهما في ثقافته، فقد اقتبس الشعراء من القرآن بعض ألفاظه وتراكيبه، واغترفوا من نبع معاني القرآن جملة، أو يضمّنّ شعره أثرا من روح القرآن ووحيه.

---

[1] ينظر: جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر، الجزائر، (د.ط) ،(د.ت) ص 167.

[2] مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف جلال حربي وشركاه الإسكندرية ، مصر، (د، ط)، 1987، ص 137.

وفي باب هجاء الحكام إستلهم شعراء الأندلس من القرآن معان عديدة، تتناسب ومقام الهجاء ، فقاموسهم الشعري يحتوي على الكثير من المعاني القرآنية ، التي أكسبت لغتهم الشعرية سمة بارزة ، تتحلى بها خلال من هذه التراكيب المقتبسة من لغة القرآن وأسلوبه .

تجسد التناص الديني في قول هارون الرمادي في هجائه لبني مروان وتجرّعهم عن كأس الهزيمة قائلا [1]:

واعذُرْ أُميَّة أن تغصَّ بِرِيقِهاَ فالمُهْلُ ما سَقَيْتهُ والغِسْلينُ

الآيات القرآنية التي تنطبق والمعاني التي يريدها الشاعر، وظفها للنيل من بني مروان لأنه كان مواليا لمعز الدين الفاطمي.

يتناص الشاعر وقوله تعالى: ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [2] ، والغسلين، وقوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [3]

ويتجلى التناص الديني في قول ابن خلدون في هجاء سليمان المستعين،حينما انتزع الخلافة من المهدي ، وانتشرت جنوده في قرطبة : [4]

لا يرحمُ الله سليمانـكمُ فإنّه ضدَّ سليمـــــان

ذاكَ بهِ غُلَّتْ شَياطينُها وحَلَّ هذا كلّ شيطـــان

في هذه الأبيات إشارة وتناص مع قصة النبي سليمان عليه السلام ، في تشبيه المهجو بالنبي سليمان ، وإن كان الله عز وجل قد سخر لنبيه سليمان الشياطين والجن يعملون بأمره ، فإن الحاكم سليمان المستعين، قد سخّر لنفسه من الجنود، والذين مثلهم الشاعر بالشياطين ، الذين عاثوا في قرطبة فسادا ودمارا ، قال تعالى﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى

---

[1] هارون الرمادي، الديوان: 128.

[2] سورة الدخان ، الآية: 45.

[3] سورة الحاقة الآية : 30.

[4] المقري، نفح الطيب، 1: 249

بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [1]

وفي الأبيات الموالية يرى الشاعر أن الملوك قد غدوا في مجالسهم كعجل بني إسرائيل، فملوك الطوائف المتشبثون بمناصبهم ، ليس لهم صوت مسموع ، إلاّ صوت سلطتهم الجائرة الظالمة المتجبرة ، ولكن لاجدوى ولا فائدة من هذا الصوت، بل إنه يجسد ضعفهم الشديد أمام الأمم النصرانية المتكالبة عليهم، يقول الشاعر أبو حفص الهوزني:[2]

أرَى المُلوكَ أصابتْهم بأندلسَ دوائِر السُّوءِ لا تُبْقِي ولا تذرُ
تلقاهُ كالعجْلِ معْبُودا بمَجْلسِهِ لهُ خُوارٌ ولكنْ حشْوهُ خَــوَرُ

تأثر الشاعر بالقرآن واضح ففي البيت الأول نلاحظ أنه قد اقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [3]، ومن قوله عزّ من قائل﴿ لاتُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[4]، وفي البيت الثاني يتناص الشاعر والآية الكريمة من قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [5]

ويستلهم السميسر من القرآن الكريم صورة لهجاء ملوك الطوائف ، إذ يصوّر عاقبة الملوك الظالمين وحكم الله عليهم بعد عدوانهم وظلمهم، قائلا: [6]

---

[1] سورة ص ،الآية :36-39.

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 219-220

[3] سورة التوبة، الآية: 98.

[4] سورة المدثر، الآية،: 28.

[5] سورة الأعراف، الآية 148.

[6] السميسر، الديوان، ص 108.

ذلُّوا وقدْ طالما أذلُّوا دَعْهم يذُوقوُا الَّذي أذَاقُو

يتناص معنى هذا البيت مع قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [1]

وفي قوله: [2]

وجبَ القيَامَ عليكُم إذْ بالنَّصَارى قُمْتُمُ

استعان الشاعر بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [3]

ويسترسل السميسر في الإستلهام من القرآن الكريم قائلا: [4]

لا تُنْكِرُوا شقَّ العَصَا فعصَى النبيّ شقَقْتُمُ

وفي ديننا لا عدول عن طاعة الله وطاعة نبيه، والإسلام لا شقاق ولا نزاع فيه، إلّا أن ملوك الطوائف، قد خرجوا عن طاعة الله ورسوله الكريم، بتفريطهم في الدين ووطنهم الأندلس ، فيقتبس السميسر من القرآن ، مبينا جزاء وعاقبة ذلك، مستشهدا بقوله تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[5] وقوله:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [6]

---

[1] سورة يونس، الآية : 52.

[2] السميسر، الديوان، ص 118.

[3] سورة المائدة، الآية : 51.

[4] السميسر، الديوان، ص 118.

[5] سورة النساء ،الآية: 115.

[6] سورة الأنفال ، الآية : 13.

وفي هجاء السميسر للمعتصم بن صمادح عندما اشتغل ببناء قلعة محصنة متناسيا أو ناسيا عاقبة مايفعل من سوء ، فيقول: [1]

دعوهُ يبْنـــــِي فســـــوفَ يَدرِي إذَا جاءتْ دورةُ القديــرِ

متناصا مع قوله تعالى﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾[2]

ويقول ابن عصفور الحضرمي في هجاء ملوك الطوائف مشيرا إلى فداحة أخطائهم وزلاتهم، ناسين المنقلب الذي سيؤولون إليه: [3]

في سورَةِ الحَشرِ آياتٌ مُفَصَّلَـــةٌ في شَأنِكُم أُنزِلَــت لم تَعْدُكُــمْ عَــدَدَا

نعم وفِي الكهفِ العشرينَ خَاتمــةٌ تقْضِي عليكُـــــم ألاَّ تُفْلْحُوا أبـــدَا

فالشاعر يشير إلى الآيات الكريمة وما تحمله من معان تنطبق وحال ملوك الطوائف ففي البيت الأول إشارة لقوله عز وجل: ﴿ لا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾[4] ، وفي البيت الثاني تناص مع قوله تعالى﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ﴾ [5]

واستلهم أبو إسحاق الإلبيري من القرآن الكريم، في قصيدته المناهضة لليهود ووزيرهم، وفي ذلك يقول محمد زكريا عناني:«من جوانب التوفيق في نونية الإلبيري الإستعانة بالمعاني الدينية الإسلامية، وهذا بلغ ذروته في البيت الأخير الذي يخلف

---

[1] السميسر، الديوان، ص 98.

[2] سورة الشعراء، الآية :227.

[3] ابن عذارى، البيان المغرب، 111:3.

[4] سورة الحشر، الآية: 20.

[5] سورة الكهف، الآية: 20.

في نفس السامع أثرا قويا يظل يرن في الآذان طويلا محققا الغاية التي رمى إليها النص».[1]

في القصيدة تنبيه للأمير باديس لما يقترفه وزيره من تجاوزات خطيرة ومحاولته الطعن في الدين والإستهزاء به، فيقول: [2]

ويضحكُ منأَّ ومنْ ديننَا فإنّـــا إلى اللهِ راجونَا

يشير الشاعر لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[3]

وفي محاولة منه للتحذير من صحبة الفاسقين محذّرا باديس من دسائس اليهود، مذكراً إياه بحكم الله في اتخاذ الكافرين أولياء، قائلا: [4]

ولا تتَّخذْ منهمُ خادماً وذرهُمْ إلى لعنةِ اللاَّعِني

يتناص الشاعر مع قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾[5]

وفي هجائه لليهود، نلاحظ نعتهم بالقرود للسخرية منهم، ولقد أتى لفظ القرد في قصيدته مفرداً يوحي به للوزير، وجاء في صيغة الجمع ، ليشير إلى رهط الوزير وأتباعه من اليهود، ونحن نعلم كم تحمل هذه اللفظة من قبح ومن بذاءة ، يقول الإلبيري: [6]

فكمْ مِنْ مُسلمٍ فاضلٍ قانتٍ لأرذلِ قردٍ من المُشركين

---

[1] محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي، ص 130.

[2] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 111.

[3] سورة البقرة، الآية: 156.

[4] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 110.

[5] سورة آل عمران، الآية 28.

[6] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 108.

في البيتين إشارة لقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[1] ، وقوله :﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [2]

وهدف الشاعر من توظيف هذا الإقتباس من القرآن الكريم، التذكير بالتشويه والمسخ الذي سلطه الله على اليهود المعتدين، فيثير بذلك الإشمئزاز منهم، لأن اليهود كفروا بآيات الله كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويفسدون في الأرض، فسلط الله عليهم الذلة والمسكنة فهم بمثابة الوباء الخبيث الذي يجتث صدر الأندلس، ولأن من شيمهم الكره الخيانة الظلم،الدعوة إلى التمزق وتفريق الشمل.

وختم الإلبيري قصيدته ببيت، بث فيه روح التفاؤل والإيمان بنصر الله للمسلمين ضد اليهود قائلا: [3]

وراقبْ إلهكَ فِي حِزْبِهِ فحِزبُ الاله هم الغالبون

يذكر بقوله عز وجل:﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [4]

وفي هجاء النصارى إستعان ابن عبد ربه بالقرآن الكريم، يصور لنا مقاتلي حصن بلاي ويصف لنا هزيمة جيش النصارى على يد جيش الأمير عبد الله المرواني، الذي هزمهم شر هزيمة ، وهي معركة بين الإيمان والكفر، استدعى الشاعر المعاني التي تحكي الهزيمة للذين كفروا من الأمم الغابرة ، ويؤكد على كفرهم وإمعانهم واستمرارهم في ظلالهم على الرغم من وصول رسل الهداية إليهم، متمثلة في جنود الأمير عبد الله المرواني

---

[1] سورة البقرة، الآية: 65.

[2] سورة الأعراف ،الآية : 166.

[3] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص112.

[4] سورة المائدة، الآية : 56.

فهم نجس ورجس، لا بد من إستئصال شأفتهم وقتلهم فأصابهم ماأصاب قوم لوط عليه السلام من قبل: [1]

لمَّـــــا جفلْن من بَلاي عَشيَّة ... أقْوتْ معاهدُهاَ علـى الإدْلاجِ
فكأنَّما جاسَتْ خِلال ديَـــارهم ... أسْدُ العرينِ خَلتْ بسربِ نعاجِ
ونجاَ حفصُونَ ومنْ يكن الرَّدى ... والسَّيفُ طَالبهُ وليسَ بـــناجِ
في ليلةٍ أسْرتْ بهِ فكأنّمـــــا ... خِيلتْ لديـــــهِ ليْلـةَ المِعراجِ
مازالَ يلقحُ كلَّ حربٍ حائـــلٍ ... فالآن أنتجهـَــــا بشّرِ نتـاجِ
فإذَا سألتَهُم موالـِي من هــمُ ... قالُوا: مَوالــِي كلَّ لـــيلٍ داجِ
ركبُوا الفِرارَ بعصبةٍ قد جَرَّبُــوا ... غبَّ السُّرى وعواقــِبَ الإدلاجِ
سُدّتْ فجاجُ الخافِقينَ عليهــمُ ... فكأنما خلقا بغيـــر فجـــاجِ
نكصَتْ ظَلالتُهم على أعْقابِها ... وانصاعَ كُفرهُمْ علـَــى الأدْراجِ

في البيت الثاني من قوله: "فكأنما جاست خلال ديـــــارهم" إشارة الى قوله تعالى ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ﴾ [2]

وفي قوله "نكصت ظلالتهم على أعقابها" إشارة إلى قوله تعالى يوم معركة بدر الكبرى لما نكص الشيطان على عقبيه فولى مدبرا ، كذلك كان حال ابن حفصون، لما رأى أن الغلبة للمسلمين ولَّى مدبرا، فاقتبس الشاعر من قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤٨ ﴾[3]

---

[1] ابن عبد ربه ، الديوان ، ص 40-41.

[2] سورة الإسراء، الآية: 05.

[3] سورة الأنفال، الآية:48.

وفي هجاء ابن عمار للوزير ابن طاهر، وظف التناص الديني مشيرا بأن قدوم ابن طاهر لبلنسية وحكمه لها، نذير شؤم عليها وعلى قاطنيها، فيقول: [1]

ما كنتُمُ إلاّ كأمَّةِ صالحٍ فرماكمُ من طاهِرٍ بقَـدارِ
وأرى بلنسيَّة وأنتَ قدارُها سينَالُها التَّدميرِ من تدميرِ

وقد تناص مع قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤﴾[2]

فقذار عاقر الناقة هو الذي جلب على قوم صالح أشد العذاب بعصيانه لربّه، وينجح ابن عمار في توظيفه للتناص، فينزل ابن طاهر منزلة قذار بن سالف كنذير للشؤم والهلاك ، ووظف ابن عمار معنى آخر من معاني القرآن الكريم، في تصويره للنكث بالعهد فيقول: [3]

نكثَ اليمينَ وحادَ عن سُننِ التُّقى وقضَى علَى الإقبالِ بالإدبارِ

يتناص الشاعر في بيته مع قوله تعالى:﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ [4] ، وقوله تعالى:﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ١٠﴾ [5]

وقال ابن عامر الأصيلي في هجاء عمال بن ذي النون وذم رؤساء حصونه ، الذين غرتهم الحياة الدنيا، عندما نهبوا خيرات الأندلس، فتغطرسوا واغتروا بما لديهم،مثل فرعون

---

[1] صلاح خالص، شعر ابن عمار، ص 288.

[2] سورة الشمس، الآية: 12-14.

[3] صلاح خالص، شعر بن عمار، ص 288.

[4] سورة التوبة، الآية: 12.

[5] سورة الفتح، الآية:10.

تماما الذي إفتخر بملك مصر، وبما كان له من جنات ونعيم ، فنادى قومه أن كل ملك مصر بيديه ، وفي ذلك يقول الشاعر: [1]

يَحسِدُ فرعــونَ علــى قَوْلِـــــهِ ((وهَذِهِ الأنْهارُ مِن تَحْتِي))

مشيرا لقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [2]

وفي هجاء أرباب الحرف والمهن، إغترف الشعراء من معين القرآن الكريم، وأكثر فئة صوبت لها سهام الهجاء هم الفلكيون، ويظهر التناص في بيت ابن عبد ربه، الذي أوجد علاقة تربط بين معنى الهجاء وما يستقى من النص القرآني: [3]

ما أنتمُ شيءٌ ولاَ علْمكمُ قدْ ضعُفَ المطلُوبُ والطَّالبُ

تُغالبونَ الله في حُكمهِ والله لا يغلبـــــــــــهُ غالبُ

في البيت الأول إشارة إلى الفلكيين وتنبؤاتهم الخاطئة، إستعان ابن عبد ربه بمعاني القرآن الكريم، مقتبسا بما يراه مناسبا في الرد عليهم، يستهزئ ويستخف بعلمهم الذي إدّعوا به تأخر نزول المطر، فكذبهم الله بفضله، ونزل الغيث ، وقد تناص الشاعر مع قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [4]

---

[1] العماد الأصفهاني الكاتب، خريدة القصره وجريدة العصر، 2: 311.

[2] سورة الزخرف، الآية: 51.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، الديوان، ص 30-31.

[4] سورة الحج، الآية: 73.

وفي البيت الثاني رد من الشاعر على الفلكيين ، أن كل شيء بأمر الله تعالى، أما إدعاءاتهم وتنبؤاتهم الباطلة، وتدخلهم في شؤون خلق الكون ، وظواهره الطبيعية سواء كانت مطرا أو غيره ، تدخل في سنن الله ، وقد تناص الشاعر مع قوله عز وجل ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾. [1]

ولقد استلهم شعراء الهجاء في هجاء أو البشرية، التي حادت عن معالم الإنسانية الكثير من المعاني، المستوحاة من القرآن الكريم ، في الحسد والنفاق، وإلحاق الضرر بالبشر والبخل، وغيرها من الصفات التي يأباها الذوق العربي والإسلامي.

ومن التناص ماورد في قول ابن عبد ربه في هجاء البخلاء: [2]

عذِيرِي من خَلَفٍ تخلَّف منهُمُ غباءٌ ولؤمٌ فاضحٌ وجَفـــــــاءُ
حِجارةُ بُخلٍ ماتجودُ وربـــــما تفجَّر من صُمّ الحِجارة مـــــاءُ
ولو أنَّ مُوسى يَضربث بالعصَا لما انْبَجَسَتْ من ضرْبِه البخلاءُ
بقاءُ لئامِ النَّاسِ موتٌ عليهـــمُ كما أن موت الأكرمين بقـــــاءُ
عزيزٌ عليهمْ أن تجودَ أكفّهـــمُ عليهم منَ الله العزيز عفـــــاءُ

اقتبس ابن عبد ربه معان قرآنية للبخل ، ولكنها تأتي في صورة معاكسة عما جاءت عليه في القرآن الكريم، وورد الإقتباس البيت الثاني والثالث، حيث يرى ابن عبد ربه أن البخلاء صنف من البشر، لا نتوقع منهم الخير أبدا، فهم قساة كالحجارة أمام العطاء والكرم بل هم أشد قسوة من الحجارة، لأن من الحجارة ماتفجر منه الماء مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ

[1] سورة يوسف، الآية: 21.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، الديوان، ص15-16.

ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [1].

وفي صورة أخرى للبخلاء قدمها ابن عبد ربه ، في قالب يزري فيه بالبخلاء، يؤكد فيها على تمكن البخل منهم، فغدى صفة ملازمة لهم، فالجود و الكرم كصفة فيهم ضرب من المستحيل، فاستعان بصور قرآنية ، تحكي سيدنا موسى عليه السلام ، حين استسقاه قومه فكانت معجزته أن ضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشر عينا من الماء أما البخلاء فهم أشد قسوة ، حتى وإن جاء موسى عليه السلام ليضرب عليهم بعصاه لما انفجر منهم الكرم والعطاء ، فاقتبس الشاعر آية كريمة من سورة الأعراف: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [2]

وفي بيتين للقاضي منذر بن سعيد يشير فيهما إلى جهل الرواة بما حملوا من علم الحديث ، وعدم تفقههم في ما حملوا من علوم، وعدم تفكرهم وتدبرهم فيها قائلا: [3]

انْعقْ بما شِئْتَ تجدْ أنْصاراَ ورُمْ أسْفاراً تجدْ حِماراَ

يَحمِل ما وضعتَ من أسْفار يَحمْل كمثلِ الحمـــارِ

وحمل التناص في السياق الشعري نفس دلالة ومعاني الآية الكريمة من قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [4]

---

[1] سورة البقرة، الآية :74.

[2] سورة الأعراف، الآية: 160.

[3] ابن عبد البر النمري، جامع بيان العلم وفضله، 2: 1032.

[4] سورة الجمعة، الآية: 5.

وفي الحسد يقول السميسر: [1]

حاسِدي لِـي مُعذّبٌ يَتقلَّى من الحسدِ

في البيت إشارة لقوله تعالى:﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾[2].

وعن الأصحاب الذين يحملون داء السوء يلهج لسان السميسر قائلا: [3]

أقاربُ السُّوءِ داءُ سوءٍ فاحْمِل أذاهُم تعشْ حميـداَ

ومن تكُن قرحةٌ بفيــهِ يصبر على مصِّه الصَّديدا

يظهر التناص في البيت الثاني، في قوله "مصه الصديد" فالشاعر يقتبس من قوله تعالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [4]

وفي هذا البيت معان توحي بأن الشاعر يعاني من الإغتراب النفسي ، حتى وهو بين بني جلدته، فصار يتوجس كل الحيطة والحذر منهم، وقد أنزلهم منزلة الشياطين قائلا: [5]

فمَهمَا بداَ منهمُ واحدٌ أقُلْ أعوذُ بربِّ البَشرْ

ومضمون هذا البيت مأخوذ من قوله تعالى:﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾[6].

وفي توظيف للتناص الديني، الذي تسحر صورته ذهن المتلقي ، حين ذم السميسر شعراء عصره الذين نهجوا سبل النفاق، من خلال مدحهم لملوك الطوائف وهم في مقام لا يخوّلهم للمدح بل للذم فقط ، يرفع السميسر صوت الهجاء عاليا، محذرا من شعرهم

---

[1] السميسر، الديوان، ص 83.

[2] سورة النساء، الآية: 54.

[3] السميسر، الديوان، ص 81.

[4] سورة إبراهيم، الآية: 16.

[5] السميسر، الديوان، ص 92.

[6] سورة الناس، الآية: 01.

الذي هو كالسحر، يسحرون به آذان ملوكهم بالمدائح الزائفة، فجعلهم في منزلة سحرة فرعون، الذين كانوا يخدعون الناس بأسحارهم، أما شعر السميسر هو بمثابة عصا موسى التي ستبطل كل مفعول أسحارهم، في تصويره لصراع يدور بين الحق والباطل، فيقول: [1]

إنْ كان منظُومُكمْ عندكمُ سِحرَا فمَنظُومي أنا عصَا مُوسىَ

وقد حمل التناص في السياق الشعري، نفس دلالة ومعانى الآية الكريمة من قوله تعالى ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ ﴾ [2]

أراد السميسر من خلال توظيف هذا التناص ، إزالة الوهم الذي سلطه الشعراء بمنظومهم من خلال المدح ، فعلى السمسير كشف زيفهم ونفاقهم ، وإن كانت العصا في السياق القرآني أداة لكشف وَهْم السحرة وخداعهم ، فإن منظوم السمير سيكشف زيف منظوم شعراء عصره، في مدحهم لملوك الطوائف.

وثمة قصص قرآنية كثيرة إستوحى الشعراء منها معانيهم، وألفاظهم للإيقاع بمهجويهم، كقصة عاقر الناقة، وقصة قوم ثمود، وتستوقفنا قصة السامري من بني إسرائيل، حيث وظّف أبو بكر الزبيدي معنى هذا القصص في هجاء الناس قائلا: [3]

أَشْعرنَّ قلبَكَ ياسـاَ ليسَ هذا الناسُ ناساَ

ذهبَ الإبْريزُ مِنْهمُ فبَقُـوا بعدُ نُحاســاَ

سامريِّين يقُولـــــو نَ جميعــاً لا مساسَا

[1] السميسر، الديوان، ص 110

[2] الأعراف، الآية: 117-118.

[3] المقري، نفح الطيب، 3: 475 .

وظف الشاعر معاني الآيات الكريمة من سورة الأعراف:﴿ فَمَاقَالَ خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ [1]

ولما عدم ملوك الطوائف رشدهم، باتباعم سبل الغي والعمى، ظلوا وأظلوا معهم رعيتهم، فأنزلهم الشاعر منزلة الأصنام، التي أظلت كثيرا من الناس، بعبادتهم لها فيقول ابن رزين: [2]

هذا يَغوثُ بــل أظ لُّ وذا يعوقُ وذاكَ نسرا

تناص الشاعر و الآيات الكريمة من سورة نوح ، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ [3]

واستعان بعض الشعراء في التعبير عن المعاني بقصص الأنبياء عليهم السلام ومن الأنبياء: موسى وعيسى وسليمان ونوح عليهم السلام، ونجد ذلك في قول الشاعر أبي الأصبغ منبها الوزير لعاقبة التكبّر، مذكراً إياه بأنه آدمي عادي، لا يرقى إلى مصاف الأنبياء ، الذين تواضعوا للناس، فيقول: [4]

أنتَ عيسَى بن سعيدٍ لسْتَ روحَ الله عيسَى

كلّم النّــاس فقد كلّـ مَ ربُّ النَّــاس مُوسى

في البيت الثاني اقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [5]

---

[1] سورة طه،الآية : 95-97.

[2] ابن خاقان قلائد العقيان1:157 /ابن بسام الذخيرة، 1/3: 116.

[3] سورة نوح، الآية: 24/23.

[4] ابن سعيد ،المغرب 111:2

[5] سورة النساء، الآية: 164.

وتتجلى إستعانة الشعراء كذلك بالقرآن الكريم في أهاجيهم، في توظيف أسماء بعض سور القرآن الكريم، من أجل إبراز معانيهم وتوضيحها، ومن ذلك توظيف يحي الغزال لسورتي "طه وغافر" ، في هجاء لاذع للقاضي يخامر الشعباني، الذي لا يميز بين الشعر والقرآن فهو لايفقه في القرآن شيئا، فهجاه الشاعر قائلا: [1]

لقد سَمعتُ عجيباً مِن آبداتِ يُخامرْ

قرأَ عليـــهِ غلامٌ طه وسُورة غافرْ

قال منْ قــالَ هذا هذا لعمْري شاعرْ

وقد مرّ بن توظيف الشاعر ابن عصفور الحضرمي لسورتي الحشر والكهف: [2]

في سورة الحشر آيــــاتٌ مفصَّلــةٌ في شأْنكمْ أُنزلتْ عليكمْ تعدُّكم عَدداَ

نعم وفي الكهف في العِشرين خاتمةٌ تقضِي عليكُم أن لا تُفلـــــــحُوا أبداَ

وعلى ضوء ما سبق نلحظ أن التناص بالمعنى القرآني قد ورد كثيرا في شعر الهجاء، مما يدل عل تشبعهم بالثقافة الإسلامية، وأنهم تعاملوا مع النص القرآني تعاملا واعيا، لتدعيم مواقفهم، كما بيّنوا قدرتهم وبراعتهم في مزج العناصر القرآنية بالمادة الشعرية.

المطلب الثاني:التناص الأدبي

2-1التناص مع الموروث الأدبي:

وننتقل الآن إلى نوع آخر من التناص، وهو التناص الأدبي، الذي عرّفه محمد ناصر بقوله:« هو تداخل النص مع نصوص أدبية سواء كانت للكاتب نفسه، أو لأدباء آخرين مزامنين له وسابقين له ، سواء ينتمون إلى ثقافته أو لا ينتمون لهذه الثقافة، وتحفل

---

[1] يحي بن الحكم الغزال، الديوان، ص 151-152.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، 111:3.

النصوص الشعرية العربية بالانفتاح على الشعر العربي القديم، والحديث حيث نجد تداخل في النصوص ».[1]

تجسد التناص الأدبي في هجاء ابن هانئ الأندلسي لبني أمية: [2]

وتلك بنو مروان نعلا ذليلة لواطئ أقدام وأنت لهـا شسع

يتناص مع الشاعر البعيث[3] في قوله: [4]

وكلّ كليبي صفيحة وجهه أذل على مشي الهوان من النعل

والمعنى أن دولة بني مروان ذليلة، كالنعل يطأها بقدمه من يشاء، وأنت ملاكها أي قوامها، كما أن الشسع هو قوام النعل وهو من قول البعيث.

وقول ابن هانئ أيضا: [5]

ولو سَرقُوا أنسابهم يوم فخرهمُ ونزوتُهم ما جازَ في مثلها القطعُ

وفي قول ابن عبد ربه، مصورا لحالة الحرب وماتنتجه، لكن نظرته لنتائج الحرب إختلفت عن زهير بن أبي سلمى ، فزهير قد صور لنا الحرب بصورة مفزعة بويلاتها فهي ذميمة، نظرا لما تنتجه من شؤم وخراب ودمار، أما ابن عبد ربه فيرى أن الحرب

---

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985 ص 400.

[2] ابن هانئ الأندلسي، الديوان، ص 191.

[3] **البعيث المجاشعي**: (ت 134هـ/751 م): خداش بن بشر بن خالد أبو زيد التميمي المعروف بالبعيث، خطيب شاعر من أهل البصرة، قال فيه الجاحظ أخطب من تميم، كانت بينه وبين جدير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة. (ينظر: الزركلي، الأعلام،2: 302)

[4] البعيث المجاشعي، الديوان، تح ناصر رشيد محمد حسين، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، (د.ط) 1394،1974، ص21.

[5] ابن هانئ الأندلسي، الديوان، ص191.

تصقل معادن الرجال الأقوياء، خاصة إذا كانت بين الكفر والإسلام أو بين الحق والباطل فيقول في ذلك :[1]

ما زال يلقح كل حرب حامل فالآن انتجَها بشرٍّ نِتاجِ

ويظهر التناص جليا مع قول زهير بن أبي سلمى: [2]

فتَعْرَكُكُم عرْك الرَّحى بِثقالها وتلقحُ كِشافاً ثم تُنتج فَتفطـم

فتُنْتِج لكُم غِلمانَ أَشْأم كلُّهم كأحمر عادٍ ثم تُرضع فَتَفْطم

وتجسد التناص كذلك في قول الشاعر السميسر: [3]

يَبنِي على نَفسِه سَفاهـــــاً كأنَّـــــــه دُودة حَرِير

فالشاعر يتناص مع بيت أبي تمام القائل : [4]

وإنّ مَن يبْني حِيطاناً عليْه أولئك عقالاته لا معاقله

ويتناص كذلك مع قول ابن الرومي: [5]

ومن تحصّنَ مسجونا على وجلِ فإنّما حصنهُ سجنٌ لمَسجونِ

وأما في قول السميسر في هجاء الحسود: [6]

حاسدي لـــــــي معـــذبٌ يتقلـــــــى من الـــحسدِ

---

[1] ابن عبد ربه الاندلسي ، الديوان، ص61.

[2] زهير بن أبي سلمى، الديوان: تح علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408، 1988 ص 107.

[3] السميسر، الديوان، ص 98.

[4] أبو تمام ، الديوان ،شرح الخطيب التبريزي ، تح راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، ط2، 1414 1994، ص 15.

[5] ابن الرومي، الديوان، تح احمد حسن بسج، ج3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط3 ،1423 ،2002 ص381.

[6] السميسر، الديوان، ص 83.

في هذه المقطوعة يتحدث السميسر عن حسود يدرك تماما من هو ، فهو حاسد معذب مكمود من شدة الحسد، الذي يغدوا كالنار التي تلفح كبده ، فتسبب لها علّة إلاّ أن السميسر يقابل سهام حاسده بعدم الإهتمام واللامبالاة به، وقد تناص السميسر مع معني بيتي أبي تمام في ذم الحسود قائلا:[1]

وإذا أرادَ الله نشـــر فضيلـــةٍ طويت أتاحَ اللهُ لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ مـاكان يُعرفُ طِيبُ العـــــودِ

وتناص عبد الجليل بن وهبون مع النابغة الذبياني في قوله: [2]

فيا أذفونش يا مغرورُ هلاَّ تجنَّبتَ المشْيخة يـــا غلامُ
ستسأللك النِّساء ولا رجالُ فحدِّث ما وراءك يا عصامُ؟

يتناص مع قول الشاعر النابغة ضمن عجز البيت الثاني من قول النابغة الذبياني[3]:

ألم أقسِمْ عليك لتُخبرنِـي أمَحمُولٌ على النَّعشِ الهُمامُ
فإنّي لا أُلام على دُخولي ولكن ما ورائكَ يـــا عصامُ

ونقف أمام نوع آخر من التناص، وهو التناص بالإختلاف: وفيه يعتمد الشاعر المتأخر إلى توظيف أحد المكبوتات النفسية لنموذجه الفني، توظيف إبداعي بواسطة

---

[1] أبو تمام، الديوان،1: 213.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 1/2: 246.

[3] النابغة الذبياني، الديوان، تح كرم البستاني، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1383، 1963 ص110.

الزيادة في إخراج المعنى أو النقل أو القلب [1]، تناول المعاني السابقة عن طريق إخفائها بالنقل والقلب وتغيير المناهج والترتيب".[2]

قال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما عُزل وُولي مكانه من لا يساويه : [3]

ولا غروَ بَعْدي أنْ يَسُود معشُرٌ فيُضحي لهمْ يومٌ وليس لهم أمسُ

كذاك نجومُ الجوّ تبدُوا زواهراً إذا ما توارتْ في مغاربها الشمسُ

وقد تناول معاني البيت الثاني من قول النابغة الذبياني: [4]

فإنَّك شمسٌ والملوك كواكبُ إذا طلعْت لم يبدُ مِنهُنَّ كوكبُ

وإن كان الشاعر النابغة قال هذا البيت في مقام المدح، فابن مروان بن عبد العزيز قد عكس معاني المدح إلى الهجاء، عن طريق التناص بالإختلاف، فالممدوح هو الشمس والمهجو تجسد في الكواكب، التي لاتستطيع مضاهات الشمس.

وتأثر ابن حمديس بأبي تمام واضح في قصيدته، فالمتلقى بمجرد قراءته لقصيدة ابن حمديس في هجاء المنجمين، يستحضر رائعة أبي تمام في مدحه للمعتصم وهجائه للمنجمين ، والأبيات المتأثر بها :من قصيدة أبي تمام قوله:[5]

السّيفُ أصْدقُ أنباءً من الكتبِ في حدِّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ

بيضُ الصّفائِح لاسُود الصّحائِف فِي مُتونهّن جَلاءُ الشّك والرّيب

---

[1] عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،المغرب(د،ط)، 2007 ص43.

[2] المرجع نفسه، ص 43.

[3] المقري، نفح الطيب،408:3.

[4] النابغة الذبياني، الديوان، ص 18.

[5] أبو تمام، الديوان، شرح الخطيب التبريزي ،34:1.

أين الرِّوايةُ بل أينَ النُّجوم ومـا صاغوهُ من زخرفِ ومـن كذبِ
تخرُّصا وأحاديـثا ملفَّقــة ليست بنبـــعٍ إذا عُدَّتْ ولا غـــــرْبِ

وهجا الأبيض لابن حمدين قاضي قرطبة بقوله: [1]

يُريد ابن حمدين أن يعتفى وجدواه أنأى من الكوكبِ
إذا ذُكر الجودُ حكَّ اسْتهُ ليُثبت دعواهُ في تغلـبِ

فالأبيض في هذين البيتين يتناص مع قول جرير في هجاء الأخطل التغلبي وقومه في أنهم بخلاء يتنحنحون عند مقابلة الضيف، ويقومون بحركات دنيئة ، تدل على بخلهم وخساستهم، ونفس الحال كذلك مع القاضي ابن حمدين، يقول جرير:[2]

والتَّغْلِبّي إذَا تَنَحْنح للقِرَى حكَّ اسْتَه وتَمثَّل الأَمْثالاَ

2-2التناص مع الشخصيات التاريخية :

ليست الشخصيات نصوصا يتناص معها المبدع ، ولكن حولها هالة من النصوص والإيحاءات المرتكزة في الذوات الجمعية عن طريق قراءة تلك الشخصيات، ويتداخل تناص الشخصيات مع إستدعاء أو إستلهام الشخصيات التراثية،عن طريق آليات التوظيف المختلفة من رمز وقناع وغيره.[3]

ويعد الرمز وسيلة من وسائل الإنفتاح على النص الشعري،على خارجه والعالم وتأتي الرموز على نوعين رموز مفردات ، ورموز شخصيات، والرَّمزُ بعمومه هو كل مايحل محل شيء آخر في الدلالة عليه ، لا بطريقة المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء

---

[1] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ، 128:2.

[2] جرير، الديوان، تح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1406، 1986 ص 362.

[3] عبد المنعم جبار عبيد،التناص في شعر أحمد مطر ،أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها ،تحت اشراف سلافة صائب خضير ،جامعة بغداد ،كلية التربية ،ابن رشد قسم اللغة العربية 1429،2009، ص269.

أو وجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وتعد الشخصيات التراثية من إحدى أدوات إستجلاب الإبداع والاستعانة للدخول إلى عوامل إبداعية والحصول على معان جديدة.[1]

إستعان بعض الشعراء بالتاريخ وتوظيف بعض الشخصيات التاريخية المشهورة التي ارتبطت أسماؤها ببعض الصفات والقيم أو الأحداث الكبرى، والغرض من ذكر الأعلام في الهجاء، إقامة مفارقة والتهكم بالمهجو، ومن ذلك توظيف الشاعر ابن عمار "عامر الخيل" و"يزيد الخيل" في هجاء ابن عباد للتهكم به، والسخرية منه لادعائه البطولة والشجاعة والفروسية، فقال:[2]

أيا فارسَ الخَيْل يا يَزيدَهَا حَميْتَ الحِمَى وأبحْتَ العِيالاَ

ويتناص الشاعر ابن عبد ربه مع شخصية تراثية تعد مضربا ومثلا أعلى في الجود والكرم ومنها شخصية "حاتم الطائي" ورافقتها في نفس البيت شخصية لاتقل عنها أهمية في الكرم والجود وهي شخص "هرم بن سنان" لكن الشاعر يقف على الجانب المعاكس لهاتين الشخصيتن وهو البخل واللؤم للازراء بمهجوه والسخرية منه فيقول:[3]

أبا صالحٍ أينَ الكِرامُ بِأسْرِهم أفدني كريماً فالكريم رضـاء

أحقّا يقولُ النّاسُ في جُود حاتِم وابن سِنانَ كان فيهِ سخـاءُ

ويستدعي الشاعر ابن حمديس شخصية مسيلمة الكذاب، لهجاء المنجمين الكاذبين فيشبههم به ، ومسيلمة شخصية ترمز للكذب والفتنة واتباع سبل الغي والضلال بعد الهداية ، وحال المنجمين كحاله ، فيقول:[4]

إذا جالَ في علمِ الغيوبِ حسبْتهُ مُسيلمـةَ الكذَّاب قـامَ من القبرِ

---

[1] ينظر، عصام حفظ الله واصل، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، دار غيداء للنشر و التوزيع، الأردن عمان، ط1، 1431،2011، ص 151-153.

[2] صلاح خالص، شعر محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية تاريخية ، ص291.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي ،الديوان ص15-16.

[4] ابن حمديس، الديوان : 224،225.

وينجح الشاعر في توظيف شخصية "زرقاء اليمامة" التي اشتهرت بحدة البصر وبُعد النظر، فالمهجو يشترك مع الزرقاء في حدة البصر، ولكن الوجهات تختلف فللزرقاء حدة نظر وبعد بصر في الرؤية ، أما المهجو فله بعد نظر في كل بدعة وضلالة، ثم يعود ليعكس الصورة تماما ليوضح أن المهجو يعاني من ضعف البصر، فهو عن مسلك الحق أمرد لا يرى شيئا لأنه أعمى البصيرة ، فيقول: [1]

وذي نخوةٍ يختالُ ثانِي عطفهِ فلولاَ تناهِي لُؤْمهِ قُلتُ أصيدُ

له نظرةُ الزَّرقاءِ في كلِّ بدعةٍ لكنَّهُ عن مسلكِ الحـقِّ أمردُ

وعلى ضوء ماسبق من تتبع لظاهرة التناص في الهجاء الأندلسي، يتضح لنا جليا أن التناص قد احتل حيزا كبيرا في شعر الهجاء، وقد تنوعت ظواهرة بين التاص الديني والتناص الأدبي، وفي الغالب نجد أن التناص الديني قد احتل نسبة أكبر من التناص الأدبي، حيث ازداد التلاحم بين النص الشعري الحاضر والنص القرآني، وهذا ينم عن إدراك ووعي ومعرفة الشعراء بأغوار موروثهم الديني ، الذي وظفوه ، حيث أكسبوا شعر الهجاء نضجا فنيا.

المبحث الخامس:الصورة الشعرية

الصورة الشعرية هي الأداة التي يعتمدها الشاعر في التعبير عن حالاته النفسية لذلك يسعى من خلالها إلى الإبداع والابتكار، ولأن الشعر ليس عالما مسطحا، يتمكن منه القارئ دون عناء؛ إنما هو عالم سحري جميل يموج بالحركة والألوان... ولا يعترف بالحدود والأبعاد المنطقية، بل هو عالم يسعى لتجاوز والسعي وراء المطلق والإمساك به وتجسيده في تجربته الشعرية، سواء كان ذلك بالكلمة أو بالإيقاع أو الرمز أو الصورة. [2]

---

[1] ابن بسام الذخيرة 796:2/3.

[2] عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر ط 5، 2005، ص 57.

1. الصورة البيانية:

المطلب الأول:التشبيه

يعد التشبيه وجها من وجوه البيان، وفن من فنون البلاغة، يوضح المعاني ويؤكدها ويقربها إلى الأذهان[1]، وللتشبيه موقع حسن في البلاغة ، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها توكيدا وفضلا ويكسوها شرفا ونُبْلاً، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطوة، ممتد الحواشي متشعّب الأطراف، متوعّر المسلك، دقيق المجرى، غزير الجدوى، والتشبيه هو: « الدلالة على أن شيئين أو أشياء شاركت غيرها، في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه »[2] وللتشبيه روعة وجمال لإظهاره الخفي، فهو يدفع الخيال إلى التحليق لجلاء الصورة واستقصاء ملامحها الغامضة. [3]

ولسنا هنا في مجال الخوض في هذه المسألة على الرغم من أهميتها لأن ما يهمنا هو شعر الهجاء، ومدى اعتماد الشعراء على التصوير في إطار هذا الموضوع، وبعد هذه التوطئة سنحاول أن نسلط الضوء على جماليات التشبيه في شعر الهجاء السياسي والاجتماعي.

استوقفنا في نص شعري لابن هانئ الأندلسي، في ذم بني مروان بهجاء مقذع ومؤلم ، بعد أن طاردت كتائب المعز لدين الله الفاطمي بني أمية فتفرّق شملهم وصارت وجوههم سوداً كالاثافي من الذل والندامة قائلا: [4]

---

[1] إميل أبو ليل، علوم البلاغة، المعاني، البديع، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط 1، 1427 ، 2006 ص 149.

[2] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (د.ط)، 1425،2005، ص 219.

[3] محمد علي زكي صباغ ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، مراجعة ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، ط 1، 1418، 1998، ص 239.

[4] ابن هانئ الأندلسي، الديوان، ص 190.

كتائب شُلَّتْ فابذعرّت أمُيّة فأوجُهها للخِزي أثْفيةٌ سُفْعُ

ثم يعرض بهم فيحط من أنسابهم الشريفة، ويشبه دولة بني أمية بالنّعل التي يطؤها بقدمه من يشاء قائلا: [1]

وتلك بنو مروان نعلا ذليلةٌ لواطئ أقدام وأنت لها شسعُ

وقد جمع الشاعر في هذه الصورة التمثيلية بين التشبيه البليغ فالمشبه هو وجوه بني أمية التي اسودت إبّان هزيمتها فمثلها بالحجارة، التي يوضع عليها القدر، فتسودُّ بفعل النار والرماد"، وفي الشطر الثاني من البيت، أنزلهم منزلة الهوان والضعة، عندما شبههم بالنعل، التي يطأها بقدمه من يشاء، أما المعز لدين الله الفاطمي ، فقد شبهه بالشسع وهو قوام النعل.

وفي تشبيه بليغ يتجرّد من الأداة ووجه الشبه ، حيث شبه الشاعر ابراهيم بن ادريس العلوي بني أمية "بالأسود" وشبه مغتصب السلطة ابن أبي عامر بالثعلب" قائلا: [2]

غابتْ أسودٌ منكمُ عن غابهاَ وحازَ ضخْم المُلكِ هذا الثعلبُ

في هذا التشبيه نلاحظ أن الشاعر عندما حذف الأداة ووجه الشبه، كان مقصده أن يساوي بين المشبه والمشبه به "بني أمية بالأسود وابن أبي عامر بالثعلب".

وورد التشبيه في قول السميسر: [3]

سَكنْتُم يا رياحَ عادٍ وكلّ ريحٍ إلى سُكون

وهو تشبيه بليغ أنزل ملوك الطوائف في عتوّها وقوتها وفتكها بالرعية، برياح عاد التي سلطها الله عز وجل على قوم عادٍ.

وفي تشبيه مجمل يخلو من التفاصيل ، ذكر فيه الشاعر كل أركان التشبيه عدا وجه الشبه، الذي يجب على المتلقي أن يستحضره ، ويجب عليه أن يكون ملماً بثقافة

---

[1] المصدر السابق ، ص 190.

[2] المقري، نفح الطيب، 1: 591 / ابن عذارى، المغرب، 2: 274..

[3] السميسر، الديوان، ص 126.

معينة واسعة ، تجعله يستوعب ويستنبطه، والملاحظ على هذه الصورة أنها تثير القارئ لاستعمال عقله وفكره ، لتخيل الصورة الشعرية التي رسمها الشاعر ابن عمار قائلا: [1]

ما كنتم إلاّ كأُمّة صالح فرماهُم من طاهرٍ بقدارِ

لقد شبه ابن عمار ابن طاهر في الشؤم الذي سيجلبه على مرسية وأهلها بالشؤم الذي جلبه عاقر الناقة "قذار بن سالف" على قوم صالح ، جلب على قومه أسوأ الأقدار وأشد العذاب.

وعبّر السميسر عن معاناته من الإغتراب الروحي ، وهو بين بني جلدته "البشر" يقول: [2]

فلما رأيتُ جميع الأنامِ كذلك صرتُ كطير حذرْ

شبه السميسر نفسه بالطير الحذر التي يتوجس من الناس خيفة كلما رآهم وهي صورة تشبيهية ،لها إيحاءاتها الدلالية والوجدانية ترتبط بشعور أو بأحاسيس الشاعر.

وورد التشبيه التمثيلي في قول يحي الغزال: [3]

فلم يعطنِي من مالهِ غير درهمِ تكلّفهُ بعد انقطـــاعِ رَجائِـــي

كما اقتلع الحجَّامُ ضِرسا صَحيحة وإذا اسْتُخرجَتْ منه بشدّةٍ ببكاءِ

لقد حشد الشاعر في رسم صورته التشبيهية أكثر من تشبيهين ، فقد صوّر حال البخيل، حين يهم بإخراج أعطيته، وحالة الألم تعتريه عند استخراجها، بالإنسان الذي يعاني من ألم شديد حينما يستخرج ويقتلع منه الحجام ضرسا صحيحة ، وبهذا التشبيه يزري الشاعر بمهجوّه، ونوع هذا التشبيه تمثيلي، « ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدّة ».[4]

---

[1] صلاح خالص، شعر ابن عمار، ص 288

[2] السميسر، الديوان ، ص 92.

[3] يحي الغزال، الديوان، ص 27.

[4] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، 221.

وفي إطار التصوير يربط الشاعر بين حنين الإنسان الشره إلى طيبات الطعام بحنين الطفل الرضيع إلى حليب أمه ، في صورة جميلة حيث يقول القاضي ابن أبي عيسى: [1]

يحنُّ إلى طيّبات الطعامِ حنينَ الرّضيعِ إلى الوالدة

ولم تختص الصورة الفنية بالصور البصرية فقط ، بل تجاوزتها إلى السمعية، حيث استعان الشاعر بحاسة السّمع في تصوير ذلك الشعور، عندما استماعه لمغنية ذات صوت رديء، يقول اسماعيل بن بدر: [2]

درداءُ صلعـــاءُ رجّعـــتْ بصوتٍ لها تُسَكُّ منهُ المَسامعُ

فوالله ما أدْري كلابٌ تَهارشَتْ بِحُلْقومِها أم نَقْنقَتْ بهِ الضّفادِعُ

شبه الشاعر صوت المغنية الذي لم يَرُق له، بصوت الكلاب التي تتهارش وبصوت نقيق الضفادع في صورة تدعو إلى السخرية والتهكم.

واستخدم الشاعر عبد الله بن هارون الأصبحي الصورة في المذوّقات قائلا:[3]

كم أخ قد كان عندي شهـدة حتى بلوت المُرَّ من أخلاقه

كالملح يحسبُ سكراً في لونه ومجسُّه ويحول عند مذاقــِه

رسم الشاعر هذه الصورة عندما اكتشف حقيقة من يآخي وقد فجع فيه، والتي تحمل عكس ما ظن الشاعر، مشبها حقيقتة بالملح الذي يُحسب سكرا، إلاّ أن هذه الحقيقة ظهرت عندما اختبر الشاعر صديقه، وخلاصة القول أنه أراد أن يرسم من خلال هذا التشبيه "عدم مطابقة الجوهر للمظهر".

---

[1] الكتاني، التشبيهات، ص 225.

[2] المصدر السابق، ص 556.

[3] الضبي، بغية الملتمس2 :456/ الحميدي ، جذوة المقتبس 266/ المقري، النفح 5: 403/ الأصفهاني، الخريدة 2: 145.

واتخذ الهجاء مساراً شعريا آخر في التصوير، حين استمد شعراء الهجاء صوراً لمهجوّيهم من حقل الحيوانات، إذ وجدوا في هذا الحقل ما يكفل الإزراء بمهجويهم لتحقيرهم والطعن فيهم:« وقديما وصم الجاهليون خصومهم فجعلوهم تيوسا وكلابا وخنازير، فاستعملوا الحيوان في رسم صورة المهجو».[1]

لقد أوغل شعراء الهجاء في الأندلس أيّما إيغال في هذا الباب، والأمثلة كثيرة لا حصر لها، ومنها ما ورد في قول أبي إسحاق الإلبيري: [2]

ورخّم قردهُم دارهِ وأجرى إليها نميرَ العيونِ

هي صورة مشوهة للوزير، ترتبت عن فداحة أفعاله وأعماله ، فقد شبه أبو إسحاق الإلبيري الوزير اليهودي بالقرد للسخرية منه، وفيه من التذكير بالتشويه والمسخ الذي سلطه الله على اليهود في صورة تبعث على الإشمئزاز.

وفي صورة فنية يشير من خلالها الشاعر إلى جهل رواة الحديث، بما حملوا من علوم وعدم تفقههم بما يحملون، يشبههم بالحمار الذي يحمل الكثير من الكتب التي تحتوي العلوم لكنه لا يفقه منها شيئا، فيقول: [3]

إنعقْ بما شئْتَ تجدْ أنصاراَ ورم أسفاراً تجد حماراَ

يحمل ما وضعت من أسفار يحمله كمثل الحمـــار

ولقد صوّر محمد بن عبد الله محمد بن صارة البكري الشنتريني حال البشر وصراعهم على ملذات الحياة الدنيا، بصورة الكلاب التي تتهارش، وتتصارع للفوز بالعقيرة واستطاع الشاعر أن يؤثر في وجدان المتلقي ، لأنه استغل هذا التصوير في توجيه نظرة

---

[1] محمد سامي الدهان، الهجاء، ص 87.

[2] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 111.

[3] ابن عبد البر النمري، جامع البيان العلم وفضله، 2: 1032.

الإنسان إلى حياة الدنيا الزائلة، لكي يرتفع الإنسان بنفسه ويتسامى ويتغاضى عن مغريات الدنيا الزائلة، فيقول: [1]

بنو الدنيا بجهل عظَّمـــوهاَ فجلّت عندهم وهي الحقيـرة

يُهارش بعضهثم بعضا عليها مُهارشةَ الكلابِ على العقيرة

ولقد استغل الشاعر ابن البني صورة الذئب للفقهاء، الذين استغلوا منصبهم الروحي والديني لمصالحهم الشخصية، فشبههم بالذئاب، التي تتستر تحت جنح الظلام العاتم للانقضاض على فريستها قائلا: [2]

أهلَ الرّياءِ لبتسمُ ناموسَكُم كالذئبِ أدلجَ في الظَّلام العاتمِ

ويرى الغزال الناس في أيامه ثعالب ودجاجاً وذيبا وقططا وفئران، يتربّص القوي فيهم بالضعيف، وأراد أن يوضح لنا قانون الحياة، الذي ينتهجه بعض البشر، إنه قانون الغاب "القوي يأكل الضعيف".[3]

ما أرى ها هنا من النّاس إلاّ ثعلبا يطلبُ الدجاجَ وذيباَ

أو شبيها بالقط ألقى بعينــيهِ إلـــــى فأرةٍ يُريد الوثوباَ

في حين رأى ابن بقي إن الناس مثل الثعالب يستعملون المكر والدّهاء والمراوغة من أجل الوصول إلى هدفهم ، فيقول: [4]

وما أكثر الأقوام إلاّ ثعالبٌ تروغُ ولا يُحلى لديها باطلُ

وفي غياب راع عادل يقوم على أمر رعيته ويتحمل مسؤوليتها، يكشف أبو جعفر بن مسعدة حال الرعية وحال المجتمع الذي تسوده الفوضى، عند غياب حاكم عادل

---

[1] المقري، نفح الطيب، 4: 117

[2] المراكشي، المعجب، ص 130.

[3] يحي الغزال، الديوان، ص 32.

[4] ابن بسام، الذخيرة، 1/2: 635

يقوم بأمر رعيته، فشبّه الرعية التي تعيش حالة من الشتات والفوضى بالسرح أو بقطيع الأغنام الذي يقع ضحية للذئاب المفترسة في غياب راع يقوم بحمايتها، فيقول: [1]

فإنا جميعا فوضى كسرحٍ بلا راعٍ وذؤبانٍ تغـــير

وهناك من وجد في الحية تجسيداً لصور بعض الأشخاص ، فقد شبه يحي الغزال ألسنة بعض الرجال بالأفاعي، لأنّ لبعض القول من الأثر ما للسم الزعاف أو أكثر فيقول:[2]

ورأيت ألسنة الرجال أفاعيا طوراً تثور وتارة تفتالُ

وفي مجال هذا التصوير يرسم ابن سارة صورة لزوجته، فهي كالذئبة والحية فقد جمع لها أسوأ صورتين ، ولقد استغل الشاعر هذا التصوير ليعبر عن مدى كرهه لأخلاق زوجته المشينة: [3]

الذئبة الطلساء عند نفاقها والحية الرشقاء عند عناقها

ويتكرر استثمار صور الأفاعي والعقارب في شعر الهجاء حيث شبهت الشاعرة "سعدونة" أذى الأقارب بالأذى التي تلحقه العقرب بالإنسان من فتك وألم،أو أشد من ذلك فتقول:[4]

إن الأقارب كالعقـــا ربْ أو أشدّ من العقاربْ

والمجال في هذا الباب من التشبيهات في شعر الهجاء الأندلسي يطول، فقد كثر استثمار صور الحيوانات في الهجاء ولقد هدفت هذه الصور عموما إلى التشويه بقصد تحقير المهجو، والغضب والسخط والإستياء من تصرفات المهجويين.

---

[1] ابن خاقان، قلائد العقيان، 2: 580.

[2] يحي الغزال، الديوان، ص123.

[3] ابن بسام، الذخيرة، 2/2: 844 .

[4] المقري، نفح الطيب، 4:167.

المطلب الثاني :الإستعارة:

2-1 الإستعارة المكنية:

تعد الإستعارة من أهم الأساليب البيانية تعبيرا وأجملها تصويرا وأكملها تأدية للمعنى فهي منبثقة عن تشبيه لكن تشبيه مضمر في النفس، فيحذف أحد طرفيه، ويكون أحد طرفيه عين الآخر [1]، وعرّفها عبد القاهر الجرجاني بقوله:«أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدَعَ إن تُفصحَ بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى إسم المشبه به فتُعيرَهُ المشبَّه وتُجْريهِ عليه» [2]،وعندها صارت الاستعارة في الاصطلاح:« تشبيه حذف أحد طرفيه والعلاقة كما عرف دائما المشابهة». [3]

ومن الصور الاستعارية التي وظفها شعراء الهجاء قول ابن هانئ الأندلسي: [4]

ولو سرقُوا أنسابهم يوم فخْرهم ونزْوتهم ما جازَ في مثْلها القطْعُ

وإذا تأملنا المجاز الوارد في قول ابن هانئ: "لو سرقوا أنسابهم" نجده قد رسم صورة مبنية على تخيل الأنساب وهي شيء معنوي غير ملموس في صورة أشياء مادية تُسرق فحذف المشبه به، ودلّ عليه بلازمة من لوازمه، على سبيل الاستعارة المكنية وغرضه من توظيف هذه الصورة، هو الحط من قيمة أنساب بني أمية وأن أنسابهم ليست شريفة.

ووردت الإستعارة المكنية في قول أبي إسحاق الإلبيري: [5]

السّوطُ أبلغُ من قالَ ومن قيلٍ ومن نُباحِ سفيهٍ بالأباطيلِ

---

[1] فهد خليل زايد، البلاغة بين البيان والبديع، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ط1، 2009 ص 89.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح حمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر، ط5، 2004 ص 67.

[3] حميد آدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1427-2007، ص 198.

[4] ابن هانئ الأندلسي، الديوان، ص 191

[5] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 125.

تجسدت الإستعارة في قوله: "السوط أَبْلَغُ" حيث يشبه السوط بالإنسان البليغ، فحذف المشبه به ودلّ عليه بلازمة من لوازمه "أبلغ" على سبيل الإستعارة المكنية، وقد وظفها الشاعر ليبيّن مدى تأثير السوط في معاقبة الشاعر الذي قام بهجاء القاضي "ابن توبة".

ومن أمثلة الإستعارة ما ورد في قول الأديب أحمد الداني فاستعار للدهر صفة الإنسان الجائر : [1]

جارَ ذا الدّهر علينا وكذا الدّهر يجورْ

تجسدت الإستعارة في قوله: "جار ذا الدّهر علينا" فالذي يفهم من أنه يشبه الدهر بالإنسان وأصل الكلام أو التشبيه "جار ذا الدهر علينا مثل الإنسان الذي يجور" فحذف المشبه به فصار" جار الدهر علينا" ، على تخيل أن الدهر قد تمثل في صورة الإنسان الجائر، فحذف المشبه به، ودلّ عليه بلازمة من لوازمه "الجور" على سبيل الإستعارة المكنية، وقد وظفها الشاعر ليبرز ظاهرة انتشار وتفشي الظلم في عصر ملوك الطوائف.

ومن صور الإستعارة ما قاله السميسر: [2]

أقاربُ السُّوء داءُ سوءٍ فاحملْ أذاهُم تعشْ سعيداَ

تجسدت الإستعارة في قوله " فاحمل أذاهم" حيث يشبه الأذى وهو شيء معنوي غير ملموس بشيء مادي يُحمل، فحذف المشبه به ، ودلّ عليه بلازمة من لوازمه "إحمل" على سبيل الإستعارة المكنية.

ومن أمثلة الإستعارة المكنية ماورد في في قول ابن البني: [3]

أهلَ الرِّياء لبتسمُ نامُوسَكم كالذئبِ أدلجَ في الظّلام العاتمِ

تجسدت الإستعارة في قوله " لبتسم ناموسكم" والناموس هو الديانة، وإذا تأملنا هذه الصورة رأينا أنها تتضمن تشبيها "لبتسم ناموسكم كما يلبس الإنسان ثيابه" فحذف المشبه

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 2/3، 758.

[2] السميسر، الديوان، ص 19.

[3] المراكشي، المعجب، ص 120.

به وأتى بلازمة من لوازمه "الفعل: لبس" على سبيل الاستعارة المكنية "والمغزى منها: أنه شدة الولوغ في ذم الفقهاء والمتسترين بالدين، من أجل تحقيق مآربهم الشخصية، وقد مرّت بنا أمثلة كثيرة تعالج هذا الموضوع.

قال الشاعر: [1]

وإذا الزمانُ رمىَ إليك مسالما وآمِنته فاحذرْ من الإخوانِ

تمثلت الإستعارة في قوله: "إذا الزمان رمى إليك مسالما" تضمنت الصورة تشبيها أصلُه "وإذا الزمان رمى مثل الإنسان الذي يرمي" فحذف المشبه به على تخيل أن الزمان تمثل في صورة إنسان يقوم بفعل الرِّماية، إستعارة مكنية.

وتجسد الإستعارة المكنية في قول الشاعر: [2]

قل للإمام سنا الأئمة مالك نور العيون ونزهة الأسماع

تشكوك دنيا لم تزل بك بَرَّة ماذا رفعت بها من الأوضاع

تمثلت الإستعارة في قوله: "تشكوك دنيا" حيث شبه الدنيا بإنسان يَبُثُّ شكواه وهمومه، فحذف المشبه به، ودَلَّ عليه بلازمة من لوازمه "الشكوى" على سبيل الإستعارة المكنية.

وفي صورة إستعارية أخرى أراد من خلالها الشاعر أن يجسد مدى إرتكاب أهل القرية التي انتقل إليها واقترافهم للآثام والمعاصي. فيقول: [3]

قرينُهم الشّيطان حظّهُم على ركوبِ المعاصِي فهو إثم آثمُ

تجسدت الإستعارة: في قوله "ركوب المعاصي، حيث شبه المعاصي بالدَّابة التي تمتطي، فيحذف المشبه به ودلّ عليه بلازمة من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية وهي الفعل "امتطى"

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، 2/3: 613.

[2] المقري، نفح الطيب، 3: 448.

[3] مخطط الخزنانة بالرباط رقم 1725، نقلا عن عصمت عبد اللطيف دنش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 309.

وتجسدت الاستعارة في قول الشاعر المغاوري: [1]

باعُوا رضا الله وابتاعُوا مساخطة وغيّروا الشَّرعَ بالله للديـــن

أضحت شهادتهم بالزور ناطــقة إنَّ الشهودَ أعوانَ الشياطين

نلاحظ أن هذين البيتين قد تضمن ثلاث استعارات مكنية، في صورة مجازية رائعة حيث صور الشاعر بعض مظاهر الغضب والسخط عن ظاهرة تفشت في المجتمع وهي شهادة الزور وارتكاب الآثام، وتجسدت الاستعارة وفي قوله: "باعوا رضا الله" والثانية في قوله: "ابتاعوا مساخطة". فقد شبه الشاعر رضوان الله، بالسلعة التي تباع في تصوير لمدى استهتار الناس وارتكابهم للمعاصي، فحذف المشبه به ورمز إليه بلازمة من لوازمه "البيع" على سبيل الاستعارة المكنية .

أما الثانية فقد تمثلت في قوله "ابتاعوا مساخطة" أي اشتروا بارتكابهم المعاصي والآثام سخط الله عز وجل، فقد شبه "غضب الله" بسلعة تشترى، فحذف المشبه به ، ودل عليه بلازمة من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية.

أما الاستعارة الثالثة فقد تجسدت في قوله: "أضحت شهادتهم بالزور ناطقة" لقد أبدع الشاعر في رسم هذه الصورة ، حيث شبه شهادة الزور بالإنسان، الذي لا ينطق إلّا بالزور والبهتان، حيث حذف المشبه به وهو الإنسان، وترك قرينة تدل عليه "النطق" على سبيل الإستعارة المكنية.

وفي بيت آخر تضمن إستعارتين مكنيتين، يقول الشاعر أبو عامر الأصيلي: [2]

بلَادٌ عُرّيتْ من كلّ خَيْر فمَلبسُ أهْلهاَ مقتٌ وعَارُ

---

[1] الادريسي، زاد المسافر، ص 38.

[2] ابن بسام، الذخيرة، 2/3: 801.

تمثلت الإستعارة الأولى في قوله "بلاد عُرِّيت من كل خير" شبه البلاد "مكان" بالإنسان الذي يتجرد من ملابسه فحذف المشبه به، ورمز إليه بلازمة من لوازمه "عرّيت" على سبيل الإستعارة المكنية.

وتمثلت الإستعارة الثانية في قوله: "فملبس أهلها مقت وعار" شبه المقت والعار باللباس الذي يُرْتدى ويُلبس، فحذف المشبه به ودلّ عليه بلازمة من لوازمه (ملبس) على سبيل الإستعارة المكنية.

2-2-الاستعارة التصريحية:

ضرب من المجاز اللغوي وهي كلمة أو جملة لم نستعملها في معناها الحقيقي بل في معنى مجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي،[1] وهي ما صرح فيها بلفظ المستعاربه "المشبه به " وحذف المستعار له "المشبه".[2]

وتجسدت الإستعارة التصريحية كذلك في قول ابن عبد ربه: [3]

فكأنما جاست خلال ديـــــارهـــــم أسد العرين خلت بسرب نعاجِ

إستعار ابن عبد ربه لعدوه المهجو المتمثل في ابن حفصون وأتباعه "سرب نعاج" وقد وظفها للدلالة على الضعف، واستعار للأمير عبد الله المرواني وجيشه "أسد العرين" وهو ما يرمز للقوة والبسالة، وهنا نلاحظ أن الشاعر لم يذكر جيش النصارى ولا جيش المسلمين، بل ذكر صفات مستعارة، أحدها وضعت من شأن المهجو، والثانية رفعت من شأن الممدوح وفي هذه الحال نلاحظ أن الشاعر قد رسم لنا صورتين متقابلتين.

---

[1] عبده عبد العزيز قليقلة ،البلاغة الاصطلاحية ، ص 62.

[2] محمد أحمد قاسم ،محي الدين ديب ، علوم البلاغة ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط1، 2003 ص 199.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، الديوان ، ص 40،41.

المطلب الثالث:الكناية

الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، أي أن يتكلم عن شيء والمراد به غيره،[1]وهي أسلوب ذكي من أساليب التعبير عن المراد بطريقة غير مباشرة، وهي من أبدع وأجمل فنون الأدب. [2]

وفي إذلال المهجو ورميه بالإنصراف عن الكرم ، ما قاله الشاعر ابن عمار في هجاء المعتمد بن عباد: [3]

لتسألْ عن سَاكنيها الرّمادَ ولمْ تَر للنّارِ فيها اشتعالاَ

يتضمن هذا البيت كناية عن البخل، فقد عير ابن عمار المعتمد بن عباد قلّة الرماد حيث لا يُرى إشتعال النار، مما يدل على أن صاحبها بخيل لا يطبخ إلاّ نادرا وقد إستخدم هذه الكناية على عكس ما وظفت العرب في أشعارها "كثير الرماد كقولهم كثير الرماد كناية عن المضياف، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة النار والحطب تحت القدور، ومنها كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة الضيوف ومنها المقصود الكرم.[4] وقد وظف ابن عمار هذه الكناية لإذلال مهجوه المعتمد ابن عباد ورميه بالإنصراف عن الكرم.

وفي كناية أخرى يعرض الشاعر ابن عمار بزوجة المعتمد الرميكية قائلا: [5]

تخيّرتهاَ من بناتِ الهجانِ رُميكيَّة لا تساوي عُقالاَ

---

[1] سميح أبو مغلي، المفيد في البلاغة العربية، دار البداية، عمان، الأردن، ط 1، 2009، ص 44.

[2] عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 2: 141.

[3] صلاح خالص، شعر ابن عمار، ص 291.

[4] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط) (د، ت) ، ص 332-333.

[5] صلاح خالص، شعر ابن عمار، ص 291.

وتجسدت الكناية في قوله "رميكية لا تساوي عقالا" ، فقد كنّى عن ضعة نسبها فهي من بنات الهجان، ولفظها بالرميكيّة تذكيرا لها بماضيها، لأنها كانت جارية ولم تكن حرّة كريمة ، فقد اشتراها المعتمد من مولاها الرميك بثمن بخس، لا يقدر بقيمة وأنزلها منزلة العقال ، وهو الحبل الذي تعقل به الدّواب فهي لا تساوي حتى أحقر الأشياء وأبخسها.

وتجسدت الكناية في قول السميسر في هجاء ملوك الطوائف. [1]

كنتم سماءً لا يُنال مُنَاها وصِرتُم لدَى من لا يُسائلكم أرْضا

ففي صدر البيت كناية علوّ الهمة السيادة والرّفعة والمنزلة العليا ، التي بلغت عنان السماء، لما حازوا من سلطة وثروات في الأندلس، وأما عجز البيت فيحمل كناية عن حال الذلّ والهوان وشتات الأمر" فصرتم لدى من لا يسائلكم أرضا"، وجاءت هذه الكناية في سياق التشفي بملوك الطوائف لما أصابهم من ذل هوان بعد السيادة والرفعة.

وقول الشاعر الأعمى التطيلي: [2]

ونُفْضي على حُكم صَرْف الزَّمانِ وبيْن الجوانِح جمْرُ الغضَى

تجسدت الكناية في قوله: "وبين الجوانح جمر الغضى" كنى بها عن شدة الحنق والغيظ من تصرفات وأفعال ملوك الطوائف.

ووردت الكناية في قول الهوزني : [3]

أعباد جلَّ الرُّزءُ والقومث هجَّعُ على حالةٍ من مثلها يتوقّعُ

"والقوم هجع" كناية عن غفلة المعتضد وملوك الطوائف عن مصالح الرعية الأندلسية.

---

[1] السميسر، الديوان، ص 103.

[2] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2: 266.

[3] المقري، نفح الطيب، 2: 93.

وفي كناية أخرى جسدت غفلة ملوك الطوائف يقول كذلك : [1]

نامُوا وأسْرى لهم تحتَ الدُّجى قدرُ هوَى بأنجمهم خسْفٌ وما شَعَروا

"ناموا" كناية عن الغفلة وعدم سداد الرأي، وفي التعريض بملوك الطوائف، يوظف الشاعر كناية تشير إلى إفتتان ملوك الطوائف بالغناء والموسيقى وابتعادهم عن نهج الدين القويم فما تأثروا فيهم الآيات والسور، فيقول الهوزني : [2]

صمّتْ مسامعهمْ عن غيرِ نغْمتهِ فما تَمُرُّ به الآيات والسُّورُ

ووظف الشعراء كناية يشير من خلالها إلى امتداد يد بعض القضاة إلى أموال اليتامى والمساجد بغير حق ، وفي ذلك يقول ابن الزقاق : [3]

يعافُ المورْدُ أن ضمِئتْ حشاهُ وفي مالِ اليتيمِ لهُ ولُـــوغُ

وقول اليكي : [4]

يطالبهُ الأيتامُ في جُلِّ مالِهمْ ويَطلبُه فِي حقِّهِ كلُّ مسجدِ

وقول: [5]

وقد واصلتنا السحب من بعده ولّذّ في أجفاننا الغمظ

تضمن قوله: "ولّذّ في أجفاننا الغمظ" كنايةعن راحة البال والشعور بالإطمئنان بعد عزل الوالي لأنه كان مصدر للظلم والقلق.

ووردت الكناية في هجاء ابن الشمر للقاضي "يخامر" [6]

قفاكَ قفاَ جحشٍ ووجهكَ مظلمٌ وعقلكَ ما يساوي من البعرِ دِرهمَا

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2: 219-220.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، 2: 20.

[3] ابن الزقاق ،الديوان ،ص 295.

[4] المقري، النفح، 3: 535./ ابن سعيد ،المغرب، 270:2.

[5] المقري، نفح الطيب، 4: 153.

[6] ابن سعيد، المغرب، 203:1.

تجسدت الكناية في قوله:"وعقلك ما يساوي البعر درهما"، كناية عن خفة عقل القاضي، وغبائه وبلهه. ونعود إلى قول ابن الشمر في القاضي يخامر " قفاك قفا جحش" فقد شبه عرض قفا القاضي بقفا الجحش، فإنها تحمل في طياتها كناية العرب :« كقولهم عن الأبله عريض القفاة، فإن عرض القفاة، وعظم الرأس إذا أفرط دليل على الغباوة» .[1]

وفي ذلك يقول أبو إسحاق الإلبيري: [2]

ضئيلُ الجسْمِ تخافُ الخيْلُ سطْوتهُ أعدى وأطغى من التِّمساح في النّيل

تضمن البيت كناية عن موصوف تجسدت في قوله :"الذي تخاف الخيل سطوته" في كناية عن موصوف وهو السوط " وهي كناية لا يراد بها صفة ، ولا نسبة بل موصوف، والكناية أحيانا تكون قريبة وأحيانا تكون بعيدة ، فالقريبة أن يتفقا في صفة من الصفات اختصاصا بموضوع معين، والبعيدة فهي أن يتكلف المتكلم اختصاصها بأن يضم إلى لازم آخر حتى يكون مجموعا وصفي مانعا يوحي بمقصود ".[3]

المبحث السادس:البديع

يقول جلال الدين السيوطي:

علم البديع ما به قد عرف وجوه تحسين الكلام إن وفى

مطابق وقصده جلـــــــي ومنه لفظـــــي ومعنـــــوي

وعلم البديع يعرف به وجوه تحسين الكلام، أي تصور معانيه وتعلم أعداده وتفاصيلها بحسب الطاقة بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ورعاية وضوح دلالته وتنقسم أنواعه إلى قسمين: قسم يتعلق بتحسين المعاني وهو ما تعلق بالبلاغة وقسم يتعلق

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، ص 332.

[2] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 125.

[3] صلاح الدين وآخرون، فصول عن البلاغة والنقد الأدبي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 1، 1983، ص 78.

بتحسين اللفظ وهو ما تعلق بالفصاحة[1].

وللبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة على أن ابن المعتز هو أول من جمع البديع وألف فيه كتابا. [2]

المطلب الأول:الطباق

وهو من المحسنات البديعية ويقال له المطابقة والتطبيق، وهو الجمع بين متضادين أو متقابلين في الجملة ويكون الطباق بالإيجاب أو السلب[3]، ومن مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [4]

1-1- طباق الايجاب:

الطباق نوعان: طباق الإيجاب ولانفي فيه، وطباق السلب وهو أن يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي. [5]

ورد الطباق في قصيدة ابن عمار المناهضة للوزير ابن طاهر قائلا: [6]

بشّر بلنسيَّةَ وكانت جنَّـــة أن قد تدلَّـــتْ في سواءِ النَّار

وقوله :

غدرتْ وفيًّا بالعهدِ وقلّ ما عثـَر الوفيُّ تسامى إلى الغدَّارِ

إلى قوله:

يا أهلهاَ منْ غائبٍ أو حاضرٍ وقَطينَها من حاضر أو سارِ

---

[1] جلال الدين السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت 911))، شرح عقود الجمال في المعاني والبيان، تحقيق إبراهيم محمد الحمداني وأمين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2011 ص 241.

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 265.

[3] جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ص 243.

[4] سورة الكهف، الآية: 18.

[5] فهد خليل زايد، البلاغة بين البيان والبديع، ص 68.

[6] صلاح خالص ، شعر بن عمار ، ص287

طابق الشاعر في البيت الأول بين "جنة" و"نار"، أما في البيت الثاني فقد ورد الطباق بين مفردتي: "الوفي" و"الغدّار" وطابق بين "غائب" و"حاضر" في صدر البيت الثالث، أما في العجز فقد ورد الطباق بين "حاضر" بمعنى سكان الحضر، و"سارٍ" أي البدو المتنقلين، وفي البيت الأخير ورد الطباق بين "التقديم" و"التأخير".

ووظف أبو إسحاق الإلبيري كثيرا الثنائيات الضدية ، ليكشف ويعبر عن رفضه واستنكاره لهيمنة يهود غرناطة ، وليوضح الفرق الشاسع بين حال الكرام من مسلمي غرناطة وحال اللئام من يهودها ،فيقول: [1]

تخيَّر كاتبــهُ كافـــــــراً ولو شـاء كان من المسلمينْ
فكم من مسلم فاضل فأنت لأرذل قردٍ من المشركيـــــن
فكيف تحسب فراخَ الزِّنـــا وهم بغضوك إلى العالميــنْ
وكيف انـــفردْت بتقريبهم وهم في البلاد من المُبعديـنْ
وهم يلبسُون رفيعَ الكســى ونحن لأوضعهـــا لابسُـونْ
ونحنُ الأذلةُ من بينهـــم كأنّا أسَـأْنا وهـُـم مُحسنـُونْ

طغت على الأبيات مجموعة من الثنائيات الضدية، ويشكل طباق الإيجاب جزء منها، والشاعر بهذا التوظيف يعطي للكلام لون من الإيقاع الموسيقي، هذا مع ما أضفاه الطباق على المعنى من القوة، وتمثلت الثنائيات الضديّة في " كافر" و"المسلمين" .

وفي قوله "تحب" و"بغضوك" يوضح الشاعر من خلال هذه الثنائية الضدية في المعنى أن الأمير باديس قد أحبّ اليهود وقربهم إليهم، بينما كنوا له كل البغض والحقد الدفين كما أنهم بغضوه للعالمين.

"وتجسد طباق الإيجاب كذلك في قوله: "مسلم فاضل" و"أرذل قرد من المشركين" فالمسلم يتجلى بفضائل الأخلاق، على عكس اليهود.

[1] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان ، ص 112.108.

ومن الثنائيات الضدية التي وظفها أبو إسحاق الإلبيري كذلك: "نبني" و"يهدمون" وبين "رفيع الكسى" و"أوضعها"، لأن اليهود ينتشون ويتباهون، فهم يلبسون أجمل وأغلى الثياب لأنهم يتمتعون بالثراء الفاحش ، بينما المسلمون يرتدون ثيابا رثة ، تدل على فاقتهم وحاجتهم ، تجسدت الثنائية الضدية كذلك في قوله "أسأنا" "ومحسنون".

كما وظف هارون الرمادي الطباق بين "المديح" و"الهجاء". في قوله: [1]

إذا جئتهم بالمديح انزَوُوا كأنّك تأتيهمُ بالهِجاءِ

وورد الطباق في قول ابن شهيد بين "الشين" و"الزين" في قوله : [2]

هلّا سترت الشين بالزين من قبل إحضار الوزيرين

وتجسد الطباق في قول ابن عمار في هجاء المعتمد بن عباد: [3]

أراك تُوَرَّى بحبّ النساءِ وقِدَمًا عهدتُك تهوى الرِّجالاَ

وأقنع منك بدون الحرام فتُقسم جهدك أن لا حــلالاَ

لقد طابق الشاعر بين "النساء" و"الرجال" وبين "الحرام" و"الحلال".

وإذا تأملنا الأبيات المقتطفة من قصيدة ابن عمار في هجاء الوزير "ابن عبد العزيز" و"ابن طاهر" وجدنا أن جُلَّ الأبيات قد اشتملت على طباق الإيجاب: [4]

بشّر بلنسيـةَ وكانت جنّـــــة أن قد تدلّت في سواءِ النَّــار

غدرتَ وفيــتُا بالعهدِ وقلَّمـــــا عثَر الوفيّ تسمَّى إلى الغدّار

يا أهلهـا من غائبٍ أو حاضـرٍ وقطينهَا من حاضرِ أو ســارِ

نكث اليمين وحاد عن سنن التقى وقَضىَ علَى الإقبالِ بالإدبــارِ

---

[1] الكتاني، التشبيهات، ص 254.

[2] ابن شهيد، الديوان، ص 138.

[3] صلاح خالص، شعر ابن عمار، ص 292.

[4] المصدر نفسه ، ص 288.

وقوله: [1]

فرسا رهانٍ أنتمـــــــا فتَجاريَا لنقُول فـــي التَّقديمِ والتَّأخيرِ

وورد الطباق كذلك في قول أبي إسحاق الإلبيري في اختياره للعزلة عن مجاورة البشر خاصة الفقهاء منهم ، وقد ورد الطباق بين لفظتي " البعاد "و التداني": [2]

فآثرتُ البعادَ على التدانيِ لأنّي لمْ أجدْ من أصْطفيهِ

طابق الشاعر أبو عامر الأصيلي بين "كبارهم" و"صغار" ليبين طيش وسفه ملوك الطوائف، فهم رجال كبار بعقول أطفال صغار لم يبلغوا الحلم: [3]

أجولُ فلا أرَى إلّا رعاعاً كبارهمُ إذا اخْتبرُوا صِغارُ

وتجسدت الثنائية الضدية بين" العلم" و"الجهل"، في قول القاضي أبو الحسن مختار الرعيني: [4]

ألا لُعن الحمّامُ داراً فإنّهُ سواءٌ به ذوُ العِلمِ والجهْلِ في القدْرِ

وقال ملك بلنسية مروان عبد العزيز: [5]

ولا غـرْوَ أن يسودَ بعدي معشرٌ فيُضْحى لهمْ يومٌ وليسَ لهمْ أمسُ

وقال عبد الملك ابن جهور معرضا بابن شهيد وبجده ، موظفا الطباق بين لفظتي "عدو" و"صديق" لبين مدى عدم التوافق بينهما قائلا : [6]

حجبناكَ لما زُرتنَا غيْر تائقٍ بقلبِ عدوٍّ في ثيابِ صديقٍ

وقال الأديب أبو زكريا ابن مطروح لما عزل وال غير مرضي : [7]

---

[1] المصدر السابق ، ص 294.

[2] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 83.

[3] ابن بسام، الذخيرة، 2/3: 861.

[4] المقري، نفح الطيب ، 3: 381.

[5] المصدر نفسه، ص 408.

[6] ابن خاقان، مطمح الأنفس، 1: 169.

[7] المقري، نفح الطيب، 4: 153.

لوْ لمْ يكنْ منْ نجسٍ شَخْصُهُ ما طُهِّرَتْ من بعدهِ الأرضُ

"طابق الشاعر" بين "النجاسة" و"الطهارة".

وتجسد الطباق في قول فقيه عين في أحد القرى : [1]

بَدَوتُ وكنت قِدما أُعْرفُ حاضراً وسَكنَ البَوادِي لا يُحلُّ ويُحَرِّمُ

"طابق الشاعر بين "بدوت" و"حاضرا" أي أصبحت أسكن البادية بعدما" كنت من أهل الحضر".

ووردت ثنائية ضدية "بين سماء" و"أرض".في قول السميسر: [2]

وكنتُم سماءً لا يُنال مُناها فصرْتُم لدَى منْ لا يُسائِلُكمْ أرْضاَ

أراد السميسر من خلال توظيف هذه الثنائية الضدية، أن يبين للملوك الحالة التي كانوا عليها "من عز وسلطان "وهم الآن بعد شتات أمرهم يتجرعون ألوانا من الذل والهوان خاصة عندما تكالبت الممالك النصرانية عليهم.

1-2- طباق السلب:

هو الجمع بين مصدر واحد مثبت ومنفي[3] وأمر ونهي ، كقوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[4] ، وقوله عزّ وجل ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ۝٤٤ ﴾ [5]

---

[1] مخطوط الخزانة بالرباط رقم: 1725، نقلا عن عصمت عبد اللطيف دنش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 309.

[2] السميسر ،الديوان ،ص 103 .

[3] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د،ت) ص 350.

[4] سورة الروم،; الآية: 6-7.

[5] سورة المائدة، الآية: 44.

وكما أسلفنا الذكر أن طباق السلب هو أن يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي،[1] فقد تجسد في قول الشاعر أبو عامر الأصيلي: [2]

أينَ الفرارُ ولا فـــرارُ ومنْ لي بالقَـــرارِ ولا قَرارُ

استعمل الشاعر طباق السلب بين "فرار" والنفي "لا فرار" و"قرار" و"لا قرار"، ويؤكد هذا النوع من الطباق ، يبين لنا مدى حيرة الشاعر وقلقه.

المطلب الثاني :المقابلة:

وهي أن تذكر لفظين أو أكثر ثم أضدادها على الترتيب الأول فالأول[3]، كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [4]

وتجسدت المقابلة في قول الشاعر:

بقاءُ لئامِ النَّاسِ موتٌ عليهمْ كماَ أنَّ موْتَ الأكْرمين بقاءُ

إذا تأملنا قول الشاعر، وجدنا أن صدر البيت يشتمل على معنى، ويشتمل عجز البيت على ما يقابل المعنى الأول ، ولقد وظف الشاعر هذا التقابل لتوضيح فكرته، والتي حرص على إيصالها للمتلقي، من خلال المقارنة بين حال الكرام الأفاضل، وحال اللئام الأراذل، وانتهى قوله: إلى أنّ اللّئام موتى وهم أحياء وأن الكرام أحياء وهم أموات فالكرام من الموتى، إذ ذكرت سيرتهم صارت كالعطر يفوح بين الأنام، فالعظيم يموت ، ولا تموت ذكراه، لقد بين لنا أن الصفات الكريمة والفاضلة ،لا تزول بزوال شخصها، وأن الدهر يُبقى عليها وإن تُوفي حاملها. والغرض منها إظهار فضل الكرام، وتقبيح فعل اللئام.

---

[1] فهد خليل زايد، البلاغة بين البيان والبديع، ص 68.

[2] ابن بسام ،الذخيرة :861:2/3

[3] جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ص 247.

[4] سورة التوبة، الآية: 82.

وتجسدت المقابلة كذلك في قول ابن الزقاق: [1]

قاضٍ يجورُ علَى الضَّعيفِ ورُبَّما لَقيَ القويَّ بمثلِ حلمِ الأحْنفِ

والمقابلة تمت بين معنى صدر البيت وعجزه، ولقد وظف الشاعر هذا التقابل.

وقال الشاعر: [2]

فترَى الحُكم غَدوة وترَى النَّقضَ بالعشيِّ

وظف الشاعر هذه المقابلة ليبين عدم اقتدار القاضي على مهمة القضاء، وهو ليس أهلا لها، فهو يصدر الحكم صباحا، ولكنه يتراجع لينقض الحكم في المساء.

المطلب الثالث :الجناس

ويقال له التجنيس والتجانس والمجانسة، وهو أن يتفق اللفظان في النطق، ويختلفان في المعنى وينقسم إلى جناس لفظي ومعنوى، والجناس نوعان، تام وغير تام[3].

فالتام: هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة وهي: نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها. [4]

ومن الجناس ما هو بين فعل واسم كما ورد في قول "ابن عمار": [5]

ألا حيّ بالغرب حيّا حَلالا أنَاخُوا جمالا وحَازوا جَمالا

في البيت جناس تام في موضعين، الأوّل ورد بين فعل واسم "حي" فعل الأمر والاسم"حيًّا".

---

[1] ابن الزقاق، الديوان، ص 295.

[2] الإدريسي، زاد المسافر، ص 39.

[3] ينظر عبده عبدالعزيز قليقلة،البلاغة الإصطلاحية ،ص 326

[4] ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة ، تح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان ، ط1،1940 ، ص388.

[5] صلاح خالص، شعر بن عمار، ص 291.

وتجسد الجناس في قوله كذلك :[1]

يا أهلهاَ من غائبٍ أو حاضرٍ وقطِنيهاَ منْ حاضرٍ أوْ سارٍ

نلاحظ من خلال هذا البيت ، أن الجناس التّام قد ورد بين لفظتي "حاضر" و"حاضر" فالأولى هي اسم فاعل للفعل حَضَرَ ، واللفظة الثانية تطلق على من يسكن الحضر، والجناس هنا تام: لاتفاق الكلمتين في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها مع اختلافهما في المعنى .

ونجد الجناس التام كذلك في قول عقيل بن نصر في ذم كتاب زمانه: [2]

قُلب الزَّمانُ فبانَ بالآدابِ ومحا رسُومَ محاسنِ الكُتّاب[3]

وأتَى بكُتَّابٍ لو اسْتخْبرْتهُم لردْتهُم طرًّا إلى الكُتّـــابِ[4]

أبدع الشاعر في توظيف الجناس، الذي ورد بين كلمتي "الكتَّاب" و"الكتّاب" فقد تماثلت الكلمتان في الكتابة واختلفتا في إعجامها، ولا يخفى ما يحدثه هذا الجناس من وقع خفيف على أذن السامع، والجناس من المحسنات المعنوية، وهي التي يكون فيها التحسين فيها راجعا إلى اللّفظ قصداً والمعنى عرضا، [5] ولقد وفق الشاعر في توظيف الجناس لتحسين اللفظ والمعنى معا، فقد أولغ في هجاء الكتاب الفاشلين، مطالبا بإرجاعهم الى الكتتاتيب لإعادة تأهيلهم مرة أخرى.

وتجسد الجناس في قول سعيد بن منذر:[6]

إنعقْ بما شئْت تجدْ أنْصارا ورُمْ أسْفارا تجدْ حمارا

---

[1] المصدر السابق، 291.

[2] ابن بسام، الذخيرة ، 2/1، 572.

[3] **الكُتّاب:** رجل حرفته الكتابة والكتّاب والكتبة على أن كل من يعرف الكتابة أن عنده حسن العلم والمعرفة،(ينظر: لسان العرب، مج 1: 669.)

[4] **الكتّاب:** موضع تعليم الكُتّاب والجمع كتاتيب ومكاتب. (ينظر: لسان العرب، مادة كتب، 1: 669.)

[5] عبده العزيز قليقلة، البلاغة الإصطلاحي، ص 288.

[6] ابن عبد البر أبو عمر يوسف القرطبي، جامع بيان العلم وفضله في روايته وجمعه، 2: 1032.

يحملُ ما وضَعتْ منْ أسْفارٍ يَحمِلهُ كمثْلِ الحمـــارِ

في هذا القول جناس تام بين "أسفارا" و"أسفار" فالأولى بمعنى الترحال من مكان إلى آخر (السَّفر) والثانية يقصد بها "الكُتبُ".

الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة وهي: "نوع الحروف – وشكلها– وعددها وترتيبها".[1]

وَوَرد هذا النوع من الجناس في قول ابن عمار: [2]

ألا حيَّ بالغرب حياّ حَلَالاً أَنَاخُوا جِمَالاً وحَازُوا جمالاً

في هذا البيت: جناس غير تام في موضعين، فالأول منهما مَا هُوَ بين فِعْلِ واسمِ فِعل الأمر "حي" من التّحية والثاني "اسم مكان" الحيَّ.

والثاني بين "جِمَالاً" و"جَمَالاً" فالأولى يقصد بها الجَمَلْ كحيوان والثانية يقصد بها "الحسن" و"البهاء"، والجِنَاس هُنا غير تام لأنَ كل الأمثلة المقدمة غير مُتَماثلة، نوع الحروف، وعددها وترتيبها ما عَدا شكلها وكذلك فالجناس غير تام.

ومن أمثلة الجناس غير التام ،لاختلاف الكلمتين في شكل الحرف قول أحد الشعراء.[3]

يَا خَجْلَتي لِصَلاةٍ صَلَّيْتُها خَلْفَ خَلِفٍ

مَواطنُ الجناس في قوله "خَلْفَ" و"خَلِفٍ" فالأولى يَقْصِدُ بها وَرَاءَ والثانية يقصدُ بها: مُتَخَلِّفُ وقد جمع الجناس بين: نوع الحروف وعَدَدُهَا وترتيبها مَا عَدَا شكلها.

وقد تجسد هذا النوع من الجناس كذلك في قول: [4]

فَمَنْ حَاد عَنْ هذا اليَقِين فَمارِقٌ مريدٌ لإظْهَار الشُّكوك مُرِيدُ

---

[1] ينظر: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع، دار المعارف، مصر، 1999 ص 265.

[2] صلاح خالص، شعر بن عمار، ص 291.

[3] المقري، نفح الطيب، 4: 18 .

[4] المصدر نفسه ، 4: 339.

فالجناس غير تام بين كلمتين "مَرِيد" و"مُرِيدْ".

فَمَرِيدْ الأول بمعنى "الشَّيطان" والثانية صيغة اسم المفعول للفعل أَرَادَ "مُرِيدْ".

وقول أبو إسحاق الإلبيري: [1]

حَلَلْتُ به فَنَفَّسَ مَا بِنَفْسي وأَنَّسَنِي فما اسْتَوْحَشْتُ فيه

في صدر البيت جناس غير تام بين "الفعل" والاسم "نَفَّسَ" "نَفْسِي" وقول القاضي "ابن سعيد".[2]

"عَذيري مِنْ خَلْقٍ تَخَلُّفُ منهم غَبَاءٌ ولَوْمٌ فاضحٌ وجفاء

نجد الجناس غير التام بين "الاسم" و"الفعل". فالأول "خَلْقٍ" بِمَعْنَى الأنامْ، والثانية "فعل" تَخَلُّقِ" تَخَلُّقِهِم.

ومن أمثلة الجناس غير التام قول ابن عمار: [3]

إذا سَلكتَ سَبيلَهُ فَحقيقَةٌ لمنْ تَتَبَّعَ التَّطْفيرْ بالتَّصْفِير

الجناس هنا غير تام لاختلاف الكلمتين في نوع الحروف "التصفير"، "التطفير".

وتجسد الجناس الناقص في قول أبي بكر الزبيدي: [4]

أشعرن قلبـــتك ياســـاَ ليس هذا النـــاسُ ناسَا

والجناس غير التام هنا بين "ياسا" و"ناسا" والسبب في غير تمامه اختلاف الأول من الحروف في الكلمتين.

وتجسد الجناس في قول الشاعر: [5]

فدخلناه أبناءُ حامٍ وخرجناَ منهُ أبناء سامِ

---

[1] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص83 .

[2] ابن عبد ربه، الديوان، ص 15-16.

[3] صلاح خالص، شعر ابن عمار، ص 293.

[4] المقري، نفح الطيب، 3: 475.

[5] المصدر نفسه، 4: 182.

وفي هذا القول جناس غير تام بسبب اختلاف الحرف الأول من الكلمتين "سام" و"حام" وهما من أولاد نوح عليه السلام.

ومما ألحقه البلاغيون بالجناس ما يسمى بجناس الاشتقاق وهو "شيئان أحدهما أن يجمع اللفظين الإشتقاق".[1]

وورد هذا النوع من الجناس في قول السميسر: [2]

ذَلُّوا ولطَالما أَذَلُّوا دعْهمْ يذُوقوا الذي أذاقُوا

من دلالات الجناس هنا استعمال "ذُلُّوا" و"أذلوا" اشتَّقهما من الفعل "ذَلَّ" ، بمعنى أن الذل قد لحقهم ، والثانية "أذَلُوا" الفعل الماضي، الذي يدل على أن الملوك قد ألحقوا بالرعيّة ألوانا من الذُّل والهوان، و"يذوقوا" فعل مضارع بمعنى تجرعوا من كأس الذل والهوان التي جرعوها لرعيتهم "أذاقوا فعل ماضي" فقد اشتقَّ السميسر من الفعلين: " ذل ذاق" دلالات لا حصر لها من المعاني.

ومن خلال دراستنا للمحسنات البديعية في شعر الهجاء السياسي والإجتماعي نخلص إلى أن الشعراء الشعراء الأندلسيين ، قد أحدثوا براعة في إستخدام المحسنات البديعية ،المختلفة اللفظية والمعنوية، ولقد اظهروا تفوقهم الفني من خلال إثراء نصّهم بألوان من البديع دون المغالاة في توظيفه .

---

[1] محمد بركات، البلاغة في ضوء منهج متكامل، دار البشير للنشر والتوزيع، حمدي بوعلي، عمان، الأردن، ط1 1412-1992، ص 65-66.

[2] السميسر، الديوان، ص 108.

المبحث السابع: الموسيقى الشعرية

قام الإطار الموسيقي للقصيدة العربية على أساس الوزن والقافية، وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل من جرّد القصيدة العربية ، وأوجد لها أنماط موسيقية عن المحتوى الشعري، ووجد أن هذه الأنماط الإيقاعية تقع في خمسة عشر بحرا، ثم جاء الأخفش وكشف عن البحر السادس عشر[1]، وتعد الموسيقى الشعرية من أهم الأسس التي يقوم عليها الإبداع الفني، فهي عبارة عن شيء راقٍ يسموا بالبيت إلى فضاءات الإلهام والجمال[2]، وللموسيقى الشعرية مهارة فائقة تنشط حدس المتلقي، وهو أمر يؤول في جزء عظيم منه إلى الصّنعة، ونغنى بها في الشعر، تردّد ظاهرة صوتية على مسافات محدّدة.[3]

ولعل أول من استخدم لفظة الإيقاع في الشعر من النقاد القدامى ابن طباطبا بقوله: « وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم بصوابه، وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه».[4]

المطلب الأول:الموسيقى الخارجية

تتمثل مجموعة من التفعيلات تجمعت في شكل منتظم متناسق، كونت ما يسمى بالبحر الذي قولبت فيه القصيدة ألفاظها ومعانيه، فأعطاها بذلك إيقاعا معينا، قد أكد

---

[1] حسن عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي، الأوزان والقوافي والفنون، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1، 2009، ص 37.

[2] مصطفى حركات، نظرية الإيقاع، الشعر العربي بين الموسيقى، دار الآفاق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، (د،ط) (د، ت)، ص 217.

[3] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، دار توبقال للنشر ، الرباط، المغرب، (د،ط)، 1990 ص 174.

[4] ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول، سلام إنشاء دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط3 (د.ت)، ص 53.

بعض النقاد القدامى أن الوزن والقافية هما العنصران الأساسيان في الشعر وأولاهما به خصوصية[1].

1-1الوزن:

يعد البحر الشعري الخصيصة الأساسية لموسيقى الشعر، إذ هو معيار يتم وفقه ترصيف مجموعة من الكلمات ذات الإيحاء الشعري، وهو المعيار الأساسي الذي يساعد الباحث في الحكم على الألفاظ بالقبول أو عدمه، وهذا يعني أن عمل الشاعر يتضاعف عندما يُخضع مادته للبحر الشعري. [2]

إستخدم الشعراء الأندلسيون في غرض الهجاء بنوعيه السياسي والاجتماعي أوزانا شعرية مختلفة، وتوظيفهم لها لم يكن مبنيا على أساس الاختيار، وإنما جاء وفق الدفقات الشعوريّة والعفوية ،التي فرضت على الشاعر ذلك، كما نلاحظ أن غالبية شعرهم في الهجاء قد نظم على أبحر رئيسية وهي: الطويل، الكامل، المتقارب، الوافر، الرّمل البسيط، السريع، الخفيف.

أما شيوع هذه الأوزان فقد جاء بنسب متفاوتة من حيث عدد إستعمالاتها، والجدول الآتي يوضح ذلك، والنسبة الكلية للإتجاهات مجتمعة بناءً على النصوص أو المقطوعات الشعرية المستشهد بها وفق الترتيب الآتي:

---

[1] حسن عبد الجليل، موسيقى الشعر العربي، الأوزان والقوافي والفنون، ص 8.

[2] حسن الغرفي، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت ، لبنان، (د،ط)، 2001 ص 108.

الإتجاه	الطويل	الكامل	المتقارب	الوافر	البسيط	السريع	الخفيف	الرجز	الرمل	المجتث	المنسرح	مجزوء	مخلع	مجزوء	مجزوء	مجزوء
الهجاء	18	12	05	09	09	04	/	01	02	/	/	02	06	02	/	/
الهجاء	24	21	10	09	07	10	08	01	/	05	01	04	05	04	02	01
النسبة	21,76	17,09	07,77	09,32	08,29	%7,25	04,14	%1,03	%1,03	%2,59	%0,51	%3,10	%5,59	03,10	%1,03	%0,51

نلاحظ من الجدول السابق أنّ بحر الطويل قد نال أكبر نسبة في شعر الهجاء السياسي والاجتماعي، بنسبة21,76%"ويمكن إرجاع استعمال الطويل في الهجاء، لأنه يتّسع لكثير من المعاني"[1]، ثم يليه الكامل لأنه يصلح لأكثر الموضوعات[2] وبعده الوافر لأنه أليق البحور، إذ يشتد إذا شددته ويرق إذا رققته[3]، ثم يأتي بحر البسيط فالمتقارب "حيث وصف بأنه بحر فيه رنة ونغمة مطربة وهو صالح للعنف والسير السريع".[4] ويليه السّريع، فمخلّع البسيط ثم الخفيف فمجزوء الرمل ومجزوء الكامل مشتركين في نفس النسبة والتي تقدرب3,10% ثم يأتي بحر المجتث ثم الرجز والرمل ومجزوء الخفيف بنفس النسبة 1,03، ثم يأتي بحر الهزج والمنسرح ومجزوء الطويل مشتركين في نسبة واحدة ، محتلين بذلك المرتبة الأخيرة، في ذيل إستعمال الهجَّائين للأوزان الشعرية بنسبة 0,51%.

[1] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر، ط2، 1942 ، ص 322.

[2] المرجع نفسه، ص 323.

[3] نفسه، ص 323.

[4] نفسه، ص 323.

1-2 القافية:

القافية شريكة الوزن في الإختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية، واختلاف الناس في القافية ماهي؟، فقال الخليل:« القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية على هذا المذهب، وهو الصحيح وتكون مرّة بعض كلمة، ومرّة كلمة، ومرّة كلمتين».[1]

القافية من لوازم الشعر، وجزء لا يتجزأ منه موسيقاه وابن رشيق يرى أنها: « شريكة الوزن في الإختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية».[2]

وللقافية شروط وصفات ، إذ رأى قدامة بن جعفر وجوب أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج. [3]

ومبحث علم القافية ضروري، ففائدتها ضبط الإيقاع، حتى يعرف النّسق الذي رسم للشعر والإنفعال الذي يتلائم بين القافية وموضوع القصيدة[4]، وجاءت القافية في شعر الهجاء في أغلب شعر الهجاء متحركة، لأن غالبية الحروف الروي متحركة ومن القوافي المتحركة في الأبيات السابقة:

يقيني/ قَدْري/ خامرا/ ناجب/ عاتمي/ مانو/ دثتموه/ روحي/ ريهي/ لاقوا/ معتمدي/ مارا/ عاشرا/ ناسا.

1-3 الرّوي:

وهو الحرف الذي يلزم تكرّره في نهاية كل بيت، وإليه تنسب القصيدة، فيقال لامية العرب، وعينية أبو ذؤيب الهذلي، ورائية الخنساء، وسينية البحتري[5]، وجميع حروف

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، 1: 154.

[2] المصدر نفسه، ص 86.

[3] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، 86

[4] أبو السعود سلامة، الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء لدنيا الطّباعة، الإسكندرية ، مصر، (د، ط)، (د، ت) ص 100.

[5] ينظر: حسن عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي الأوزان والقوافي والفنون، ص 141.

المعجم تكون روياً باستثناء الأنف، حيث يجب أن يكو حرف الروي صحيحا غير معتقل وأن يكون أصلا في الكلمة حتى لا يحذف منها. [1]

وتنوع الروي في شعر الهجاء الأندلسي بنوعيه السياسي والاجتماعي.

القافية والروي:

حرف الروي	الهجاء الاجتماعي	الهجاء السياسي	النسبة العامة
الرّاء	24	10	%17,06
النون	11	14	%12,95
الدال	10	06	%08,29
الباء	05	16	%10,88
الميم	14	08	%11,39
السين	07	03	%05,18
القاف	05	05	%05,18
اللام	04	06	%05,18
العين	06	02	%04,14
الكاف	01	04	%02,59
الهمزة	01	04	%02,59
الجيم	3	02	%02,59
الغين	1	1	%1,03
الفاء	2	/	%1,03
الضاد	/	2	%1,03
الشين	01	/	%0,51
الحاء	4	2	%0,51
التاء	2	2	%0,51

[1] سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، ص 86.

والملاحظ من الإحصائية السابقة، أن الشعراء الأندلسيين في هجائهم الاجتماعي والسياسي، قد نظموا على عددٍ كبير من الحروف، وقد جاءت على التوالي "الرّاء، النون الميم ، الباء، الدال ، السين ، اللّام والقاف " ، وأما غالبية الحروف والتي وردت بنسبة جدّ قليلة: فهي "الكاف والجيم، الغين والفاء والضاد والشين والحاء والتاء".

والمدقق في قوافي الهجاء بنوعيه، يلحظ شيوع القوافي المطلقة بصورة لافتة، وهي قوافٍ تمنح صاحبها طولا في النفس، وفرصة لإفراغ مكنوناته الداخلية.

المطلب الثاني: الموسيقى الداخلية

إن دراسة الموسيقى لا تنحصر إلا على المستوى الخارجي للألفاظ من أوزان وقوافي وإنما توجد موسيقى داخلية، تساهم في تكوين النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة وبين الكلام والحالة النفسية للشاعر، ففي الموسيقى الداخلية نتعرّف على روح الشاعر وعلى مقدرته الفنية في قصيدته. [1]

ومن هنا سنحاول دراسة الموسيقى الداخلية لقصيدة ابن الوردي، وذلك بالإعتماد على إخضاع بعض العلل والزحافات في شعره، للدراسة والتحليل والتعرف على مدى قدرتها على تنويع الإيقاع وكذا ظاهرة التصّريع.

1-التصريع:

هو أحد الأشكال الإيقاعية المميّزة للشعر العربي، فكان منذ عهوده الأولى لازمة لمطلع الشعر مأثورا لدى الشعراء والرواة، والترصيع في الاصطلاح هو:« ماكان عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصانه وتزيد بزيادته».[2]

هو نوع من أنواع السجع خاص بالشعر دون النثر، عرّفه ابن رشيق بقوله:« أما التصريع وهو ما كانت في عروض البيت فيه تابعه لضربه تنقص بنقصانه وتزيد

---

[1] حسين علي عبد الحسين الدخيلي، دراسات نقدية لظواهر في الشعر الغربي، دار حامد للنشر والتوزيع عمان،الأردن، (د، ط)، (د، ت)، ص 79.

[2] رشيد شعلال، البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام الماكر، الكتب الحديث، إربد،الأردن، ط 1، 2011، ص 144.

بزيادته"،[1] ولا يحسن هذا النوع إلاّ في أوّل أبيات القصيدة أو عند الانتقال من غرض إلى آخر" [2]، وابن قدامة صنّفه ضمن نعوت القوافي وعرّفه:« تصيير مقطع المصراع الأوّل في البنى الأوّل من القصيدة مثل قافيتها".[3]

والتصريع مأخوذ من مصراعي الباب وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب، لكنه لا يستحسن إلاّ في المطالع تمييزا لها عن غيرها، وليعرف السّطر الأول روي القصيدة وقافيتها: [4]

ومن أمثلة التصريع الواردة في شعر الهجاء، قول ابن عبد ربه: [5]

ما قدَّرَ الله فهو الغالبُ ليس الذي يَحسُبه الحاسبُ

وقد اتفقت الضروب والعروض وزنا ورويا "الغالب" "الحاسب" فالكلمتان متماثلتان في الوزن الصرفي والعروضي، وقد أحدث التصريع رنين موسيقي، يجعل السامع يستجيب إلى ما يتبعها من أبيات، هذا إلى جانب ما وظفه الشعراء من محسنات كالتكرار والجناس، حيث وفق الشعراء في إختيارهم للمحسنات فنوعوا في استخدامها، والتي تركت تناغما موسيقيا متكاملا.

ومن التصريع قول ابن عمار: [6]

ألا حيّ بالغرب حياً حَلَالا أناخوا جمالاً وحازوا جَمَالا

تجسد التصريع بين "حلالا" و"جمالا" اتفقت الكلمتان في الوزن والروي، وتماثلت الكلمتان فهو أغلب الحروف تقريبا.

---

[1] ابن رشيق، العمدة، 277:1

[2] ينظر: بسيوني فيود، علم البديع، ص 254.

[3] قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، ص 51.

[4] عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 359.

[5] ابن عبد ربه، الديوان، ص 30.

[6] ابن عمار، صلاح خالص، ص 294.

ومن التصريع ما ذكره ابو عامر الأصيلي في بداية نصّه الشعري قائلا: [1]

إلى أين الفرار ولا فرارُ ومن لي بالقرار ولا قرارُ

لقد تجسد في الكلمتان "فرار" و"قرار" وجمع الشاعر في هذا البيت إلى جانب التصريع، الجناس الناقص، بالإضافة إلى اتفاق الضروب والعرض وزنا ورويا، وتماثلت الكلمتان في أغلب الحروف مما أدّى إلى جمال صوتها.

كما تجسد التصريع في قصيدة أبي إسحاق الإلبيري: [2]

ألا حيّ العقاب وقاطنيه وقل أهلا به وبزائريه

فالتصريع ورد بين الكلمتين "قاطنيه" "زائريه" ونلاحظ أنهما قد اتفقتا في الوزن الصرفي "فاعليه"، وهذا ما زاد من حسن وجمال بداية المقطوعة الشعرية، في إحداث رنين موسيقي في بداية النصّ الشعري يجعل المتلقي يهفو إلى قرائتها في شوق.

وقول الشاعر: [3]

قلب الزمان فبان بالآداب ومحا رسوم محاسن الكتاب

تجسد التصريع بين الكلمتين "الآداب" "والكتاب" ولقد اتفقتا وزنا ورويا.

ومن أمثلة التصريع الواردة في شعر الهجاء قول: [4]:

إنْعَقْ بمَا شِئْتَ تَجِدْ أنْصَارا ورُمْ أسفــاراً تَجِدْ حِمَـارا

ورد التصريع بين "أنصارا" و"حمارا" اتفقت الضروب مع العروض وزنا ورويا أدى إلى إحداث رنين موسيقي خفيف في بداية النص الشعري.

---

[1] ابن بسام،الذخيرة ، 2/3: 861.

[2] أبو إسحاق الإلبيري، الديوان، ص 83.

[3] ابن بسام،الذخيرة ، 2/1: 572.

[4] ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله في روايته وجمعه، 2: 1032.

أما في المثال الثاني فقد جمع الشاعر فيه بين التصريع والجناس في "ياسا" و"ناسا" إذ يقول: [1]

أشعرنَّ قلبك ياسا ليس هذا الناس ناساً

أما المثال التالي فقد ورد التصريع بين كلمتي "غرورا" و"سرورا" إذ يقول الشاعر: [2]

أخ كنت آمنه غروراَ يُسَّرُ بما أساءُ سُرُوراَ

لقد اتفقت الضروب والعروض وزنا ورويا، وتماثلت الكلمتان في أغلب الحروف والوزن الصرفي، والعروضي وحرف الروي، واتفقت العروض والضرب وزنا ورويا.

ونشير هنا إلى أن جميع ما ورد من تصريع ، قد أضفى على المقطوعات جانبا جماليا.

2.الزحافات والعلل:

ما يلحق أي جزء كان من الأجزاء السّبعة ، التي جعلت موازين الشّعر من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخيره أو تسكينه، و لا يكاد يسلم منه الشعر.[2]

1-الزحافات: [3]

الزحافات	تعريفها
القبض	حذف الساكن الخامس
الخبن	حذف الثاني الساكن
الإضمار	اسكان الثاني المتحرك
الطي	حذف الرابع الساكن

[1] المقري، نفح الطيب، 3: 475.

[2] المصدر نفسه: 5: 403 / الأصفهاني، الخريدة، 2: 145.

[3] سعد بن عبد العزيز مصلوح ،عبد اللطيف بن محمد الخطيب ،القواعد العروضية وأحكام القافية العربية ص31.

2-العلل:

العلّة هي تغيير يطرأ على الأسباب والأوتاد معا في التفعيلة أو الجزء وهو ما يدخل فقط على العروض والضرب من البيت ولا يدخل على الحشو. [1]

العلل: [2]

العلل	تعريفها
الحذف	إسقاط سبب خفيف من آخر التفعيلة
القطع	حذف ساكن الوتد المجموع من آخر التفعيلة وإسكان ماقبله

3- بحور الشعر :

نظم شعراء الهجاء أشعارهم على بحور مختلفة: منها البحر الطويل:

-**الطويل:** سميّ طويلا لمعنيين أحدهما إنه أطول والشعر، لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه الثمانية والأربعين حرفا والثاني أن الطويل، يقع في أوائل أبياته الأوتاد والأسباب، وهو على ثمانية أجزاء.[3]

ومفتاحه: [4]

طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن

ومن الشعراء الذين نسجوا مقطوعاتهم على منوال الطويل: الشاعر إبراهيم اللورقي في هجائه ملوك بني عباد. [5]

---

[1] سليمان معوض، علم العروض وموسيقى الشعر، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (د، ط)، (د، ت) ص 16.

[2] المرجع نفسه ص34.

[3] الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تح الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، مصر، ط3 1994،1415، ص 22.

[4] سعد بن عبد العزيز مصلوح، وعبد اللطيف بن محمد الخطيب، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، مكتبة أهل الأنتير، الكويت، ط 1، 1425 ، 2004، ص 27.

[5] ابن دحية ،المطرب من أشعار أهل المغرب ،ص177.

تعز عن الدنياومعروف أهلها إذا عدم المعروف في آل عبّاد

اسم البحر	التفعيلة	التغيير الطارئ عليها	الزحاف	العلة
بحرالطويل	فعولن/مفاعيلن	فعول	زحاف القبض	/

-**الكامل:** سمي كاملا لتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره، وهو على ستة أجزاء: [1]

مفتاحه: [2]

كَمُلَ الجمالُ من البحور الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وممن نسج على هذا البحر ابن دراج القسطلي: [3]

قل للمصرع لالعا من صرعة وافيتها بغيية على مولاك

اسم البحر	التفعيلة	التغيير الطارئ عليها	الزحاف	العلة
بحر الكامل	متفاعلن	متْفاعلن /متفاعل	متْفاعلن الإضمار	متفاعل –القطع

الوافر: سمي وافرا لتوفّر حركاته، لأنه ليس في الأجزاء أكثر حركات من مفاعلتين، وما يفُك منه وهو متفاعلن، وهو على ستّ أجزاء.[4]

مفتاحه: [5]

بحور الشعر وافرها جميل مفاعلتن مفاعلتن فعولن

---

[1] الخطيب التبريزي: كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص 58.

[2] محمد عبد العزيز مصلوح وعبد اللطيف بن محمد الخطيب، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، ص 37.

[3] ابن دراج القسطلي ،الديوان ،ص61.

[4] الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص 51.

[5] محمد عبد العزيز مصلوح وعبد اللطيف بن محمد الخطيب، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، ص 37.

وقال ابن الزقاق على منوال بحر الوافر[1]

رئيس الشرق محمود السجايا يقصر عن مدائحه البليغ

اسم البحر	التفعيلة	التغيير الطارئ عليها	الزحاف	العلة
بحر الوافر	مفاعلتن	مفاعلْتن	العصب إسكان الخامس المتحرك	/

البسيط: سمي بسيط لأن الأسباب انبسطت في أجزائه السباعية، فحصل في أوّل كل جزء من أجزائه السباعية سببان، فسمي بسيطا، وقيل سمي بسيطا لانبساط الحركات في عروضه وضربه وهو على ثمانية أجزاء.[2]

مفتاحه: [3]

إن البسيط لديه يبسط الأمل مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

قال أبو إسحاق الإلبيري:[4]

السّوط أبغ من قال ومن قيل ومن نُباح سفيهٍ بالأباطيل

اسم البحر	التفعيلة	التغيير الطارئ عليها	الزحاف	العلة
بحر البسيط	مستفعلن /فاعلن	مسْتعِلن متفْعِلن فعِلُن فعْلُن	الطي الخبن الخبن /	 القطع

الرّجز: "سميَّ رجزاً لأنه يقع فيه ما يكون على ثلاثة أجزاء وأصله من البعير، إذا شدت إحدى يديه، فبقي على ثلاث قوائم، وأجود منه أن يقال مأخوذ من قولهم، ناقة رَجْزَا

---

[1] ابن الزقاق ،الديوان ،ص295.

[2] الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص 39.

[3] سعد بن عبد العزيز مصلوح وعبد اللطيف بن محمد الخطيب، القواعد العروضية وأحكام القافية، ص 37.

[4] أبو اسحاق الإلبيري ،الديوان ،ص125.

إذا ارتعشت عند قيامها، لضعف يلحق أو داء، فلما كان هذا الوزن فيه اضطراب سمي رجزا تشبيها بذلك" وأصله مستفعلن ستَّ مرات".[1]

مفتاحه: [2]

في أبحر الأرجاز بحر يَسْهُل مستفعلن مستفعلن مستفعلن

المتقارب:

سمي متقارب لتقارب أوتاده ببعضها عن بعض لأنه يصل بين كل وتدين سبب واحد، فتتقارب الأوتاد، فسمي بذلك متقارب وهو على ثمانية أجزاء.[3]

مفتاحه: [4]

عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعولن

ومن أمثلة بحر المتقارب ماقال هارون الرمادي: [5]

يولي ويعزل من يومه فلاذا يتم ولا ذا يتم

اسم البحر	التفعيلة	التغيير الطارئ عليها	الزحاف	العلة
بحر المتقارب	فعولن	فعول/فعو	فعول–القبض	فعو–الحذف

[1] الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص 77.

[2] محمد عبد العزيز مصلوح وعبد اللطيف بن محمد الخطيب، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، ص 37

[3] الخطيب التبريزي، المصدر السابق، ص 129.

[4] محمد عبد العزيز مصلوح وعبد اللطيف بن محمد الخطيب، المصدر السابق، ص 38.

[5] ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص128.

الرّمل:

سمي رملاً لأن الرّمل نوع من الغناء، يخرج من هذا الورزن فيسمَّى بذلك، وقيل سُمِّي رملا لدخول الأوتاد بين الأسباب، وانتظامه كرمل الحصير الذي يُسبح، وأصله فاعلاتن ستّ مرات.[1]

مفتاحه: [2]

رمل الأبحر تروية الثقات فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وقال سعيد بن جودي في هجاء بني مروان[3]

قل لعبد الله يشدد في الهرب نجم الثائر من وادي القصب

اسم البحر	التفعيلة	التغيير الطارئ عليها	الزحاف	العلة
بحر الرمل	فاعلاتن	فعلاتن /فاعلن	فعِلاتُن- الخبن	فاعلُن الحذف

[1] الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص 83.

[2] سعد عبد العزيز مصلوح وعبد اللطيف بن محمد الخطيب، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، ص 37.

[3] ابن سعيد ،المغرب،105:2./الحلة السيراء 1:156 /ابن الخطيب ،أعمال الأعلام 176:2.

خلاصة الفصل :السمات الفنية للهجاء السياسي والاجتماعي:

1-المقطوعات:

كثرت في شعر الهجاء باتجاهيه السياسي والاجتماعي المقطوعات، وقلَّتْ فيه القصائد الطوال، ذلك أن الشعراء قد أدركوا أهمية الإيجاز ليضمنوا لأشعارهم الذيوع والإنتشار« فقد قيل للفرزدق ماصيرك إلى القصار بعد الطوال ؟ فقال: لأني رأيتها في الصدور أوقع وفي المحافل أجول».[1]

وأجاب الحطيئة عن سبب ميله إلى القصائد القصار دون الطوال من القصائد قائلا: « لأنها في الآذان أولج وبالأفواه أعلق. وقيل لبعض المحدثين: مالك لا تزيد عن أربعة أو اثنتين؟ فقال: لأنهن بالقلوب أوقع والى الحفظ أسرع ، وبالأنفس أعلق وللمعاني أجمع وصاحبها أبلغ وأوجز».[2]

وفي مقارنة بين الهجاء المشرقي والأندلسي يقول عبد العزيز عتيق : «الهجاء عند المشارقة تكثر فيه المقطوعات وتكاد تنعدم فيه القصائد».[3]

أما حافظ المغربي فقد شبه مقطوعات الهجاء الأندلسي بفن التوقيعات وبفن "الإيبجرام" قائلا:« جاء جله في شكل مقطوعات صغيرة، وهي من حيث الشكل شبه فن نثري قديم هو فن التوقيعات، ولفن آخر عرف منذ العهد اليوناني وهو ما عرف بفن الإيبجرام "épigramme"، وهو شعر قصير يجود في الهجاء يتميز بالتأنق الشديد، فيه آثار من العقل أكثر من العاطفة ،شبه أن يكون في حدته أَشبه بالنصل المرهف الضئيل الذي لا يخطأ الرمية». [4]

---

[1] أبو هلال العسكري ،الصناعتين النثر والشعر ،تح محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه ، بيروت ، لبنان ط 1، 1371 ، 1952، ص 174.

[2] المصدر نفسه، ص 174.

[3] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 245.

[4] حافظ المغربي ، شعر السميسر الأندلسي صوت المعارضة الرؤية والأداة، ص 09

2-الحوار والمشهد الحكائي:

إعتمد بعض الشعراء في مقطوعاتهم الهجائية،على توظيف عنصر الحوار والأسلوب القصصي ، وكان حامل هذا اللواء الشاعر يحي بن الحكم الغزال ، الذي غلبت على جل مقطوعاته وقصائده المشاهد الحكائية ، التي نال فيها من مهجويه ، نقد عيوبهم كما رصد بعض الإنحرافات الأخلاقية كالرياء والنفاق والرشوة ،ولقد مرت بنا نماذج كثيرة منها المشهد الحكائي الذي تحاور فيه الشاعر مع ديكه ، متناولا قضية الرشوة وفي مشهد حكائي آخر تحاور فيه مع الانسان المُرائي المدّعي وفي ذلك يقول أسامة اختيار:« بنى الغزال مشاهده الحكائية على جملة من العناصر الفنية ، وقد أعانته في الوصول الى وجدان المتلقي والتاثير في مكامن شعوره ،وفي الامكان رصدها فيماياتي الخطاب اللغوي الشعبي ،الحدث الحكائي البسيط ،الصورة الساخرة :الحوار الشيق».[1]

3-الالتزام:

تعريف الإلتزام:« أن يتصدى الأديب للنضال الفني عن قضايا قومه ،فالذي يعرفه التاريخ أن مثل هذا الالتزام قديم قدم الفن نفسه».[2]

لقد التزم شعراء الأندلس بالتعبير عن قضايا وطنهم الكبير بكل صدق ، فانتقدوا كل مظاهر المجتمع السياسية والاجتماعية خاصة في عصر ملوك الطوائف ، الذي هوى في معترك لا مثيل له من الاضطرابات السياسية والاجتماعية ، فعبر الشعراء بكل صدق عما يجيش في صدورهم إزاء الوضع المتدهور، وفي ذلك يقول الطرايسي أحمد أعراب: « لقد بدأ الشعراء المناضلون بملوكهم ينتقدونهم، ويفصحون أساليبهم في الحكم والسياسة

---

[1] أسامة اختيار، بنية المشهد الحكائي في شعر يحي الغزال، مجلة جامعة، دمشق،ع 04- مج27 ،2011 ص 29.

[2] عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ط1، دار المعارف، مصر، 1970 ص 234.

وهم قد فطنوا إلى الدور القذر الذي يلعبه هؤلاء الملوك فوق مسرح الأحداث وهو دور أدى بالأمة إلى فقدان طرانتها ومقدساتها »[1]

ويعبر عن التزامهم قائلا:« أن الكلمة الملتزمة الصادقة لم يصبها فتور، والمجتمع الأندلسي يشهد هذا التغير في أسلوب سياسته، فهو يتحول شيئا فشيئا من القوة إلى الضعف ومن التماسك إلى التمزق ومن الحفاظ على الوحدة الترابية إلى تمزيقها».[2]

ومن الشعراء الذين حملوا راية الإلتزام عاليا السميسر وأبو إسحاق الالبيري وحسن بن الجد، أبو عامر الأصيلي، ويحي الغزال ، من خلال إستقراء لأشعارهم الهجائية التي اتخذت منحى آخر ، مبتعدا عن الأحقاد الشخصية ، أو النزاعات الحزبية لأن: « هجاءهم يزجيه أمل بالإصلاح ، فهو شريعة القصاص من المجرمين الذين لا تنالهم يد القانون قد غلطت طبائعهم بما أُشربوا في قلوبهم من الباطل والإثم والغرور، حتى ما يؤثر فيهم نصح أو تحذير».[3]

وعلى ضوء ماسبق يتضح لنا أن الشعراء الملتزمين ، كانوا من الأصوات النضالية التي لم تعش على هامش الأحداث ، ولم تركب جناح الكذب والنفاق ، ولم تسلك درب الرياء والإفتراء، في تعظيم الملوك –خاصة ملوك الطوائف– الذين دبّت عوامل الإندثار في ممالكهم، شعراء صدقوا ما عاهدوا الله عليه وزهدوا فيما بين أيدي الملوك ، فسخروا هجائهم لنقد المجتمع، وسياسته الفاسدة ،لا تأخذهم في الله لومة لائم [4]

---

[1] الطرايسي احمد أعراب، الأصوات النضالية والإنهزامية في الشعر الأندلسي، مجلة عالم الفكر،ع2، مج 12 المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1981، ص 134.

[2] المرجع نفسه، ص 136.

[3] محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص16.

[4] بتصرف، بنيوس الزاكي، شعر السميسر، مجلة عالم الفكر، مجلة عالم الفكر، ع1، مج 25، 1996، ص 208–209.

-الاستعانة بالموروث الديني :

ثمة ظاهرة بارزة في شعر الهجاء الأندلسي تستدعي إنتباه الدارس لها ، وهي ميل شعراء الهجاء إلى الإستعانة بالموروث الديني ، إذ ظهرت ملامح التناص الديني بصورة جلية وقوية في الهجاء باتجاهيه السياسي والاجتماعي ، ويعد القرآن الكريم مصدرا أساسيا ومهما في ثقافتهم ، حيث اقتبس الشعراء الأندلسيون من القرآن الكريم، وتراكيبه واغترفوا من معانيه ، مستندين عليه لتدعيم وتوضيح أفكارهم، وقد بينوا قدرتهم وبراعتهم في مزج العناصر القرآنية بالمادة الشعرية ، وهذا يدل على تشبعهم بالثقافة الإسلامية،أما الشاعران اللذان تصدرا المرتبة الأولى في توظيفهم للتناص الديني فهما، السميسر وأبو إسحاق الإلبيري ، حيث لايكاد يخلوا شعرهما، من الإقتباس من القرآن الكريم، فقد ضمّنا جُلّ شعرهما أثرا من روح القرآن الكريم.

خاتمة

خاتمة:

1- نتائج البحث

- عالجنا في هذا البحث الهجاء السياسي والاجتماعي الأندلسي، وقد كان أحد الأغراض الرائجة في الشعر الأندلسي، عكس ما ذهب إليه أصحاب الدراسات العامة في أن الشعر الأندلسي لم يعرف فن الهجاء، بل إن قرائح الأندلسيين قد أبدعت فيه كثيرا.
- مارس شعراء الأندلس هذا الفن ونبغوا فيه، وحملوا راياته عاليا، ومن هؤلاء: مؤمن بن سعيد، القلفاط، يحي بن حكم الغزال، السميسر، ابن سارة الشنتريني، الأعمى المخزومي الأبيض، اليكي، كانوا بواقع في الهجاء، وقد كان قول الهجاء عندهم إحترافا لا اعتراضا.
- إتّسم الهجاء السياسي والاجتماعي بتعدد مواضوعاته ، فقد تصدى الهجاء السياسي للحكام والأمراء والوزراء والولاة والعمال، كما تصدى بقوة لليهود والنصارى، ولعب دورا هاما في إيقاظ الرأي العام الأندلسي وتنبيهه ، فقد خاطب الوجدان والمشاعر والعقول وندد بفضائح الحكام، وبين جسامة الأحداث السياسية التي وقعت، خاصة في القرن الرابع والخامس للهجرة ، في فترة الفتنة المبيرة وعصر ملوك الطوائف، وقد كانت فترة إنتكاسة في الحياة السياسية الأندلسية ولا نغالي إذا قمنا بعدّه سجلا تاريخيا لأهم الأحداث وأبرز الشخصيات.
- تميز الهجاء الاجتماعي بتعدد موضوعاته، من ذمه للقضاة والفقهاء والمتسترين بالدين، وتعريضه بالزمان والمكان وبالبشرية جمعاء وخاصة ، وهجائه للمهن وبعض الحرف، وقد كشفت موضوعات الهجاء الاجتماعي المتعددة عن صور الفساد والإنحرافات في المجتمع والمظاهر السلبية ، التي يأباها الذوق العام فركز على ظاهرة الطبقية والفقر الظلم، وكل ما يناقض القيم الإنسانية الفاضلة.

- **الخطاب الشعري:**

تنوعت لغة الخطاب مابين القوة والجرأة والسخرية والتهكم:

- لم يكن الخطاب مجرد تعبير عن شعور ذات ، أو تعبيرا عن خواطر عابرة فشعر الهجاء توجه بخطاب، يحمل كل الجرأة والنقد ،مساهما في التعبير عن موقفه من الأحداث السياسية والاجتماعية ، فحمل كل مظاهر الرفض والتشنيع بلا هوادة، فالشاعر يهجو ويعتب يؤنب وينذر، مصورا لعاطفة السخط والحب معا خاصة إذا تعلق الأمر بوطنه الأندلس ، والبحث يزخر بنماذج دلت عن الجرأة في الخطاب، تمتع بها شعراء الأندلس، أمثال السميسر، ابن الجد، الهوزني ابن أبي الخصال، أبو إسحاق الإلبيري، فقد نظموا في المساوئ السياسية والاجتماعية بدافع وطني أصيل.
- كما خرج الخطاب إلى باب السخرية والتندر بالمهجو والتعريض به في صور تبعث على الضحك والاستهزاء، وكان الرائد في هذا المجال الشاعر يحي بن الحكم الغزال الذي أبدع في السخرية التعريض بالقضاة والمرتشين والمرائين والمنافقين، وغيرهم ممن حاد عن المثل العليا، والأخلاق المتواضع عليها.
- اشترك فن الهجاء الأندلسي باتجاهيه السياسي والاجتماعي في بعض الخصائص الفنية اتجاهاته في بعض الخصائص الفنية أهمها:

سهولة اللغة:

إتّسمت لغة الهجاء في الغالب بالوضوح، وعدم التوعر، فجاءت ألفاظه سهلة واضحة لا غموض فيها ولا غرابة، وهي غاية يقتضيها الهجاء، للتشهير بالخصم للتمكن من إدراك المعاني،التي تحملها المقطوعات الشعرية، فيضمن لها السيران على ألسنة العامة.

كما يجدر بنا أن نشير إلى أن لغة الهجاء لم تعدم من قصائد، تتّسم بجزالة الأسلوب وغرابة الألفاظ وتوعرها، ولكنّها قليلة: نجدها عند ابن هانئ الأندلسي وهارون الرمادي.

المقطوعات :

كثرت في الهجاء الأندلسي باتجاهييه السياسي والاجتماعي المقطوعات وقلت فيه القصائد الطوال ، ذلك أن الشعراء قد أدركوا أهمية الإيجاز ليضمنوا لأشعارهم الهجائية سرعة الإنتشار والذيوع.

الحوار والمشهد الحكائي:

اعتمد بعض شعراء الهجاء في قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية على البناء القصصي، وكان حامل هذا اللواء الشاعر يحي بن حكم الغزال، الذي غلبت على جل قصائده المشاهد الحكائية، فوظف الشخصيات الحوار والسرد، أما الشخصيات البارزة في مشاهده الحكائية الهجائية فهي: الفقهاء والقضاة والعدول والشهود والمرائين والمنافقين فرصد بعض الإنحرافات الأخلاقية لديهم.

الاستعانة بالموروث الديني والثقافي :

ظهرت ملامح التناص الديني بصورة جلية وقوية في الهجاء باتجاهيه السياسي والاجتماعي، لقد كان القرآن الكريم مصدرا أساسيا ومهما في ثقافتهم، فقد اقتبس الشعراء الأندلسيون منه ومن وتراكيبه، واغترفوا من معانيه مستندين عليه، لتدعيم وتوضيح أفكارهم، وقد بينوا قدرتهم وبراعتهم في مزج العناصر القرآنية بالمادة الشعرية، وهذا مايدل على تشبعهم بالثقافة الإسلامية، كما استعانوا بموروث التراث العربي ، فنهلوا من معين فحول الشعراء كالنابغة الجعدي، والمتنبي، وأبي تمام وابن الرومي.

خاتمة:

- جسدت الصورة الشعرية أفكار الشعراء وخيالهم وانفعالهم، كما أنهم حاولوا الابتعاد عن التعقيد في رسمهم لها، كما أنهم لم يتكلفوا في توظيف الصنعة اللفظية.
- استعان شعراء الهجاء في نظمهم على أوزان الشعر التي تبين سهولة النظم وخفة الموسيقى، كما نوعوا في استخدامهم للوزن الشعري والقافية.
- تجلت ظاهرة الالتزام في الهجاء السياسي والاجتماعي الأندلسي، حيث التزم شعراء الأندلس بالتعبير عن قضايا وطنهم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم : برواية ورش عن نافع

أولا : المصادر .

1) **إبراهيم بن علي الحصري القيرواني**، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: زكي مبارك تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت لبنان، ط 4، (د، ت).

2) **إبراهيم مصطفى وآخرون**، معجم الوسيط، ج 1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، (د،ت)، (د.ت).

3) **ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بم عبد الله بن أبي بكر القضاعي)**: الحلة السيراء تح: حسين مؤنس، ج1 ، دار المعارف، القاهرة، مصر ، ط1،1963/الحلة السيراء ج2.

4) **ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)**، الكامل في التاريخ ، تح يوسف الدقاق، ج 1، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط1، 1407،1987.

–ابن الأثير،الكامل في التاريخ ،ج5.

–ابن الأثير،الكامل في التاريخ ،ج9.

5) **أحمد ابن عبد ربه**(أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي):

– العقد الفريد ، تح: عبد المجيد الترحيني، ج6 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1، 1404،1983.

– الديوان، تح: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان ط 1، 1399،1979.

6) **الإدريسي(أبو جعفر صفوان بن الإدريسي)**، زاد المسافر وغرة محيا الأدب المسافر تح: عبد القادر محداد، بيروت، لبنان، (د، ط) 1358، 1939.

7) **أبو إسحاق الإلبيري**، الديوان، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق ، سوريا ط1، 1411-1991.

8) -**إسماعيل بن إبراهيم ابن أمير المؤمنين**، تاريخ الأندلس، تح: أنور الزناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 1، 1428، 2007.

9) **الأعشى**، ديوان الأعشى، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تح: محمد حسين مكتبة الآداب، الجماميز، مصر، (د، ط)، (د، ت).

10) **ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي**، جامع بيان العلم وفضله في روايته وجمعه، ج 2، تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، ط1 المملكة العربية السعودية، 1414 ، 1994.

11) **ابن بسام** (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة مج1، تح: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، 1417 ، 1997.

-**ابن بسام** ،الذخيرة ، مج2، مج 3، مج 4.

12) **ابن بشكوال**، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري ، ج1، دار الكتاب المصري، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989،1410 .

13) **البعيث المجاشعي**،الديوان تح: ناصر رشيد محمد حسين،دار الحرية للطباعة والنشر بغداد(د، ط)،1394 ، 1974.

14) **أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواوري**، كنز الدرر وجامع الغرر، الدولة السمّية في أخبار الدولة الأموية، تح: جون هيلوجراف-اريكا جلاسن ،ج4، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1415، 1994.

15) **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1418 1998.

16) **جرير**، الديوان، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د، ط)، 1406، 1986.

17) **الحارث بن حلزة**، ديوان الحارث بن حلزة، تح: بارميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط 1، 1411 ،1991.

18) **ابن حزم الأندلسي** ،رسائل ابن حزم ، تح: إحسان عباس ،ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ،1987.

19) **ابن حمديس**، الديوان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط) (د، ت).

20) **الحميدي**(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1 ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، مصر (د ، ط)،1966 .

21) **الحميري**(**أبو عبد الله محمد عبد المنعم الحميري**) الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: ليفي بروفنسال ، دار الجيل، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1408 1988.

22) **ابن حيان القرطبي**، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، مصر (د، ط) 1415 1994.

23) **ابن خاقان**(أبو الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي الشوابكة ،ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ط1، بيروت، لبنان، 1403، 1983.

- ابن خاقان، قلائد العقيان، ج2.

24)**ابن الخطيب** (لسان الدين الخطيب)، أعمال الأعلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ج 2، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د، ت).

25)**الخطيب التبريزي:**

- شرح ديوان أبي تمام، تح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط 2 ، 1414 ، 1994.

- كتاب الكافي في العروض والقوافي، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، مصر، ط 3، 1994، 1415.

26)**الخطيب القزويني**، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبديع ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

27)**ابن خفاجة**، الديوان، تح: عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع لبنان، بيروت، 1415-1999.

28)**ابن خلدون** (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي القاهري المالكي):

- تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدا و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح: أبو صهيب الكرمي بيت الأفكار الدولية عمان الأردن،(د، ط) (د، ت).

- مقدمة ابن خلدون، تح: أحمد الزعبي، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

29)**خير الدين الزركلي.**

- الأعلام، دار العلم للملايين ،ج1، بيروت ، لبنان ، ط15، 2002 .

- الأعلام،ج2- ج3-ج4 -ج5 -ج8.

30)**ابن دحية ذي النسبين** ، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الابياري حامد عبد المجيد ، راجعه طه حسين،دار العلم للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت لبنان ،(د، ط) (د، ت).

31)**ابن درّاج القسطلي**، الديوان، تح: محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي دمشق، سوريا، 1438، 1961.

32)**دعبل الخزاعي**، ديوان دعبل الخزاعي، شرحه: حسن حمد، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، (د، ط)، 1414 ، 1994.

33)**الذهبي** (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي) ، سير أعلام النبلاء تح: شعيب الارنؤوط ،ج8، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، ط11،1417، 1996.
-الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2-ج3-ج17-ج19.

34)**ابن رشيق القيرواني**.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد،ج1 دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق، سوريا، ط 1، 1981.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد،ج2 دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(د، ط)، (د، ت).

- الديوان، تح: عد الرحمن باغي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1409 ، 1989.

35)**عبد الله بن رواحة**، ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، تح: وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، الرياض ، المملكة العربية السعودية 1981، 1401.

36)**ابن الرومي**، الديوان،ابن الرومي الديوان تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ج3، بيروت لبنان، ط3 ،1423، 2002 .

37)**ابن الزقاق**، الديوان، تح: عفيفة محمد ديراني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د، ط) 1964.

38)**ابن زيدون**، الديوان، تح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط 2، 1415 -1994.

39)**الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري)**: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ج 2، بيروت، بيروت، لبنان، ط 1، 1419 1998.

40)**زهير بن أبي سلمى**، الديوان، تح: علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط 1، 1408، 1988.

41)**ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي)**.

- رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، سوريا، ط1 ،1987.

- المغرب في حلى المغرب،تح: شوقي ضيف،ج1، دار المعارف، القاهرة ، مصر ط4،(د، ت).

- المغرب في حلى المغرب،ج2.

42)**السميسر**: (خلف بن فرج الالبيري) شعر السميسر، تح: إسماعيل بن حمد بن عبد الله السالمي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 2016.

43)السيد محمود شكري الألوسي البغدادي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب تح: محمد بهجة الأثري ،ج1، دار الكتاب المصري، ط2 ،1413، 2003 .

44)**السيد محمود شكري الألوسي**، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تح: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

45)**شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني**، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، ج 2، بيت المغرب، مصر، (د، ت) (د، ط).

46)**ابن شهيد**، الديوان، تح: يعقوب زكي، راجعه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر، (د، ط)، (د، ت).

47)**الضبي ،المفضليات**، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة ، مصر، ط6، (د، ت).

48)**الضبي**، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس،تح: إبراهيم الأبياري،ج2، دار الكتاب المصري،القاهرة ، مصر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان ، ط1، 1989 1410.

49)**أبو طاهر السلفي** "أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السلفي، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان ، ط1، 1963.

50)**ابن طباطبا**، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الستّار دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1402 ، 1982.

51)**طرفة بن العبد**، شرح الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطيب لطفي الصقال المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 2000.

52)**أبو العلاء المعري**، اللزوميات: لزوميات أبي العلاء المعري، شرح: أبو محمد عبد الله بن محمد السيد البطليوس، تح: حامد عبد المجيد، ق2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991.

53) **عزيزة فوال البابتي**، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1،1998.

54) **ابن عذارى المراكشي** :

– البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد ومحمود بشار عواد، دار المغرب الإسلامي، مج2، تونس، ط1، 1434 ، 2013

–البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال ج 3، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ط3، 1983.

55) **عفيف عبد الرحمن**، معجم الشعراء العباسيين، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2000.

56) **عروة بن الورد**، ديوان عروة بن الورد، تح: أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1418، 1998.

57) **علي بن الجهم، ديوان علي بن الجهم، تح: السيد مصطفى عوض** الكريم:مجلة الأديب (د ، ط)، 1953.

58) **العماد الأصفهاني** الكاتب، خريدة القصره وجريدة العصر، آذرتاش آذرتوش نقحه محمّد العروبي المطوي الجيلاني بن الحاج، يحي محمد المرزوقي،ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.

59) **عبد عون الروضان** موسوعة شعرء العصر العباسي ،ج1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001.

60) **ابن فارس** (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي)، مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، ج1، مؤسسة الرسالة، ، بيروت، لبنان، ط 2، 1986.

61)**ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد)** تاريخ علماء الأندلس،تح: بشار عواد معروف ج 1، دار الغرب الإسلامي ،تونس، ط1، 1429، 2008.

62)**عبد القاهر الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي)**، دلائل الإعجاز، تح: حمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ط 5، 2004.

63)**قدامة بن جعفر**، نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (د، ط)، 1956

64)**القلقشندي(أبو العباس أحمد القلقشندي)**، صبح الأعشى،ج 5،المطبعة الأميرية القاهرة، مصر ،(د، ط)، 1333، 1915.

65)**ابن القوطية**، تاريخ افتتاح الأندلس،تح: إبراهيم الأبياري،ج2، دار الكتب ، بيروت لبنان، (د، ط)، 1410،1989.

66)**كامل سلمان الجبوري.**

– معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى 2002، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، 1424،2002./معجم الشعراء ج01، ج03، ج04، ج05 ج06

67)**الكتاني (أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب)**، التشبيهات، تح: إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د، ت)، (د، ط).

68)**ابن الكردبوس** (أبومروان عبد الملك بن أبي القاسم التوزري)، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صالح بن عبد الله الغامدي ،ج1، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية، ط1، 1429

69)**الكميت بن الأزدي:**

- شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، التفسير: أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تح: داود سلوم، نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 2 1406، 1986 .

- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 2000.

70) **ابن اللبانة الداني** ،الديوان ،تح محمد مجيد السعيد ، دار الراية للنشر والتوزيع عمان، الأردن ، ط2، 2008.

71) **الماوردي:**

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة الكويت، ط 1، 1989،1409.

- أدب القاضي، تح: حسين خلف الجبوري، ج1، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، 1409، 1989.

72) **المتلمس الضبعي:** الديوان المتلمس الضبعي، تح: حسن كامل الصيرفي، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1390 ، 1970.

73) **المراكشي(أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي)**، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1426 2006.

74) **المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي)**، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان (د، ط)،1393 ، 1973

75)**المقري(أحمد بن محمد المقري التلمساني) :**

- نفح الطيب،تح: إحسان عباس،ج1، دار صادر، بيروت ، لبنان ،(د، ط)،(د،ت)

- نفح الطيب، ج02،ج03،ج04،ج05.

76)**ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور الإفريقي):**

- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، لبنان،(د،ط)،(د،ت): مج1، مج2، مج3 مج4، مج5، مج6، مج8، مج9، مج11، مج12، مج13، مج15

77)**مؤلف مجهول.** مفاخر البربر،تح: عبد القادر بوباية، دار أبي قراقر للطباعة والنشر الرباط ، ليبيا ، ط1 ،2005.

78)**مؤلف مجهول،** أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تح: إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري ،القاهرة ، مصر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ط2 1410 ،1989 .

79)**مؤلف مجهول،** تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية ، بيروت القاهرة ، ط1، 2007.

80)**مؤلف مجهول،** ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1 ، مدريد ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية المعهد ميغل آسين، 1983.

81)**النابغة الذبياني** ، الديوان، تح: كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ، لبنان ، (د، ط)،1383 ،1963

82)**دريد بن صمة،** ديوان دريد بن الصمة، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف القاهرة مصر، (د، ط) (د، ت).

83)**ابن الناظم بدر الدين بن مالك،** المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب ومطبعتها، مصر، (د ، ط)، (د، ت).

84)**ابن هانئ الأندلسي**، الديوان، تح: كرم البستاني،ج2، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1402، 1980.

85)**أبو هلال العسكري** ،الصناعتين،تح: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه، بيروت ، لبنان، ط1 1371،1952.

86)**ابن هشام**، السيرة النبوية، تح: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان، ط3، 1410، 1990.

87)**يحي بن الحكم الغزال**، الديوان، تح: محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 1413 ، 1993.

ثانيا:المراجع

1/ الكتب باللغة العربية:

1) **إبراهيم العدوي**، السفارات الإسلامية في أوربا في العصور الوسطى، دار المعارف مصر ،(د،ط)، 1957.

2) **إبراهيم القادري بوتشيش**، في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف ق3 الهجري حتى ظهور الخلافة، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1992

3) **إبراهيم بيضون**، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط 3،1406،1986.

4) **إحسان عباس:**

– تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة،دار الثقافة ،بيروت، لبنان، ط2، 1969

– تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 1997.

5) **أحمد الشايب**، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، مصر، ط 2 . 1942

6) **أحمد أمين:**

- النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، مصر، (د ، ط)، 2012.

- ظهر الإسلام، ج 3، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ط5 ،1388، 1969.

7) **أحمد توفيق الطيبي**، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1984.

8) **أحمد حسين الزيات**، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت).

9) **أحمد شلبي**، موسوعة التاريخ الإسلامي، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج4، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، ط10 ،1995.

10) **أحمد فكري**، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1983.

11) **أحمد محمد الحوفي**، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، ط2، 1371، 1952.

12) **أحمد مختار العبادي**، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1971.

13) **أحمد هيكل**، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة مصر، (د، ط)، 1985.

14) **أسعد حومد**، محنة العرب في الأندلس،المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط2 ،1988.

15) **أمحمد بن عبود**، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، المعهد الجامعي للبحث العلمي، تطوان المغرب، 1408، 1987.

16) **امحمد بن لخضر فورار**، الشعر الأندلسي ظل الدولة العامرية، دراسة موضوعية فنية دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009.

17) **إميل أبو ليل**، علوم البلاغة، المعاني، البديع، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 1427 ،2006.

18) **أمين الريحاني**، نور الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر (د، ط)،(د، ت)..

19) **بسام العسلي**، مشاهير قادة المسلمين، عبد الرحمن الناصر،دار النفائس،ط1 بيروت لبنان ،1400،1980.

20) **بسيوني عبد الفتاح فيود**، علم المعاني ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط4، 1436، 2015.

21) **بطرس البستاني**:

- أدب العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، دار نظير عبود، بيروت ، لبنان (د، ط) (د، ت).

- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، ط 1، 2014.

22) **جرجي زيدان**، تاريخ آداب اللغة العربية، تح: شوقي ضيف ، دار الهلال، (د، ط) (د، ت).

23) **جمال مباركي**، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر الجزائر، (د، ط)، (د، ت).

24) **حافظ المغربي**، شعر السميسر الأندلسي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 2006 ، 1427.

25) **حامد عبده الهوال**، السرخية في أدب المازني، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1982.

26) **حسن الغرفي**، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت لبنان (د، ط)، 2001.

27) **حسني عبد الجليل يوسف:**

- موسيقى الشعر العربي الأوزان والقوافي والفنون، دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، ط1، 2009.

- الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة مصر، ط1، 1421، 2001.

28) **حسن يوسف دويدار**، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسن الإسلامية، القاهرة، مصر، ط 1، 1414 ، 1994.

29) **حسني عبد الجليل يوسف، حسين علي عبد الحسين الدخيلي**، دراسات نقدية لظواهر في الشعر الغربي، دار حامد للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، (د،ط) (د، ت).

30) **حسين مؤنس:**

- رحلة الأندلس(حديث الفردوس المفقود)،الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة المملكة العربية السعودية ، ط2، 1963، 1985.

- شيوخ الأندلس في الأندلس ، دار الرشاد ، ط1، القاهرة ، مصر، 1963.

- فجر الأندلس، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (د،ط)،(د،ت).

- معالم تاريخ المغرب والأندلس،دار المستقبل للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر (د، ط) 1980.

31) **عبد الحليم عويس،** التكاثر المادي، وأثره في سقوط الأندلس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1414 ،1994.

32) **حميد آدم ثويني،** البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط 1، 1427، 2007.

33) **عبد الحكيم الذنون،** آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي دار المعرفة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 1408 ،1988.

34) **عبد الحميد شيخة،** الوطن في الشعر الأندلس دراسة فنية، مكتبة الآداب، القاهرة مصر ط 1، 1418، 1997.

35) **عبد الحميد هيمة،** الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط 5، 2005م.

36) **حمدي عبد المنعم حسين،** ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر،(د.ط)، (1993).

37) **حنا الفاخوري:**

- الجامع في تاريخ الأدب العربي، "الأدب القديم" ، دار الجيل بيروت ، لبنان، ط 1 1986.

38) **خليل إبراهيم السامرائي وآخرون،** عبد الواحد الذنون، ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1 (د، ت).

39) **راجي الأسمر**، أروع ما قيل في الهجاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان، ط 1، 1413 ، 1992.

40) **راغب السرجاني**، قصة الأندلس، قصة الأندلس، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2010.

41) **رجب محمد عبد الحليم**، العلاقات بين الأندلسي الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان،(د، ط)، (د، ت).

42) **عبد الرحمن علي الحجي**، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دار القلم، ط2، بيروت، لبنان، 1402،1981.

43) **رشيد شعلال**، البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام الماكر، الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1، 2011.

44) **عبد الرحمن حسن حبنكة**، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، ج1، دار القلم ، دمشق، سوريا، ، ط 1، 1416،1996.

45) **سالم عبد الله الخلف**، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، ج 1، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1424، 2003.

46) **سامي مكي العاني**، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، الكويت، (د، ط) 1996.

47) **سامية جباري**، الأدب والأخلاق في الأندلس، في عصر الطوائف والمرابطين، دار قرطبة للنشر والتوزيع المحمدية، الجزائر، ط 1، 1429، 2009.

48) **سامية مصطفى مسعد**، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 2000.

49) **سراج الدين محمد**، الهجاء في الشعر العربي، مج3، دار الراتب الجامعية بيروت لبنان، (د، ط)، (د، ت).

50) **سعد بن عبد العزيز مصلوح، عبد اللطيف بن محمد الخطيب**، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1425، 2004.

51) **أبو السعود سلامة**، الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء لدنيا الطّباعة الإسكندرية، مصر، (د، ط)، (د، ت).

52) **سلمى خضراء الجيوسي**، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ،1998.

53) **سليمان معوض**، علم العروض وموسيقى الشعر، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

54) **عبد السلام هارون**، الأساليب الإنشائية في النحو،مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط2، 1421،2001.

55) **سميح أبو مغلي**، المفيد في البلاغة العربية، دار البداية، عمان، الأردن، ط1 2009.

56) **السيد أحمد الهاشمي**: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، 1425، 2005.

57) **سيد البحراوي**، العروض وإيقاع الشعر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر،(د، ط)، 1997.

58) **السيد عبد العزيز سالم** : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة مؤسسة شباب الجامعة بيروت ، لبنان (د، ط)، 1961.

59) **السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي:** البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)(د، ت).

60) **شكيب أرسلان،** الحلل الأندلسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج3، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط1، 1417 ،1997.

61) **شوقي ضيف:** – تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة مصر، ط11 ، (د، ت).

– تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7 ،(د، ت)

– تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، دار المعارف، القاهرة مصر، (د، ط)، (د، ت).

62) **صلاح الدين وآخرون،** فصول عن البلاغة والنقد الأدبي، مكتبة الفلاح، الكويت ط 1، 1983.

63) **صلاح خالص،** محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية تاريخية لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بني عباد في إشبيليا، مطبعة الهدى، بغداد، (د، ط)، 1957.

64) **طاهر أحمد مكي،** دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف القاهرة، مصر، ط 3، 1407، 1987.

65) **عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ،** قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ط1، دار المعارف، مصر، 1970.

66) **عبد العزيز عتيق:**

– الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، (د، ط) ، (د، ت)

– في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2 1391، 1982.

67) **عبد العزيز محمد عيسى**، الأدب العربي في الأندلس، مطبعة الإستقامة ، بغداد (د، ط)، 1335 ،1945.

68) **عبد العزيز قليقلة**، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر ط3، 1992

69) **عصمت عبد اللطيف دندش**، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1408 1988.

70) **علي الجارم بك**، قصة العرب في إسبانيا، مطبعة المعارف، مصر، (د، ط) (د، ت).

71) **علي الجارم، مصطفى أمين**، البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع، دار المعارف، مصر، 1999.

72) **عمر إبراهيم توفيق**، صورة المجتمع الأندلسي، في القرن الخامس الهجري، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1432، 2011.

73) **عمر فروخ** ، تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف لأواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ج 4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 2، 1984.

74) **عيسى خليل محسن** أمراء الشعر الأندلسي،دار جرير،عمان، الأردن، ط1 2007.

75) **غازي طليمات**، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه دار الإرشاد، حمص، سوريا، ط 1، 1412 ،1992.

76) **عبد الغني إيرواني زاده، جمال طالباني**، دراسات في الهجاء السياسي عند شعراء الشيعة (دعبل الخزاعي السيد الحمري ، ديك الجن)، مجمع ذخائر الإسلامي، إيران 2015.

77) **عبد القادر بقشي،** التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2007.

78) **عبد الكريم محمود يوسف،** أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه إعرابه مكتبة الغزالي، الشام سوريا، ط 1، 1421، 2000.

79) **فايز عبد النبي القيسي :**

- دراسات في الأدب الأندلسي، مركز زايد للتراث والتاريخ ،الإمارات العربية المتحدة ط1، 1424 ،2003.
- أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط 1، 1409، 1989.

80) **فهد خليل زايد،** البلاغة بين البيان والبديع، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 2009.

81) **فوزي عيسى سعد،** الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية مصر، ط 1، 2007.

82) **كمال السيد أبو مصطفى،** دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، (د، ط)، 1997.

83) **عبد المجيد النعنعي،** تاريخ الدولة الأموية،تاريخ الدولة الأموية السياسي ، دار النهضة العربية ،بيروت ، لبنان (د، ط)،(د، ت).

84) **مارون عبود،** أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر،(د،ط) 2014.

85) **محمد الهادي الطرابلسي،** خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية (تونس)، (د ، ط)، 1981.

86) **محمد بركات، حمدي أبو علي،** البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1412،1992.

87) **محمد بنيس،** الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، دار توبقال للنشر ، الرباط المغرب (د، ط)، 1990.

88) **محمد حسن قجة،** دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1405 ،1985.

89) **محمد حسين:**

- الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1970.
- الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، مكتبة الآداب الجماميز، القاهرة ، مصر (د، ط)،(د، ت).

90) **محمد رضوان الداية،** في الأدب الأندلسي،دار الفكر،دمشق سوريا، ط1 ، 1421 . 2000

91) **محمد زكريا عنان،** تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، (د ، ط)،1999

92) **محمد سامي الدهان،** الهجاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، 1957.

93) **محمد سعيد الدغلي،** الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي، منشورات دار أسامة، ط1، 1404، 1984.

94) **محمد سهيل طقوش،** التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط 5 ،(د، ت).

95) **محمد شهاب العاني،** الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف، دار دجلة عمان ، الأردن ، (د، ط) ، (د، ت).

96) **محمد عبد الله عنان:**

- تاريخ العرب في إسبانيا " تاريخ الأندلس"، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1924.
- دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط 4، 1417 ،1997.
- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح حتى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط 4، 1417 ،1997.
- دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 4، 1997.
- دولة الإسلام في الأندلس، عصر ملوك الطوائف وبداية المرابطين، القاهرة ، مصر ط 4 ،1417، 1997.
- دولة الإسلام في الأندلس،عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس

ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر، 1990.

97) **محمد عبد المنعم، محمد عبد الكريم العربي،** العصر الذهبي للأدب العربي، دار الكتب، مصر، 1423 ،2003 .

98) **محمد عبده حتامنة:** الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية عمان، الأردن،1421، 2000.

99) **محمد عبيد صالح السبهاني،** الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012 .

100) **محمد علي زكي صباغ،** البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ مراجعة ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 1، 1418 ،1998.

101) **محمد محمد زيتون**، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الكتب الإسكندرية ، مصر، (د، ط)، 1411، 1990.

102) **محمد مصطفى هدارة**، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف القاهرة، مصر، (د، ط)، 1963.

103) **محمد مقديش**، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار، تح علي الزواري محمد محفوظ، مج 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

104) **محمد مكي العاني**، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، الكويت، (د، ط)، 1996.

105) **محمد ناصر**، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه، دار المغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط 1، 1985.

106) **محمود محمود العاصودي**، شعراء أندلسيون، مطبعة المقداد،غرة،فلسطين ط1،1431، 2010 .

107) **مريم قاسم الطويل**، مملكة المرية في عهد المعتصم صمادح ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1414، 1994.

108) **مصطفى السعدني**:

– البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف جلال حربي وشركاه، الإسكندرية، مصر، (د، ط)، 1987.

– التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، منشأة المعارف الإسكندرية ، مصر (د، ط) ، 1991.

109) **مصطفى الشكعة**، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 5، 1983.

110) **مصطفى الشكعة:**

- الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1 1979.

- رحلة الشعر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط 1، 1418، 1997.

111) **مصطفى حركات،** نظرية الإيقاع، الشعر العربي بين الموسيقى، دار الآفاق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د، ط) ، (د، ت).

112) **مصطفى صادق الرافعي،** تاريخ آداب العرب، ج3، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط 1، 1421 ، 1982.

113) **نازك الملائكة،** قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان (د، ط)، 2014.

2/ الكتب باللغة الأجنبية و المترجمة :

1. **آنخل جنثالث بالنثيا،** تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1995.

2. **ايميليو غارسيه غومس،** مع شعراء الأندلس والمتنبي،ترجمة أحمد الطاهر مكي، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر، ط1، 1393، 1974.

3. **جمس كولان،** الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني بيروت دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط1، 1980.

4. **ريهنت دوزي:**

- المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ج1، القاهرة ، مصر، 1415، 1994.

- المسلمون في الأندلس،ترجمة حسين حبشي ،ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(د، ط)،1994.

- المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، مصر، 1999.

5. **كارل بروكلمان،** تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1 ، القاهرة، مصر، 1993.

6. **ليفي بروفنسال،** أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة راجعه عبد الحميد العبادي بك ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، مصر، (د، ط).

7. **ليفي بروفنسال،** الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، 1414 ،1994.

8. **ليفي بروفنسال،** تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، مج2، مراجعة صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

9. **منتغمري وات،** تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، دار المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1998.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1. **امحمّد بن لخضر فورار،** الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي القديم، إشراف الربعي بن سلامة ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الآداب واللغات: قسم اللغة العربية وآدابها 2004، 2005.

2. **سلسبيل محمد محمود نوفل،** شعر الأطباء في الأندلس في القرن السادس الهجري إشراف الدكتور وائل أبو صالح، مذكرة لنيل درجة ماجستير في تخصص اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين ، 2009.

3. **عبد الرحمن محمد الشهراني،** التكرار مظاهره وأسراره، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، تحت إشراف: علي محمد حسن العماري، كلية اللغة العربية للدراسات العليا، فرع الأدب، المملكة العربية السعودية ، 1983.

عبد المنعم جبار عبيد، التناص في شعر أحمد مطر ، أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف سلافة صائب خضير، جامعة بغداد، كلية التربية ،ابن رشد قسم اللغة العربية 1429،2009.

رابعا: المجلات:

1. **أسامة اختيار** بنية المشهد الحكائي في شعر يحي بن حكم الغزال، مج 27، ع 3+4 مجلة جامعة دمشق، 2011م.

2. **بنيوس الزاكي،** شعر السميسر، عالم الفكر مج 25، ع1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996.

3. **الطرايسي أحمد أعراب،** الأصوات النضالية والإنهزامية في الشعر الأندلسي، مجلة عالم الفكر، ع2، مج12، المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والأدب، الكويت 1981.

الفهارس

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
1	المناطق المنفصلة عن حكومة قرطبة	52
2	دول الطوائف مرقمة حسب تاريخ انفصاله	64
3	دول الطوائف مرقمة حسب تاريخ انفصالها	68
4	الترحيل القصري لثوار الربض	86

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ- هـ
مدخل : الهجاء السياسي والاجتماعي نشأته وتطوره عبر العصور	07-44
المبحث الأول: مفهوم الهجاء	07
المطلب الأول: تعريف الهجاء لغة	09
المطلب الثاني: تعريف الهجاء اصطلاحا	09
المطلب الثالث: أجود الهجاء	11
المطلب الرابع: نشأة الهجاء	12
المطلب الخامس: أنواع الهجاء	16
المبحث الثاني: الهجاء السياسي والاجتماعي وتطوره عبر العصور	19
المطلب الأول: الهجاء السياسي والاجتماعي في العصر الجاهلي	24
المطلب الثاني: الهجاء السياسي والاجتماعي في صدر الإسلام	26
المطلب الثالث:الهجاء السياسي والاجتماعي في العصر الأموي	35
المطلب الرابع: الهجاء السياسي والاجتماعي في العصر العباسي	37
المطلب الخامس: الهجاء في الأندلس	41
الفصل الأول: الحياة السياسية والاجتماعية في الأندلس من بداية (ق3 إلى نهاية ق5) وأثرها على الهجاء .	46-93
المبحث الأول: الحياة السياسية	46
المطلب الأول: الحياة السياسية في فترة الإمارة	46
المطلب الثاني: الحياة السياسية عهد الخلافة	55
المطلب الثالث: الحياة السياسية في عهد الدولة العامرية	59
المطلب الرابع: الحياة السياسية في عهد الفتنة	62
المطلب الخامس: عصر ملوك الطوائف	65
المطلب السادس: عهد المرابطين	69
المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية	72
المطلب الأول: عناصر المجتمع	71
المطلب الثاني: البناء الطبقي في المجتمع الأندلسي	81
المطلب الثالث: الفتن والحروب الأهلية وأثرها على المجتمع الأندلسي	85
المطلب الرابع: مظاهر الأزمة الأخلاقية	90

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في الهجاء السياسي والاجتماعي	91
المطلب الأول: عوامل سياسية	91
المطلب الثاني: عوامل اجتماعية	92
الفصل الثاني: موضوعات الهجاء السياسي	96-146
المبحث الأول: هجاء الملوك	96
المطلب الأول: هجاء أمراء بني أمية	97
المطلب الثاني: هجاء حجاب الدولة العامرية	99
المطلب الثالث: هجاء حكام الفتنة	102
المطلب الرابع: هجاء ملوك الطوائف	104
المطلب الخامس: هجاء المرابطين	119
المبحث الثاني: هجاء الوزراء	122
المبحث الثالث: هجاء العمال والولاة	127
المبحث الرابع: هجاء القضاة والفقهاء	132
المبحث الخامس: هجاء النصارى واليهود الصقالبة	135
الفصل الثالث: موضوعات الهجاء الاجتماعي	148-212
المبحث الأول: هجاء رجال الدين	149
المطلب الأول: هجاء القضاة	149
المطلب الثاني: هجاء الفقهاء	156
المطلب الثالث: هجاء المتسترين بالدين	163
المطلب الرابع: هجاء الأئمة	163
المبحث الثاني: هجاء البشرية عامة وخاصة	164
المطلب الأول: هجاء **البشر عامة**	164
المطلب الثاني: هجاء **البشر خاصة**	169
المبحث الثالث: هجاء بعض المظاهر الأخلاقية	176
المطلب الأول: هجاء البخلاء	176
المطلب الثاني: هجاء الخوان والأكلة والمتطفلين	180
المطلب الثالث: هجاء المنافقين	181
المطلب الرابع: هجاء المرائين	182
المطلب الخامس: هجاء الحساد المشغولين بعيوب الآخرين	183

المطلب السادس: هجاء المشغولين بعيوب الآخرين	184
المطلب السابع:الكذب و التكبر	185
المبحث الرابع: ذمّ الزمان والمكان	187
المطلب الأول: **ذم الزمان** .	189
المطلب الثاني: المكان"هجاء المدن والقرى وبعض المرافق الاجتماعية"	188
المبحث الخامس: هجاء أرباب المهن والحرف	199
المطلب الأول: هجاء المنجمين والفلاسفة والمشتغلين بالفلك	199
المطلب الثاني:هجاء حرفة الوراقة	200
المطلب الثالث:هجاء الكتاب	200
المطلب الرابع: هجاء المغنيين	202
المبحث الخامس :هجاء الشعراء	204
المطلب الأول: طبقات الشعراء بالأندلس	204
المطلب الثاني : المشاكلات الهجائية بين الشعراء	206
الفصل الرابع: التشكل الفني في شعر الهجاء السياسي والاجتماعي	305-214
المبحث الأول: اللغة	215
المبحث الثاني: الأسلوب	218
المطلب الأول: تعريف الأسلوب	218
المطلب الثاني: الأسلوب الإنشائي وعوامله	219
المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام	220
المطلب الرابع: أسلوب الأمر	222
المطلب الخامس: أسلوب النهي	228
المطلب السادس : أسلوب النداء	229
المبحث الثالث: التكرار	232
المطلب الأول: أغراض التكرار	234
المطلب الثاني: أنواع التكرار في الهجاء	234
المبحث الرابع: تجليات التناص في شعر الهجاء	237
المطلب الأول: التناص الديني	238
المطلب الثاني: التناص الأدبي	253
المبحث الخامس: الصورة الشعرية	260

المطلب الأول: التشبيه	261
المطلب الثاني: الاستعارة	268
المطلب الثالث: الكناية	273
المبحث السادس: البديع	276
المطلب الأول: الطباق	277
المطلب الثاني: المقابلة	282
المطلب الثالث: الجناس	283
المبحث السابع: الموسيقى الشعرية	288
المطلب الأول: الموسيقى الخارجية	288
المطلب الثاني: الموسيقى الداخلية	293
خلاصة الفصل :السمات الفنية للهجاء السياسي والاجتماعي.	302
الخاتمة	307
قائمة المصادر والمراجع	312
الفهارس	340
فهرس الأشكال	340
فهرس الموضوعات	342

الملخص:

تناولت هذه الدراسة شعر الهجاء السياسي والاجتماعي في الأندلس من بداية القرن الثاني الى نهاية القرن الخامس للهجرة، واشتملت الدراسة على مدخل وأربعة فصول،وقد خصص المدخل للوقوف على ماهية الهجاء السياسي والاجتماعي، نشأته وتطوره عبر عصور الأدب العربي ، تناول الفصل الأول الحياة السياسية والاجتماعية في الأندلس من بداية القرن الثالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة ،وأثرها على شعر الهجاء ،وتطرقنا في الفصل الثاني إلى موضوعات الهجاء السياسي ، وقد رصد الهجاء موقف الشعراء من بعض الأحداث السياسية، التي شهدتها الأندلس في هذه الحقبة الزمنية ،وأشار إلى جوانب الفساد المتعلقة بشؤون الحكم، فندد بفضائع الحكام وفضح أساليبهم، كما طال الهجاء الأمراء والوزراء والولاة والمستخدمين من أعيان الدولة ،أما الفصل الثالث فقد خصص لدراسة موضوعات الهجاء الاجتماعي الذي بين لنا مدى تفاعل شعراء الأندلس مع مجتمعهم ، فرصد كل مظاهره السلبية التي تتنافى مع الذوق العام للمجتمع ،فضلا عن كشف صور من الشكوى والمعاناة والطبقية الاجتماعية، وماتبع ذلك من اختلال في القيم والسلوكات ،وخصص الفصل الرابع للدراسة الفنية للهجاء السياسي والاجتماعي .

وأنهينا البحث بخاتمة أجملنا فيها نتائج البحث ،وقمنا بانجاز هذا البحث لنبين أن للهجاء الأندلسي مكانة كبيرة ومرموقة في الأدب العربي، مثله مثل الهجاء في المشرق، وبأنه فن شائع ،مارسه معظم شعراء الأندلس وكانوا مدفوعين اليه بدوافع سياسية واجتماعية ،فكان صدى للتحولات السياسية والاجتماعية ولم يكن الشعر عندهم مجرد ترف فكري ،بل توجه الى خطاب يحمل كل الجرأة والنقد .

abstract:

This study deals with the poetry of political and social satire in Andalusia from the beginning of the second century to the end of the fifth century of migration. The study included an entrance and four chapters. The entrance was devoted to knowing what political and social satire originated and developed through the ages of Arabic literature. Andalusia from the beginning of the second century to the end of the fifth century of migration, and its impact on the poetry of satire,

In the second chapter, we dealt with the topics of political satire. The satire monitored the poets 'attitude towards some of the political events witnessed by Andalusia in this period of time. He also referred to aspects of corruption related to governance affairs, denouncing the rulers' scandals and exposing their methods, as well as satire of princes, ministers, governors, and employees of state elders. Chapter III was devoted to the study of social satire, which showed us the extent of the interaction of the poets of Andalusia with their community, and monitor all its negative manifestations that are contrary to the general taste of society, as well as the detection of images of complaint, suffering and social stratification, and followed by the imbalance in the Chapter IV is devoted to the technical study of political and social satire.